المدارس المعجمية العربية

نشأتها - تطورها - مناهجها

الدكتور

صلاح رواي

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

١٤١١هـ - ١٩٩٠م

الناشر

دار الثقافة العربية

٢ شارع المبتديان - القاهرة

ت/ ٣٥٤٢٧٠٦

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

الحمد لله رب العالمين فاتحة كل خير، وتمام كل نعمة ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله أشرف النبيين وخاتم المرسلين، هادي الأمة ، وكاشف الغمة، وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد

فحينما أسند إليّ تدريس مادة « المعاجم اللغوية العربية » بمعهد السلطان قابوس العالي للدراسات الإسلامية بولاية صُحَار من سلطنة عمان ، صادف ذلك الأمر هوى في النفس ، ولمس وترا نابضا من شغاف القلب ؛ وتمثلت أمامي الأثر المأثور « يثاب المرء رغم أنفه » ؛ إذ ظللت فترة من الوقت ليست بالقصيرة ، بدءا من أيام الطلب بكلية دار العلوم العريقة ، ومرورا بتدريس مادة «المعاجم اللغوية العربية » بأقسام اللغة العربية في بعض الكليات – عن طريق الندب – منها كلية الألسن ، وكلية البنات بجامعة عين شمس ؛ وانتهاء بتدريسها بمعهد السلطان قابوس العالي للدراسات الإسلامية – عن طريق الإعارة – : طيلة هذه الفترة تثور في النفس تساؤلات حول قضايا معجمية معينة، لم يوفها اللغويون حقها من البحث والدرس ، وتتمثل أمام النظر علامات استفهام حيال أمور بعينها ، لم يتوفر العلماء على كشف غموضها ، وتجليتها، بل نفضوا أيديهم منها بمجرد إثارتها دون أن يقولوا فيها الكلمة الأخيرة.

ظلت هذه التساؤلات وعلامات الاستفهام تتراقص أمام ناظري ، أينما يممت ، وتلح عليّ حيثما وليت وجهي ، كي أجليها ، وأكشف عنها ما يكتنفها من غموض، وأنا أتحين الفرص، وأحاول أن أجد لها زمانا ومكانا بين اهتماماتي البحثية التي كنت محكوما بإنجازها لظروف ملحة وضرورية ... حتي وقعت الفرصة سانحة بين يدي ، بل دفعت إلى اقتناصها دفعا ، بإسناد تدريس المادة إليّ ، فلم أجد مناصا

ولم أملك مهربا ، من التوفر على لَمِّ الشعث ، وجمع ما تفرق من ملاحظات كنت أدونها في قصاصات أثناء قراءاتي واطلاعاتي ، وأودعها درج مكتبي حول هذه التساؤلات وعلامات الاستفهام ، حتى يأذن الله – جل وعلا – لها بالخروج إلى النور وقديما قال العرب : الأمور مرهونة بأوقاتها ..

وفي سبيل إخراجي لهذه الدراسة حول «المعاجم اللغوية العربية » ، لم يكن اهتمامي منصرفا بالدرجة الأولى إلى عرض جهود اللغويين العرب في مجال التأليف المعجمي ، أو مناهجهم في مؤلفاتهم ، أو تطور التأليف في هذا المجال ، على النحو الذي تسير عليه الدراسات المعجمية التقليدية ؛ وإن جاء ذلك طلبا لما تقتضيه طبيعة البحث ، ومسايرة لما تتطلبه الإجابة على علامات الاستفهام المثارة، تلك التي ظلت تشغل حيزا كبيرا من خاطري وتحتل مساحة متسعة من فكري طيلة ما يزيد على عشر سنوات ، وتكمن هذه التساؤلات في :

– ما مدي صحة نسبة كتاب « العين » للخليل بن أحمد الفراهيدي؟

– ما موقف الخليل من أولية التأليف المعجمي.

– من مبتكر مدرسة القافية ؟ ومن رائدها ؟

– من مبتكر مدرسة الأبجدية ؟ ومن رائدها؟

– هل أبجدية المعجم أبجدية عادية أم عربية؟

– هل تُعدُّ المدرسة الواقعية مدرسة معجمية حقيقية؟

– إلى غير ذلك من التساؤلات وعلامات الاستفهام التي قد تثار عرضا من خلال البحث.

وسيرا على هذا النهج الذي أخذت نفسي به ، والتزمته منذ باكورة التفكير في إخراج هذه الدراسة ، فقد جعلتها في مباحث ثلاثة ؛ خصصت المبحث الأول ببيان الأسباب التي دعت المفكرين العرب إلى تأليف المعاجم اللغوية ، ثم عرضت لتطور التأليف المعجمي ، وأي الموضوعات كان أسبق بالتأليف فيه .

والمبحث الثاني عرضت فيه لاشتقاق لفظ المعجم ، ودلالته والأمور التي يجب مراعاتها عند وضع المعجم ، ومستوى اللغة المستخدمة في تحرير المعجم ، ونوعية التأليف في المعاجم مقارنة بالتأليف في غيرها من المصنفات .

والمبحث الثالث خصصته بعرض المدارس المعجمية العربية ، فقسمته إلى فصول أربعة . عرضت في الفصل الأول «مدرسة التقليبات» بكل جوانبها ، ومن خلالها عالجت أهم قضيتين فيها : مدى صحة نسبة كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ، ومكانة الخليل من أولية التأليف المعجمي.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن (مدرسة القافية) بكل ما تتطلبه الدراسة المعجمية الجادة ، ومن خلال ذلك حاولت كشف النقاب عن قضيتين كانتا موضع خلاف بين المؤلفين والمصنفين في الدراسات المعجمية وهما : مبتكر مدرسة القافية ورائدها الحقيقي .

وتحدثت في الفصل الثالث عن (مدرسة الأبجدية العادية) على حد تعبير المصنفين في دراسة المعاجم العربية – ومن خلالها عالجت أيضا ما اختلفت فيه آراء اللغويين ، وحاولت أن أوفق بين هذه الآراء ، وأخرج بالرأي الراجح المقبول حول مبتكر مدرسة الأبجدية ، ورائدها الحقيقي ، وهل الصحيح أن نقول «الأبجدية العادية» أو «الأبجدية العربية» .

وتناولت في الفصل الرابع « المدرسة الواقعية » وتحدثت عن القائلين بها

والغرض منها ، وما [illegible] على نمطها من مصنفات [illegible] عقبت بما تراءى [illegible]
مدى الاعتداد بها كمدرسة معجمية بالمعنى الصحيح.

ثم ختمت دراستي بثبت للمراجع والمصادر التي رجعت إليها ، وا[illegible]تقيت منها مادة هذا البحث ، حتى لا أحيف على حق أحد من العلماء ، عملاً بمبدأ وجوب عزو الفضل إلى ذويه ، وقد وسمت هذه الدراسة باسم « المدارس المعجمية العربية ».

والله أسأل أن ينفع بهذه الدراسة ، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، وأن تمثل لبنة في صرح لغتنا العربية ، لغة القرآن الكريم .

والله من وراء القصد ، وهو يهدي السبيل ،

دكتور

صلاح رواي

حدائق القبة في : ١٤ رجب ١٤١٠ هـ.

٩ فبراير ١٩٩٠ م.

المبحث الأول

التأليف المعجمي وتطوره

الأسباب التي دعت إلى تأليف المعاجم اللغوية

ظلت اللغة العربية محتفظة بسلامتها ، ممتعة باستقلالها ، لم يتسرب إليها لحن ، ولم يتطرق إليها خطأ طالما لم يختلط العرب بغيرهم من أهالي البلاد المجاورة لهم ، كالفرس ، والهنود واليونان ، حيث كان العربي ينطق العربية الفصحى بالسليقة ، دون ما كتاب يقرؤه ، أو معلم يقوّم لسانه ، وكلما أوغل العربي في البداوة ، كلماصحت عربيته ، واستقام لسانه ، وعلي النقيض من ذلك كلما اقترب من أطراف الجزيرة العربية ، انماعت عربيته ، وفترت سليقته ؛ وما كان لجوء العرب إلي استرضاع أولادهم في قبائل سعد بن بكر ، إلا لكونها موغلة في البداوة ، ولم يتصل أبناؤها بغيرهم من أهالي البلاد المجاورة لهم ، مما ضمن لهم سلامة اللغة ، واستقامة اللسان ، حتي قال الرسول - صلي الله عليه وسلم - منوها بفصاحته: « أنا أفصح العرب ولدتني قريش ، واسترضعت في بني سعد بن بكر » . وقيل : إن الأعرابي الذي جيء به ليكون حَكَماً بين سيبويه والكسائي في مناظرتهما المعروفة باسم « المسألة الذنبورية » كان من بني سعد بن بكر .

وكذلك عندما أخذ العلماء في جمع المادة اللغوية من القبائل ، إبان بدء التقعيد للغة العربية ، بدأوا بتحديد القبائل التي ترتضي عربيتها ، فيؤخذ منها ، وقد روعى في ذلك أن تكون من القبائل الموغلة في البداوة التي يُطمَأن إلى عدم اتصالها بغير العرب ، كما نصوا علي القبائل التي لا يجوز الأخذ منها ، لكونها قريبا من أطراف الجزيرة العربية ، خشية مظنة الاتصال بجيرانهم من أهالي فارس أو الشام أو الهند أو اليونان ، مما يفسد عربيتهم ، وينال من فصاحتهم .

وبعد خروج بعض القبائل في هجرات إلى خارج الجزيرة العربية ، أزمان

القحط والجفاف الذي كان ينتاب بعض مواطن الجزيرة من آن لآخر ؛ وكذا اختلاط العرب بغيرهم في رحلات التجارة مثل رحلتي الشتاء إلي اليمن ، والصيف إلى الشام ؛ وبعد الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين وبني أمية ، بدأ عرب الجزيرة يختلطون بغيرهم من أهالي البلاد المحيطة بهم .

وأوضح صورة لاختلاط العرب بجيرانهم ، ماتم في عصر الدولة العباسية بقسميه : الأول والثاني ؛ إذ من المسلم به أن الدولة العباسية قامت على أكتاف الفرس ، وكان فرسا الرهان في تثبيت دعائم دول بني العباس أبو سلمة الخلال في العراق ، وأبو مسلم الخراساني فيما وراء النهر؛ وبعد أن استتب الأمر للعباسين ، وتثبتت أركان الدولة ، بدأ الفرس يطالبون خلفاء بني العباس بثمن مساعدتهم لهم في قيام دولتهم ، وكان هذا الثمن لا يجاوز السماح للفرس بالدخول الي جزيرة العرب ، للتعرف على سر بلاغتهم ، والوقوف على علومهم ، والاتصال بالمصادر الأساسية للدين الإسلامي في مكة والمدينة ؛ ولم يجد الخلفاء العباسيون مناصاً من إجابتهم إلي طلبهم ، والرضوخ لرغبتهم، مما جعل الفرس ينساحون في الجزيرة العربية ينهلون من معارف العرب ، ويتذوقون من بلاغتهم ، ويحذقون علومهم ، حتي نبغوا في علوم اللغة والدين ، فكان منهم : البخاري ، وسيبويه ، ومسلم ، والنيسابوري ... وغيرهم كثير .

أما في العصر العباسي الثاني ، فقد أكثره الخليفه المعتصم من استقدام الأتراك ليجعل منهم حامية وحرسا خاصا له في مواجهة الفرس الذين كان قد استشرى خطرهم وتحكموا في أزمة الأمور ، وتابعه في ذلك الناصر محمد بن قلاوون ، وكانا في هذا كالمستجير من الرمضاء بالنار ، حيث توحش الأتراك ، وأصبحوا يتحكمون في تعيين الخلفاء أو عزلهم ، بل قتلهم أحيانا .

كان من نتيجة هذا كله ، أن تسرب اللحن إلي لغة العرب ، وشاعت في اللغة العربية ألفاظ فارسية كالسندس والاستبرق ، وألفاظ تركية مثل : عربة ، ويَمَك ، وألفاظ لاتينية مثل : سراط ، واسطبل ، وألفاظ إيطالية مثل : لوكاندة وبرِيمُو ، وألفاظ آرامية مثل سكين ، وترعة ، وبالوعة .

وقد أجمعت النقول عن السابقين على أن أول ما ظهر اللحن كان في أبنية الكلم ، قبل ظهوره في الإعراب ، ولاسيما في الحروف المتشابهة في النطق التي تحتاج من الناطق دقة وتحرزاً عند النطق بها مثل حرفي (الضاد) و (الظاء) .

فقد روي أ ن أبا الأسود الدؤلي ، حينما قدم البصرة ، كان يجلس مع بعض القوم إذ مربهم رجل راجل يسحب فرسه خلفه ، فلما سئل في ذلك رد الرجل قائلا : إن فرسي ضالع . يقصد : ظالع ، والظالع هوالذي يغمز في مشيه لعطب في رجله ، فقال أبو الأسود : إن هؤلاء إخواننا . قد دخلوا الإسلام فصاروا لنا إخوة فهلا وضعنا لهم علما يحفظ عليهم ألسنتهم ؟!

وحكى الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين» أن رجلاً بالبصرة كانت عنده جارية تسمي (ظمياء) فكان كلما نادأها قال : يا ضمياء فقال له ابن المقفع : قل يا ظمياء فكان كلما نادها بعد ذلك يقول أيضا : يا ضمياء ، فلما غير عليه ابن المقفع ، قال له : يا أخي أهي جاريتي أم جاريتك ؟!

وحُكِيَ أن رجلا أتى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يسأله أيْظَحُّي بِضَبْي؟

فقال عمر : وما عليك إذا قلت : أيضحي بظبي؟!

نخلص مما تقدم أن اللحن بدأ يتسرب إلى اللغة العربية ، وبدأت ألفاظ غربية أجنبية تدخل في لغة العرب ، حتي أصبح العربي ينطق هذه الألفاظ الأجنبية ضمن ماينطق من ألفاظ لغته دون أن يشعر بأنها أجنبيه ، أو يفطن إلى أنها دخيلة على لغته الأصلية .

وهذا ما جعل النابهين الغيورين على اللغة العربية يحسون بالخطر على لغتهم القومية ولغة كتابهم الكريم فيهرعون إلي عمل يدفعون به هذا الخطر الداهم ، ويصدون به هذا السيل الجارف .

فأخذ فريق من اللغويين ينساحون داخل قبائل الجزيرة العربية الموغلة في البداوة – كما تقدم – مما يطمأن معه إلي سلامة لغتهم ، واستقامة ألسنتهم ، يستمعون منهم ويدونون ما يسمعون ، فكان العالم يحمل عدته من الورق المداد ، ويقيم بين ظهراني القبيلة فترة من الزمن ، يدون كل ما يسمعه من أفرادها ، وكان يركز اهتمامه على الكلام الذي ينطق على علاته دون تعمُّل أو تصنُّع ، ومن ثم كان يوجه اهتمامه إلي كلام الصبيان ، والنيام والمجانين والبُله والمعتوهين ، ثم يعود أدراجه ، فيعكف على تصنيف ما تجمع لديه من الألفاظ بحسب الموضوعات ، فهذه الفظة في النحل ، وتلك في النخل ، وثالثة في البئر ، ورابعة في اللبن ، وخامسة في الأسد ، وسادسة في الإبل .وهكذا[1] ؛ ثم يحتفظ عنده بهذه القوائم حتي إذا صادفته لفظة تشكك في أصلها ، أعربي هو أو دخيل ، عرضها على هذه القوائم ، فإن وُجِدَت فهي عربية ، وإلا في من الدخيل : وقد وافتنا النقول عن السلف أن الكسائي رأس المدرسة الكوفية دخل إلي البادية لجمع اللغة من أفواه الأعراب ، فأنفق خمسة عشر قنينة من الحبر في تدوين ما سمعه منهم مشافهة .

ولما كان اللغوي يعد هذه القوائم لنفسه وليس للآخرين ، حيث يستعين بها في معرفة اللفظ العربي من الدخيل ، فقد أطلق عليها اسم (الرسائل الخاصة) حيث لم يكن مصطلح (المعجم) قد ظهر في الوجود بعد ، بل لم يكن العرب قد سمعوا به ولم يحاطوا به خُبْراً .

ويغلب على هذه الرسائل الخاصة ، أن بعضا منها كان يتناول الإنسان ومايتعلق به ، كخلق الإنسان ، والأخبية ، والبيوت ، والدارات ؛ وبعضها يتناول الحيوانات ، والحشرات كالنمل ، والإبل ، والوحوش ، ولكن جل عنايتهم كانت منصرفة إلى الإنسان ، والخيل ، والإبل ، والوحوش ، والحشرات ، وما ذلك إلا لأن هذه الأصناف من الخلوقات كانت هي قوام البيئة العربية ، وهي التي تعيش بين

---

(١) راجع : ضحي الإسلام لأحمد أمين : ١/ ٣٢٢ ، ٢/ ٢٦٣ ، المعجم العربي للدكتور حسين نصار: ١/ ٣٤.

ظهرانيهم ، وتقاسمهم معيشتهم اليومية ، إذ لو كانت هناك سيارات ، أو طائرات ، أو قطارات ، أو صواريخ لتناولوها في قوائهم ، وضمنوه رسائلهم ؛ ولكنها جاءت مقصورة على ما كان شائعا في بيئتهم.

ثم تطورت هذه الرسائل شيئا ما ، حيث صار أصحابها يقرنون ما يجمعونه من الألفاظ بشيء من الشرح والتفصيل ، حتى تكون الفائدة مزودجة ، معرفة العربي من الدخيل ، والوقوف على المعنى الأصلي للفظ ، فضلاً على المعانى الجانبية الأخري ؛ ومِن ثَم أُطلِق على هذا النوع اسم (المعاجم الموضوعية المعنوية)، نظراً لكونها تجمع الألفاظ التي وردت في موضوع بعينه في صعيد واحد ، ثم ترتب بحسب الموضاعات ، إلى جانب اشتمالها على معاني الألفاظ التي ترد فيها .

أي الموضوعات كان أسبق بالتأليف ؟

من الموضوعات التي حازت شرف السبق بالتأليف فيها ، هي الموضوعات الدينية التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية ؛ نظرا لأن الخوف كل الخوف كان منصبا على تسرب هذه الألفاظ الدخيلة إلى كتاب الله تعالى ، وحديث رسول الله صلي الله عليه وسلم ، ومن ثم بادر العلماء إلى تأليف المعاجم في « غريب القرآن » و « غريب الحديث » .

فممن ألف في غريب القرآن : أبو سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكري (ت ١٤١هـ) ومن اللغويين : أبوفيد مؤرج السدوسي (ت١٧٤هـ) وأبو محمد يحيي بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢ هـ) . والنضر بن شميل (ت ٢٠٣هـ) وأبو عبيدة معمر بن المتنى (ت٢١٠هـ) والأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢٢١هـ) وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت٤٢٢هـ) ومحمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) وغيرهم .

وممن ألف في غريب الحديث النبوي : أبو عبيدة معمر بن المثني . والنضر بن شميل وأبو سعيد أحمد بن أبي خالد العزير الكندي ؛ ومن اللغويين : أبو عمرو

الشيباني ، ومحمد بن المستنير المعروف بقطرب ، والأصمعي ، وأبو زيد الأنصاري ، وغيرهم.[1]

ويأتي في المرتبة الثانية من التأليف بعد الأمور الدينية ، ما يتناول الألفاظ المتعلقة بحياتهم اليومية ، وأمورهم المعيشية ، إذ كان من أوائل من ألف في هذا الصدد : أبو عمرو الشيباني الذي ألف في الإنسان ، والنضر بن شميل الذي ألف في خلق الإنسان ، والسلاح ، والأصمعي الذي ألف في خلق الإنسان ، والخيل ، والوحوش ، النبات ، والشجر ، والنخل والكرم: وأبو عبيد القاسم بن سلام الذي ألف كتابا في خلق الإنسان ونعوته وكتابا في النعم والبهائم ، والوحوش والسباع ، والطير الهوام ، وحشرات الأرض ؛ وعبدالرحمن الهمذاني الذي ألف كتاب: (الألفاظ الكتابية) وأحمد بن فارس القزويني اللغوي الذي ألف كتاب « متخير الألفاظ » ، وأبو هلال العسكري الذي ألف كتاب « التلخيص في معرفة أسماء الأشياء » والخطيب الإسكافي الذي ألف كتاب (مبادئ اللغة) وأبو منصور الثعالبي الذي ألف كتاب (فقه اللغة وسر العربية) ، وابن سيده الذي ألف كتاب (المخصص) إلي غير ذلك من الرسائل والكتب التي تحوي معاني وموضوعات خاصة[2] .

وإلى جانب هذا النوع من التأليف الذي ظهر في القرن الثاني الهجري واستمر حتي القرن الثالث ظهر نوع ثالث من التأليف يقوم على جمع ألفاظ اللغة بطريقة حاصرة ، شارحة معانيها ، وترتب فيه الألفاظ ترتيبا خاصا ، ليسهل على من يريد الوقوف على معنى لفظة الرجوع إليها في موضعها من المصنف ، ويطلق على هذا النوع اسم (معاجم المواد اللغوية) أو (المعاجم اللفظية) ، وكان فرس الرهان في هذا النوع من التأليف العالم اللغوي العماني الأصل الخليل بن أحمد

---

(١) راجع : المعجم العربي للدكتور حسين نصار : ٥٠.

(٢) انظر : دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح مبروك : ٣١.

الفراهيدي (١٠٠ - ١٧٥ هـ) حيث قام بتأليف كتاب (العين) الذي يُعَدُّ رائد العمل المعجمي في تاريخ العربية ، ثم تتابعت مدارس المعاجم بعد ذلك ، وألفت عشرات المعاجم بعد القرن الثاني الهجري ، إذ يعد تأليف الخليل بن أحمد لكتاب «العين» هو البداية الحقة للتأليف في معاجم العربية اللفظية بصفة عامة .

تطور التأليف في المعاجم العربية:

تقدم أن تأليف الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠- ١٧٥هـ) لكتاب (العين) في القرن الثاني الهجري ، يعد البداية الحقيقية للتأليف في المعاجم العربية اللفظية ، حيث تتابع بعده التأليف في هذا النوع من المعاجم.

إذ في القرن الثاني نفسه ، ظهر معجم (الجيم)[1] لابي عمرو الشيباني (٩٤- ٢٠٦هـ) وقد رتب مادته العلمية اللغوية علي الترتيب الهجائي (الألفبائي) بحسب الأصل الأول للكلمة .

وفي القرن الثالث ظهر معجم (التقفية) لأبي بشر اليمان بن اليمان البندنيجي (ت٢٨٤هـ) وقد رتب مادته اللغوية على طريقة القافيه ، بحسب الأصل الأخير للكلمة فجعل الحرف الأخير بابا ، والحرف الأول فصلا.

وفي القرن الرابع الهجري ظهر معجم (جمهرة اللغة) لابن دُرَيْد (٢٢٣- ٣٢١هـ) ، وقد اقتفى فيه طريقة الخليل بن أحمد في جمعه فروع المادة الواحدة في موضع واحد ، كما تبعه في طريقة التقليبات ؛ ولكنه خالفه في ترتيب المادة اللغوية ، حيث رتبها ترتيبا هجائيا (الفبا ئيا) بحسب الأصل الأول للكلمة.

وفي القرن نفسه ظهر معجم (ديوان الأدب) لإسحق بن إبراهيم الفارابي (ت ٣٥٠هـ) وقد رتب مادته اللغوية على طريقة القافية، كما فعل البندنيجي.

---

(١) «الجيم» في لغة العرب تعني: الديباج ، هكذا ذكر الفيروزابادي في (القاموس)، كما ذكر صاحب (تاج العروس) أن لأبي عمرو الشيباني كتابا في اللغة سماه (الجيم) كأنه شبهه بالديباج لحسنه، ولعل صاحبه أراد ذلك . (انظر : القاموس المحيط : ٩٤/٤ ، ودراسات في المعجمات العربية ...

كما ظهر معجم (البارع) لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ)، وقد رتب مادته اللغوية على طريقة الخليل بن أحمد في كتابه (العين) .

وظهر أيضا معجم (تهذيب اللغة) لأبي منصور الأزهري (٢٨٢ – ٣٧٠ هـ) ونهج في ترتيبه نهج الخليل في كتابه (العين) أيضا ، من حيث التزام طريقة التقليبات ، وجمع فروع المادة الواحدة في موضع واحد.

وظهر في القرن الرابع أيضا معجم (المحيط) للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) كما اختصر كتاب (الجمهرة) لابن دريد في مؤلف سماه (الجوهرة) ، وقد سار في الكتابين على نهج الخليل في كتاب (العين).

وظهر أيضاً معجم(تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري (٢٢٣ – ٣٩٣هـ) وقد رتب مادته العلمية على نظام القافية ، كما فعل البندنيجي والفارابي.

وبعده ظهر معجم (المجمل) لأبي الحسين أحمد بن فارس القزويني (٣٢٩ – ٣٩٥هـ) وقد رتب مادته اللغوية علي نظام الأبجدية العادية ، كما فعل أبو عمر الشيباني كتابه (الجيم) .

ونظرا لكثرة المعاجم التي ألفت في العصر الرابع الهجري ، أصبح جديرا بأن يطلق عليه اسم (العصر الذهبي للمعاجم).

وفي القرن الخامس الهجري ظهر معجم (المحكم والمحيط الأعظم) لأبي الحسن علي بن اسماعيل بن سيده الأندلسي (٣٩٧ – ٤٥٨ هـ) وقد سار في ترتيب مادته اللغوية وجمع فروع المادة الواحدة في موضوع واحد علي نهج الخليل في كتاب (العين)

وفي القرن السادس الهجري ظهر معجم (أساس البلاغة) لأبي القاسم جار الله بن محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ – ٥٣٨ هـ) وقد رتب مادته اللغوية على نظام الأبجدية العادية ، كما فعل أبو عمرو الشيباني في (الجيم) وابن فارس في (المجمل) ، ويمتاز (أساس البلاغة) عن غيره من المعجمات ، بأنه لا يكتفي بشرح معنى اللفظة ، بل يشير إلى مواطن استعمالها، وذلك بذكرها في سياقات

شريفه ، أو مأثورة من فصيح كلام العرب – شعره ونثره – وبعنايته الفائقه بالتفرقة بين المعاني الحقيقة والمعاني المجازية.

وفي القرن السابع الهجري ظهر معجم (النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير الجزري (٥٤٤ – ٦٠٦هـ) وقد سار في ترتيبه على طريقة الزمخشري في (أساس البلاغة) حيث رتب مواده اللغوية بحسب الأبجدية العادية .

كما ظهر معجم (العباب الزاخر واللباب الفاخر) للحسن بن محمد الصغاني (٥٧٧– ٦٥٠هـ) وقد رتب مادته اللغوية على طريقة القافيه كما فعل الجوهري في (الصحاح).

وظهر أيضا معجم (تهذيب الصحاح) لمحمود بن أحمد الزنجاني (ت ٦٥٦هـ) وقد اتبع في ترتيبه طريق القافية كما فعل الجوهري في (الصحاح) .

وظهر كذلك معجم (مختار الصحاح) لزين الدين محمد بن محمد الرازي (ت ٦٦٦ هـ) وهو اختصار لصحاح الجوهري ، وقد رتبه الرازي على طريقة القافيه كما في « الصحاح » وقد أعيد ترتيبه على طريقة الأبجدية العادية بمعرفة محمود خاطر سنة ١٩٠٥ م.

وفي القرن الثامن الهجري ظهر معجم (لسان العرب) لمحمد بن المكرم المعروف بابن منظور المصري (٦٣٠ – ٧١١ هـ) وقد رتب مادته اللغوية على طريقة القافية ، ويقع في عشرين جزءا من الحجم الكبير، حيث يشتمل على نحو الثمانين ألف مادة لغوية.

كما ظهرأيضا معجم (المصباح المنير) لأحمد بن محمد المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ) وقد رتب مادته اللغوية على نظام الأبجدية العادية التي اتبعها أبو عمرو الشيباني وابن فارس والزمخشري .

وفي القرن التاسع الهجري ظهر معجم (القاموس المحيط) لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (٧٢٩ – ٨١٧ هـ) وقد رتب مادته اللغويه على نظام القافية كما فعل الجوهري في الصحاح .

وبعد صدور معجم (القاموس المحيط) تكاد تكون حركة تأليف المعاجم قد توقفت ، إذ ربما لم يعد لدى اللغويين شيئا جديدا يمكن أن يقدموه للناس ، ولم يعد في الإمكان أبدع مما كان ، وإنما كان اللاحق بعد ذلك حملا على السابق ، إذ كان كل من صنف معجما جديدا، يستقي مادته اللغوية ونظام ترتيبه من المعاجم التي سبقه بها آخرون ، ولم يعد في جعبة اللغويين بعد ما تم إخراجه من معاجم ، سوي مجرد شروح على المعاجم السابقة ، أو نقود ومآخذ عليها. مثل معجم (تاج العروس) الذي ألفه السيد مرتضى الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٦هـ) شرحا على (القاموس المحيط) وهو مرتب على نظام ترتيب القاموس ، ومعجم (الجاسوس على القاموس) الذي ألفه أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٨٧ هـ) وقد تناول فيه (القاموس المحيط) في ثلاثة وعشرين نقدا ، ضمنها مقدمة (الجاسوس) .

معاجم العصر الحديث

بعد صدور (القاموس المحيط) وشروحه ونقوده ، ظهرت معجمات حديثة التزمت جميعها في ترتيب موادها اللغوية نظام الأبجدية العادية من أهمها:

١- (محيط المحيط في اللغه واصطلاحات الفنون) تأليف المعلم بطرس البستاني اللبناني (١٨١٩ - ١٨٨٣م) .

٢- «أقرب الموارد في فصيح العرب والشوارد» تأليف سعيد الشرتوني اللبناني » (١٨٤٩- ١٩١٢م) .

٣- «البستاني» تأليف الشيخ عبد الله البستاني اللبناني (١٨٥٤ - ١٩٣٠م) .

٤- « المنجد » تأليف الأب لويس معلوف اليسوعي اللبناني (١٨٦٧- ١٩٤٦م)

٥- «المورد» تأليف منير البعلبكي اللبناني.

ومما توج به العصر الحديث ظهور المعجمات اللغويه التي صدرت عن مجمع اللغة العربية القاهري مثل : المعجم الكبير ، ومعجم الفاظ القرآن الكريم . والمعجم الوسيط.

كما أخرجت المطابع في العصر الحديث أنواعا أخري من المعاجم ، تعد روافد للمعاجم اللغوية الأصيلة ، غير أنها تتميز عنها بأنها تعالج قضايا متنوعة ، وتخصصات مختلفة ، لكل منها هدفه ومنهج إعداده ، وأسلوب عرضه ، ويمكن تصنيف هذه المعاجم الحديثة في الأنواع التالية:

(أ) المعاجم التاريخية .

وتهتم هذه المعاجم بالبحث في أصل الكلمة ، وتتبع آستعمالها عبرالعصور ، معتمدة على النصوص التي وردت بها ، وما طرأ على هذه النصوص ، فتقوم بالتأريخ لأصل الكلمة ، وتتبع حياتها ، ومايطرأ على بنيتها من تغيير على مر

العصور . ويُعد معجم (أكسفورد) التاريخي للغة الانجليزيةمن أهم الإنجازات في مجال المعاجم التاريخية[1]

(ب) المعاجم الاشتقاقية :

وتهتم بمعرفة أصل الكلمة ، وهل هي عربية أم معربة أم دخيلة ، ثم اشتقاقها لمعرفة ما يمكن أن يشتق منها من الصيغ ، ومعانى هذه الصيغ الممكنة . وعليه فمهمة هذا النوع من المعاجم الوقوف على أصل الكلمة ، والمستوي اللغوي الذي تنتمي إليه.

(ج) المعاجم المتخصصة

ويطلق عليها اسم (معاجم المصطلحات) وتهتم بحصر مصطلحات علم بعينه أو فن بذاته ، وتتناول كل مصطلح بالشرح والتفسير بحسب استخدام أهل الفن له والمتخصصين فيه ، ويشترط في هذا النوع أن يكون بأقلام متخصصين في الفن ذاته.[2]

(د) معاجم الموسوعات

ويطلق عليها اسم (دوائر المعارف) وهي عبارة عن سجلات أبجدية للمعارف العامة ، كما أنها معاجم للعلم والفكر ، تمد الإنسان بالمعنى اللغوي للألفاظ ، فضلا على ما توفره من خلاصة دقيقة لما يرتبط باللفظ من بحوث ودراسات علمية مثل (دائرة المعارف الإسلامية) و (دائرة المعارف البريطانية)[3] .

---

(١) انظر : مدخل إلى علم اللغة للدكتور محمود فهمي حجازي : ٧٨.

(٢) راجع : كلام العرب للدكتور حسن ظاظا :١٢٥.

(٣) راجع : دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح مبروك : ٣٣، ٣٤.

المَبْحَثُ الثَّانِي

المُعْجَمُ

اشتقاقه ودلالته

الإعجام – لغة – مصدر الفصل الثلاثي المزيد بالهمزة (أَعْجَمَ) ، ويقال العُجْمَة أيضا ، وهي بمعنى : الإبهام والغموض ، من « عجم الزبيب » وهو بذوره لما فيه من الخفاء والستر ، وعدم الوضوح . ومنه :الحيوان الأعجم، لعدم قدرته على الإفصاح عما في نفسه ، أو الإبانه عن ما يريد.

والإعجام ضد الإعراب .

فإذا كان الإعراب يعني : الإفصاح والإبانة ، لقول الرسول الكريم – صلي الله عليه وسلم – :

« الْبِكْرُ تُسْتَأْمَرُ وإِذْنُهَا صِمَاتُهَا ، وَالأَيِّمُ تُعْرِبُ عَنْ نَفْسِهَا » [1] أي تفصح وتبين . فإن الإعجام يعنى : الإبهام ، والغموض .

ومعجِم -بكسر الجيم – اسم الفاعل من الفعل (أَعْجَمَ) وبفتحها اسم مفعول بمعنى : مُبْهَم ، ومُغْلَق ، أو مصدر ميمي ، بمعنى : الإبهام والغموض والانغلاق .

ولكن كيف يتسنى أن يكون الكتاب الموضوع بغرض الإفصاح عن معاني الألفاظ ، والإبانة عن مكنوناتها – حقيقة ومجازا – يسمى (مُعْجَم) وهو من الإبهام والخفاء والستر ؟!

أقول : إننا لو رجعنا إلي ما درسناه من علم الصرف في الفرقة الأولى

---

(١) انظر في الحديث : الجامع الصغير للسيوطي : ١ / ١٧٤ .

واسترجعنا معاني صيغ الأفعال ، المزيدة منها على وجه الخصوص ، لتبينا أن معاني زيادة (الهمزة) : السلب والإزالة ، بمعنى أنها تزاد في الفعل فتسلبه المعنى الذي وضـع – أصلا – بإزائه ، بل تعطيه معني مضادا ، ودلالة عكسية نحو: أقذيت عين فلان ، أي : أزلت القذي (١) عن عينه ؛ وأشكيت فلانا ، أي : أزلت شكواه ؛ أعجمت الكتاب أي: أزلت عجمته ، وفسرته ، وأوضحته ؛ وعن ذلك يقول ابن جني : « ثم إنهم لما قالوا : أعجمت الكتاب ، إذا بينته وأوضحته فهو إذن لسلب معنى الاستبهام لا لإثباته »(٢) .

ومِنْ ثَمَّ فإن (المعجَم) اسم المفعول من الفعل الثلاثي المزيد بهمزة السلب والإزالة (أَعْجَمَ) فهو بمعنى : المزالة عجمته ، والمفسَّر ، والموضَّح ، والمبَيَّن : أو مصدر ميمى منه، فهو بمعنى : إزالة العجمة ، والتفسير ، والتوضيح ، والتبيين .

أما في الإصطلاح ، فالمعجم : «كتاب تدون فيه ألفاظ اللغة ، مرتبة علي نمط معين ، مشروحة شرحا يزيل إبهامها ، ومضاف إليها ما يناسبها من المعلومات التي تفيد الباحث ، وتعين الدارس على الوصول إلى مراده ، والوقوع على طلبته»(٣) .

ويستدل على صحة هذا الذي ذهبنا إليه بأن نصر بن عاصم الليثى ، حين عمد إلي نقط حروف الهجاء المتشابهة للتمييز بينها كالباء ، والتاء ، والثاء ، والجيم والحاء ، والخاء...سمى هذا النقط « نقط الإعجام » لأنه يرفع الغموض عن الحروف المتشابهة ، ويزيل إبهامها ، فيمتاز كل حرف منها عن صاحبه ؛ وذلك بخلاف « نقط الاعراب » الذي فعله أبوالأسود الدؤلي حينما أقدم على تشكيل حروف المصحف ، والذي كان الغرض منه الإفصاح والإبانة عن شكل الحرف هل هو مفتوح أو مكسور أو مضموم ؟

---

(١) القذى : غبار أو نحوه ، يستقر في العين فيؤدي إلى إحتقانها.

(٢) انظر : الخصائص لابن جني :٣/ ٧٥.

(٣) راجع : المعاجم اللغوية للدكتور ابراهيم نجا الابياري: ٥٠.

وحُكِيَ عن الخليل بن أحمد الفراهيدي أنه كان يسمي حروف الهجاء « حروف المعجم » ويقول : « هي الحروف المقطعة لأنها أعجمية »[1] .

ويفسر أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني كلام الخليل بقوله: « أي : أنها مادامت مقطعة ، غير مؤلفة تأليف الكلام المفهوم ، فهي أعجمية ، لأنها لا تدل على شيء»[2] .

(١) دراسات في المعاجم العربية للدكتور أمين فاخر : ٦.

(٢) معجم (مقاييس اللغة) لابن فارس : مادة (عجم) .

متى ظهر مصطلح (المعجم)؟

لم تمدنا النقول التي أثرت عن اللغويين الأوائل بالعصر الذي ظهر فيه مصطلح المعجم إلى الوجود ، ولم يتوصل أحد من الباحثين إلى الزمن الذي أطلق فيه هذا المصطلح على الكتب التي تعنى بجمع مفردات اللغة ، ونظمها في نسق معين ، ثم شرحها وتوضيح معانيها .

ولا ريب أن إطلاق هذا المصطلح على هذا النوع من التآليف والتصانيف ، إنما جاء متأخراً عن الوقت الذي ظهرت فيه هذه التآليف ؛ إذ لم يؤثر عند اللغويين القدامى أن استعملوه أو أطلقوه على مؤلفاتهم ومصنفاتهم اللغوية ، وإنما كانوا يختارون لكل منها اسماً خاصاً به ، مجرداً من هذا المصطلح مثل : العين ، جمهرة اللغة ، الجيم ، التهذيب ، الصحاح ، المحكم ، العباب .. الخ [1] ..

ومن الراجح أن علماء اللغة ليسوا أول من استخدم هذا المصطلح الذي بات متعارفاً عليه اسماً لكل كتاب ترتب فيه المادة اللغوية بطريقة معينة ، بل كانوا مسبوقين في ذلك بعلماء الحديث النبوي ، ورجالاته ، حيث ينقل الدكتور ناجح عبد الحافظ مقالة الدكتور عدنان الخطيب : «لا يعرف بالتحديد متى استعملت كلمة (معجم) بهذا المعنى ، وإن كاد أن يكون المتفق عليه أن علماء الحديث النبوي الأوائل هم الذين ألفوا الكتب بترتيب حروف الهجاء ، ويقال : إن محمد بن اسماعيل البخاري (١٩٤ – ٢٥٦هـ) أول مَنْ أطلق لفظة (المعجم) وصفاً لأحد كتبه المرتبة على حروف الهجاء[2] .

---

(١) راجع : دراسات في المعجمات العربية للدكتور/ ناجح عبد الحفيظ : ١١ .

(٢) ربما كان المقصود بكتاب البخاري ، كتابه المسمى (التاريخ الكبير في تراجم الرجال) أو كتابه (أسماء الرواة) ولكن لم يقترن أي منهما بلفظة (معجم) ونرى أن أول من أطلقها حقيقة هو الإمام الطبراني حيث ألف ثلاثة كتب في مرويات الصحابة ورتبها تبعاً لاسم الصحابي بحسب الأبجدية العادية ، وسماها : المعجم الكبير ، والمعجم الأوسط ، والمعجم الصغير .

وينقل لنا أيضاً الدكتور ناجح قول الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في هذا الصدد: «إن أول من استعمل الكلمة – يقصد المعجم – رجال الحديث ، وأول ما عرفت كان في القرن الثالث الهجري ، وأول كتاب أطلق عليه اسم (المعجم) هو «معجم الصحابة» لأبي يعلى التميمي الموصلي (٢١٠ – ٣٠٧هـ)[١] وكذلك صنع أبو القاسم عبد الله محمد بن عبد العزيز البغوي (ت ٣١٥هـ) في كتابيه (المعجم الكبير) ، (المعجم الصغير) .

متى ظهر مصطلح (القاموس) ؟

جاء في (لسان العرب) لابن منظور : «القاموس : قعر البحر . أو وسطه ، أي معظمه ، قال أبو عبيد : القاموس : أبعد موضع غوراً في البحر»[٢] .

والقاموس – في اللغة – : البحر العظيم ، أو البحر المحيط الواقع الشامل .

وقد شاع بين الناس واشتهر في العصر الحديث ، إطلاق لفظة (قاموس) على أي معجم ، سواءً وضع باللغة العربية ، أم بأية لغة أجنبية ، أم كان مزدوج المادة اللغوية ؛ ولكن مَنْ أول من استخدم هذه اللفظة ، وأطلقها اسماً على المعجم ؟

إن أول من أطلق لفظة (القاموس) من اللغويين على معجمه هو الإمام مجد الدين الفيروزابادي ولكن لا ندري لِمَ اختار له هذا الاسم ؟!

ولكن تتبدى ظاهرة تكاد تكون سائدة ومطردة بين غالبية علماء اللغة الذين تصدوا لهذا النوع من التأليف والتصنيف ، وهي ظاهرة إطلاق اسم (البحر) أو مرادفاته على مؤلفاتهم ومصنفاتهم ، ربما لدلالته على ما تزخر به من معلومات ، وما يكتنفه باطنها من إفادات ؛ أو الإيحاء بأن عمقها غائر لا يمكن سبره ، وأنه

---

(١) دراسات في المعجمات العربية : ١١ .

(٢) انظر : لسان العرب : ٨ / ١٦٦ (مادة : ق م س) .

لابد من الغوص فيها للظفر بما في باطنها مما تم ستره فقد تقدم أن الصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ) أطلق على كتابه اسم (المحيط) . وأطلق ابن سيده (٣٩٧ – ٤٥٨هـ) على معجمه اسم (المحكم والمحيط الأعظم) : وفي القرن السابع ألف الصغاني (٥٧٧ – ٦٥٠هـ) معجمه وسمّاه (العباب الزاخر) ، وربما كانت هذه سنّة متبعة ، وطريقة ملتزمة لدى معظم اللغويين من مؤلفي المعاجم ، وهي الشغف بتشبيه مؤلفاتهم ومصنفاتهم بالبحر والمحيط والنهر ، حتى إن أبا حيان الأندلسي حينما ألف كتاباً في تفسير القرآن الكريم سمّاه (البحر المحيط) وعندما عمل عليه مختصراً سماه (النهر الماد من البحر) . إيثاراً منه لإضفاء صفة العموم أو الشمول لجميع المعارف ، والاحتواء لما لا يحصى من الفوائد .

ونظراً لما امتاز به (القاموس المحيط) للفيروزابادي من إيجاز في المادة ، ودقة في العبارة ، وضبط للألفاظ ؛ فقد نال ثقة العلماء والباحثين ، وكثر تداوله بينهم ، وبمرور الزمن ، ومع كثرة تردد اسم (القاموس المحيط) على ألسنة الباحثين والدارسين والمؤلفين ، أصبحت لفظة (قاموس) مرادفة للفظة (معجم) ، بل فاقتها شهرة وذيوعاً ، وبات اسم (القاموس) يطلق على أي معجم ، وأدخل هذا اللفظ المولد في كتب اللغة الحديثة ، واعتبر إطلاقه على المعجم من قبيل المجاز أو التوسع في الاستخدام[1] .

---

(١) المعجم العربي للدكتور / حسين نصار : ١ / ١٤ بتصرف ، والبحث اللغوي عند العرب للدكتور / أحمد مختار عمر : ١١٩ – ١٢٠ .

ما يجب مراعاته عند وضع المعجم

عند وضع أي معجم لغوي ، يجب أن يضع اللغوي نصب عينيه أموراً بعينها ، يَلْزَمُ توافرها ويُلْزِمُ نفسه بمراعاتها منذ بدء تفكيره في وضع المعجم ، وتنحصر هذه الأمور فيما يلي :

أ- مستوى استعمال المعجم .

ب- لغة المعجم .

جـ- مادة المعجم .

د- شرح المادة اللغوية .

ونتناول هذه الأمور الأربعة في الصفحات التالية بالشرح والتفصيل :

أ- مستوى استعمال المعجم:

يجب على اللغوي قبل أن يبدأ في تسجيل المادة اللغوية في معجمه ، أن يحدد نوع الشريحة البشرية التي سوف تستخدم هذا المعجم ، ومدى حاجتهم إليه ، هل هم ممن يدرسون اللغة ويبحثون فيها ؟ أو ممن يبحثون في الأصول والعلوم الفقهية ؟ أو ممن يهتمون بالعلوم الكلامية والفلسفة ؟ إلى غير ذلك من أنواع التخصصات التي يجب أن يوفرها لهم المعجم ، ويعرضها أمامهم في وضوح تام ، وعلى جانب كبير من الشرح والتفصيل والإبانة . كما يلزم أيضاً أن يراعي المستوى الفكري والثقافي لمن يستعملون المعجم، فما يحرر للعلماء ، خلاف ما يحرر لانصاف المتعلمين ، غير ما يحرر للعامة .

ب- لغة المعجم:

ترتيباً على تحديد مستوى استعمال المعجم ، يتم تحديد اللغة التي تستخدم في تحريره ، إذ يلجأ اللغوي إلى اللغة الفصحى العالية إذا كان محرراً للعلماء والمعلمين ممن يدرسون اللغة ويبحثون فيها ، ويتعاملون بها كمن يؤلفون بالفصحى ويستخدمونها في عرض أفكارهم ، وكذلك ممن يدرسون ويبحثون في الأمور الدينية والفقهية ، ولا سيما تفسير القرآن الكريم ، وشرح الحديث النبوي ، وأمور العقيدة ..

ويستخدم الفصحى الميسرة ، تلك التي يطلق عليها اسم (العامية العالية) إذا كان المعجم متوجهاً إلى محرري الصحف اليومية والمجلات الدورية ، ونشرات الإعلام ، والروايات الاجتماعية .

كما يستخدم اللغة العامية إذا كان المعجم مخصصاً لمن هم دون المتوسط في التعليم ، ممن إمّحت أميتهم فقط دون تحصيل قدر كاف من التعليم كقصص الأطفال ، والقصص الشعبي ، نحو أبو زيد الهلالي ، وألف ليلة وليلة ..

جـ- مادة المعجم:

يجب أن يحدد اللغوي ابتداءً الطريقة التي سوف يلتزمها في إثبات مادته اللغوية في المعجم ، وطريقة ترتيبها وترتيب فروعها ، بحيث تكون المواد واضحة الترتيب في مواضعها ، وتوضع الصيغ الشاذة كمواد قائمة بذاتها إن أمكن ، وإلا فيشار إلى مواضعها قرين المادة الأصلية .

كما يجب أن توضع الصيغ الاشتقاقية للمادة اللغوية بحذائها في مكان واحد وإن وضعت مقدمة نحوية صرفية مختصرة توضح معاني هذه الصيغ الاشتقاقية يكون أفضل وأعم للفائدة .

د- شرح المادة اللغوية :

يجب مراعاة الإبانة والتوضيح لكل ما يشتمل عليه المعجم من مواد لغوية عن طريق الشرح والتفصيل ، كذا صيغها الاشتقاقية ، كما يفضل إعطاء إيضاح كامل للدلالة اللغوية للمادة عن طريق ذكر الاضداد ، والمترادفات ، والمشترك اللفظي ، ولابد أن يتم هذا في أقصى حد ممكن من الاختصار والإيجاز ، كما يفضل التمييز بين المعاني الأصلية للمادة والمعاني الثانوية وكذا بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية ، مع تقديم أمثلة وشواهد تؤيد كل من هذه المعاني .

مستوى اللغة المستخدمة

في تحرير المعاجم اللغوية

حرص اللغويون الذين تصدوا لتأليف المعاجم وتصنيفها ، أن يكون رائدهم ، والمحور الذي يدور حوله تأليفهم وتصنيفهم ، هو الفصيح من الألفاظ ، دون الغريب أو المبتذل أو الحوشي ، وقوام ذلك اختيار اللفظ الحسن والمعنى الجميل الجرس والذي يعبر عنه أحياناً باسم (الصحيح) وذلك في مقابلة اللفظ الغريب ، والوحش والمبتذل ، الذي تنفر الأذن من سماعه ، وتأبى النفس البشرية تقبل معناه .

فالصحيح : هو ما تواتر استخدامه على ألسنة العرب الخُلّص ، الموثوق بعربيتهم[1] .

والغريب هو ما غمض معناه ، ونَدَّ دركه عند الأفهام ، ولا يتوصل إليه إلا بالتنقيب عنه في بطون كتب اللغة المبسوطة ، مثاله ما روي عن عيسى بن عمر النحوي ، أنه سقط يوماً عن حماره ، فاجتمع عليه الناس ، فقال لهم : «ما لكم تكأكأتم عليّ تكأكؤكم على ذي جنة ؟! أفرنقعوا عني»[2] .

المبتذل : هو ما كان شائعاً بين العامة دون الخاصة[3] .

الحوشي : ويقال له (الوحش) وهو اللفظ الذي ينفر منه السمع وتأباه القرائح وتمجه النفس الإنسانية .

وقد أورد الخليل بن أحمد في كتابه (العين) جميع الألفاظ بكل أنواعها ، وذلك

---

(١) انظر : المزهر للسيوطي : ١ / ١٨٥ .

(٢) المصدر السابق : ١ / ١٨٦ .

(٣) المصدر نفسه : ١ / ١٨٩ .

(٤) المصدر نفسه ١ / ٩٢ .

لأنه كان يتبع طريقة التقليبات ، فيأتي بألفاظ المادة اللغوية بطريقة حسابية ، فلا يغيب عنه منها شيء ، ثم ينبه على المستعمل منها ويشرحه ، كما ينبه على المهمل منها ويتركه دون شرح.

وجاء بعده ابن دريد ، فحاول تخليص معجمه من الغريب ، والحوشي ، والمبتذل ، وذلك بالتركيز على ما شاع استخدامه بين الجمهور ، وإذا سمي معجمه (جمهرة اللغة) حيث يقول في مقدمته : «وإنما أعرناه هذا الاسم لأنا اخترنا له الجمهور من كلام العرب ، وأرجأنا الوحشي والمستنكر»[1] . فهو لم ينحِّ عن معجمه الغريب والوحشي والمبتذل وإنما أرجأها إلى نهاية كل باب ، فجعل لكل باب ملحقاً منها .

والدليل على أن الخليل وابن دريد لم ينقيا معجميهما من الألفاظ المستنكرة والمستكرهة ، إيثار اللغويين من بعدهما تسمية معاجمهم بأسماء توحي بحرص أصحابها على تنقية لغة المعاجم من هذه الألفاظ مثل (تهذيب اللغة) للأزهري ، و(الصحاح)للجوهري.

فأبو منصور الأزهري ، أخذ لغة معجمه (تهذيب اللغة) مشافهة من الأعراب حيث يقول الأستاذ/ أحمد عبد الغفور عطار محقق الكتاب في مقدمته : «وساعد الأزهري على تحري الدقة والصواب : أنه لبث أسيراً عند بعض قبائل العرب أكثر من خمس عشرة سنة ، أخذ خلالها اللغة من أفواه العرب الأقحاء الأصلاء»[2] .

وتأييداً لما قاله الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في مقدمة تحقيقه ، يقول الأزهري نفسه في مقدمة الكتاب : «وقد سميت كتابي هذا (تهذيب اللغة) لأني قصدت بما جمعت فيه نفي ما أدخل في كلام العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغها ، وغيَّرها الغُتْمُ عن سَنَنِها ، فهذبت ما جمعت في كتابي من

---

(١) انظر : المزهر : ١ / ٦٢ .

(٢) مقدمة تحقيق (تهذيب اللغة) : ١٢ .

التصحيف والخطأ بقدر علمي ، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله ، والغريب الذي لم يسنده الثقات من العرب»[1] .

ويقول أيضاً : «ولم أودع كتابي هذا من كلام العرب إلا ما صح لي سماعه منهم ، أو رواية عن ثقة ، أو حكاية عن خط ذي معرفة ثابتة ، اقترنت إليه معرفتي اللهم إلا حروفاً وجدتها لابن دريد وابن المظفر في كتابيهما ، فبينت شكي فيها ، وارتيابي بها ، ووقوفي فيها»[2] .

ويقول ابن فارس عن اللغة التي اختار منها مادته العلمية في كتابه (المجمل) : «وقد ذكرنا الواضح من كلام العرب والصحيح منه ، دون الوحشي والمستنكر ، ولم نأل جهداً في اجتباء المشهور الدال على غرر ، وتفسير حديث أو شعر ، والمقصود في كتابنا هذا من أوله إلى آخره : التقريب والإبانة عما ائتلف من حروف عربية فكان كلاماً ، وذكر ما صح من ذلك سماعاً ، أو من كتاب لا يشك في صحته أو نسبته ، لأن مَن علِمَ أن الله تعالى عند مقال كل قائل ، فهو حري بالتحرج من تطويل المؤلفات وتكثيرها بمستنكر الأقاويل ، وشنيع الحكايات وبُنَيَّاتِ الطريق ، فقد كان يقال : من تتبع غرائب الأحاديث كذب ، ونحن نعوذ بالله من ذلك»[3] .

أما عن الجوهري صاحب معجم (الصحاح) فيقول عنه السيوطي : «وأول من التزم الصحيح مقتصراً عليه ، الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ولهذا سَمَّى كتابه (الصحيح)[4] .

ويقول الجوهري في مقدمة (الصحاح) : «وقد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة التي شرَّف الله منزلتها ، وجعل علم الدين والدنيا منوطاً بها

---

(١) مقدمة الأزهري لكتابه (تهذيب اللغة) : ١١٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) انظر : المجمل : (أول كتاب الجيم).

(٤) المزهر للسيوطي : ١ / ٩٧ .

ويمعرفتها»[1] . ثم يصرح بمشافهته للأعراب وأخذ لغة معجمه منهم بقوله : « .. بعد تحصيلها بالعراق رواية ، وإتقانها دراية ، وشافهة بها العرب العاربة ، في ديارهم بالبادية ، ولم آل في ذلك نصحاً ، ولا ادخرت وسعاً[2] .

أما الزمخشري فلم يقتصر في معجمه (أساس البلاغة) على اختيار الفصيح من الألفاظ والصحيح من الكلام ، وإنما خطا خطوة بعد ذلك ، إذ تخير ما وقع في عبارات المبدعين ، وانطوى تحت استعمالات المفلقين ، أو ما جاز وقوعه فيها ، وانطواؤه تحتها من التراكيب التي تملح وتحسن ، ولا تنقبض عنه الألسن ، لجريها على رسالات الأسلات ، مع الاستكثار من نوابغ الكلم ، الهادية إلى مراشد حر النطق ، الدالة على ضالة المنطيق المغلق[3] .. ومن ثم كان تركيزه على توضيح التراكيب دون المفردات ، حتى أصبح من خصائص معجمه : «التوقيف على مناهج التركيب والتأليف ، وتعريف مدارج الترتيب والترصيف ، بسوق الكلمات متناسقة لا مرسلة بَدَداً، ومتناظمة لا طرائق قِدَداً»[4] هذا فضلاً على (إثباته الاستعمالات المجازية للتراكيب إلى جانب الاستعمالات الحقيقية لها.

أما ابن منظور ، فقد أورد في معجمه (لسان العرب) كل ما يمكن جمعه من ألفاظ اللغة ، حيث يقول عن كتابه في مقدمته : «جمع من اللغات والشواهد والأدلة ما لم يجمع مثله ، لأن كل واحد من هؤلاء العلماء (يقصد من نقل عنهم) انفرد برواية رواها وبكلمه سمعها من العرب شفاهاً ، ولم يأت في كتابه بكل ما في كتاب أخيه ، ولا أقول : تعاظم عن نقله ، بل أقول : استغنى بما فيه ، فصارت الفوائد في كتبهم مفرقة ، وسارت أنجم الفضائل في أفلاكها هذه مغربة وهذه مشرقة ، فجمعت منها في هذا الكتاب ما تفرق ، وجمعت بين ما غرّب منها وبين ما شرّق ،

---

(١) انظر : مقدمة (الصحاح) للجوهري .

(٢) المرجع السابق .

(٣) انظر : مقدمة الزمخشري لكتابه (أساس البلاغة) : ل .

(٤) المصدر السابق .

فانتظم شمل هذه الأصول كلها في هذا المجموع ، وصار هذا بمنزلة الأصل ، وأولئك بمنزلة الفروع ، فجاء بحمد الله – وفق البغية المنية ؛ وبسطت القول فيه ، ولم أشبع باليسير ، فطالبِ العلم منهوم ، فمَن وقف على صواب فيه أو زلل ، أو صحة أو خلل ، فعهدته على المصنف الأول»[1] .

أما الفيروزابادي ، فكان همه الأكبر أن يجمع في معجمه (القاموس المحيط) كل ما يمكن جمعه من اللغة ، حتى يسد النقص الذي يكون قد ورد فيما تقدمه من معاجم ، حيث يقول : «وكنت برهة من الزمن ، التمس كتاباً جامعاً بسيطاً ، ومصنفاً على الفصح والشوارد محيطاً ، ولما أعياني الطلاَّب ، شرعت في كتابي الموسوم (باللامع المعلم العجاب ، الجامع بين المحكم والعباب) ، فهما غرة الكتب المصنفة في هذا الكتاب ، وأضفت إليه زيادات امتلأ به الوطاب ، غير أني خمنته في ستين سفراً ، يعجز تحصيله الطلاب ، وسئلت تقديم كتاب وجيز على ذلك النظام ، فألفت هذا الكتاب ، محذوف الشواهد والشوارد ، مطروح الزوائد ، مُعْرِباً عن الفصح والشوارد»[2] .

وأما مجمع اللغة العربية القاهري ، ممثلاً في اللجنة التي شكلها لإخراج (المعجم الوسيط) ، فلم يعترف بانقطاع سلامة اللغة العربية عند عصر معين ، ولا مكان معين ، بل يورد ما وضع المولَّدون والمُحْدَثُون في الأقطار العربية من الكلمات والمصطلحات والتراكيب ، كما استرشدت اللجنة بما يقره مجلس المجمع ومؤتمره من ألفاظ حضارية مستحدثة ، أو مصطلحات جديدة موضوعة أو منقولة في مختلف العلوم والفنون .

وقد أطرحت اللجنة كثيراً من الألفاظ الحوشية الجافة ، أو التي هجرها الاستعمال لعدم الحاجة إليها ، أو قلة الفائدة منها ، كبعض أسماء الإبل ، وصفاتها ، وأدوائها ، وطرق علاجها .

---

(١) انظر : مقدمة ابن منظور لكتاب (لسان العرب) : ٨ .

(٢) انظر : مقدمة (القاموس المحيط) ١ / ٣ .

كما أغفلت اللجنة بعض المترادفات التي تنشأ عن اختلاف اللهجات مثل : اطمأن – واطبأن ، ورعس – ورعث .. الخ[1] .

أما الأب إلياس معلوف فقد أخذ المادة اللغوية لمعجمه (المنجد) من المعاجم القديمة ، ولكنه عمل على تنقيتها من الغريب ، والحوشى والمبتذل ، وتصفيتها من كل ما لا يليق بالذوق الإنساني ، حيث يقول : «وقد تحرينا ما أمكننا المحافظة على عبارات الأقدمين ، وقد أغفلنا ذكر ما يمس حرمة الآداب من الكلمات البذيئة ، التي لا يضر جهلها ، وقلما أفاد علمها»[2] .

* * *

---

(١) انظر : مقدمة (المعجم الوسيط) : ١٠ .

(٢) انظر : مقدمة (المنجد) : ٣ .

نوعية التأليف في المعاجم

تتسم ظاهرة التأليف في المعاجم بسمة بارزة ، وتتصف بصفة واضحة ، لا يمكن إغفالها ، أو التغاضي عنها ؛ وذلك لكون هذه السمة ، إن ظهرت في أي نوع من أنواع التأليف ، أو في أي قبيل من التصنيف ، تعد عيباً شائناً ، ونقصاً فاحشاً ، يعاب عليه مقترفها وينتقص من قدر مرتكبها ، بل تعد من قبيل السرقة والتدليس ، فيما عدا التأليف في المعاجم ، حيث ترتضي فيه هذه السمة ، وتقبل فيه هذه الصفة ، حتى إن مرتكبها ومقترفها ، ليجاهر معترفاً بأنه أخذ من فلان ، وكان عالة على معجم فلان ، بل ويثبت ذلك صراحة في مقدمة مؤلفه أو مصنفه غير خائف ولا هيَّاب .

ألاَ إن هذه السمة هي التقليد ، ونعني بها : اعتماد اللاحق على السابق اعتماداً أساسياً ، والأخذ مما وضعه المتقدمون أخذاً أصيلاً جوهرياً ، فقد شاعت هذه السمة في أعمال اللغويين من مؤلفي المعاجم ومصنفي القواميس ، وأصبحت قاعدة مطردة في هذا النوع من التأليف ، وإن بدت في أعمال المتقدمين منهم والمتأخرين بعض الفروق الفردية ، التي تميز العمل عما سواه ، وتفرق بين معجم وآخر ، وسوف نعرض لهذه الفروق الفردية من خلال دراستنا بعد لمجموعة مختارة من المعاجم العربية إن شاء الله .

فهذا ابن دريد ، حينما ألف معجمه (جمهرة اللغة) ، وحاول أن يرتب مادته اللغوية بطريقة تخالف طريقة الخليل بن أحمد في كتابه (العين) ، لاعتقاده أن طريقة (العين) صعبة المنال على الدارسين ، لم يجد مناصاً من الاعتراف بالتبعية لمعجم (العين) حيث يقول عنه : «وكل مَن بعده له تبع ، أقر بذلك أم جحد»[1] .

(١) انظر : المزهر للسيوطي : ١ / ٩٤ .

وحينما أقدم معاصره نفطويه أن يهجوه لمنافرة بينهما ، عابه بأن كتابه (جمهرة اللغة) إن هو إلا كتاب (العين) ، إلا أنه خالفه في طريقة ترتيب ألفاظه حيث قال :

ابـــنُ دريـــد بقــــرةٌ * وفيــــه عَــــيٌّ وشــره

ويدعــي مـــن حمقــه * وضع كتاب (الجمهرة)

وهــو كتــاب العين إلــ * لا أنــه قــد غيَّــره[1]

وابن فارس القزويني يصرح بالأخذ عن كتب السابقين ، والاعتماد عليها ، ويخص خمسة منها بالذكر ، وهي : (العين) للخليل بن أحمد ، و(إصلاح المنطق) لابن السكيت ، و(الجمهرة) لابن دريد ، و(غريب الحديث) و(الغريب المصنف) وكلاهما لأبي عبيد ، حيث يقول : «فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيما استنبطناه من مقاييس اللغة ، وما بعد هذه الكتب محمول عليها ، وراجع إليها»[2] .

أما الجوهري فيقول عنه الدكتور حسين نصار : «يستقي من (العين) و(الجمهرة) وغيرهما ، ولكنه يزيد عليها كثيراً ، في حين تقل صيغه عما في (التهذيب) كثيراً أيضاً ، وجميع ما فيه موجود في (التهذيب) إلا بعض الشواهد التي يأتي بها من عنده»[3] .

وأما الصغاني فيقول الدكتور حسين نصار أيضاً عن معجمه (العباب) : «وخلاصة القول في (العباب) أنه صدى في مواده لمعظم ما أتت به المعاجم التي قبله ، وخاصة (الصحاح) و(التهذيب) و(المقاييس) ، و(المحيط) ؛ يعني ذلك (العين) و(الجمهرة) ، بل كل ما فيها عدا التافه ، فلا فرق بينه وبين (التهذيب) أكبر المعاجم

---

(١) المزهر : ١ / ٩٤ .

(٢) انظر : مقدمة معجم (مقاييس اللغة) : ٤ ، ٥ .

(٣) المعجم العربي للدكتور / حسين نصار : ٢ / ٢٤٩ .

التي قبله ، إلا في إكثار هذا من أقوال اللغويين المختلفين في اللفظ الواحد ومعانيه»[1] .

ويصرح ابن منظور أنه نقل معجمه (لسان العرب) عن خمسة كتب سابقة عليه وهي (التهذيب) للأزهري ، و(المحكم) لابن سيده ، و(الحواشي على الصحاح) لابن بري ، و(النهاية في غريب الحديث) لابن الأثير الجزري ، و(الصحاح) للجوهري ، حيث يقول : «وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمت بها ، ولا وسيلة أتمسك بسببها ، سوى أني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم ، وبسطت القول فيه ، ولم أشبع باليسير ، فطالب العلم منهوم ، فمن وقف فيه على صواب أو زلل ، أو صحة أو خلل ، فعهدته على المصنف الأول ، وحمده وذمه على الأصل الذي عليه المعوَّل ؛ لأنني نقلت من كل أصل مضمونه ، ولم أبدِّل منه شيئاً ، فيقال إنما إثمه على الذي يبدلونه ، بل أديت الأمانة في نقل الأصول بالنص ، وما تصرفت فيه بكلام غير ما فيه من النص ، فليعتد من ينقل عن كتابي هذا أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة»[2] .

وهكذا نرى أن التقليد والنقل عن السابقين في تأليف المعاجم العربية ، كان سنّة متبعة ، وطريقة ملتزمة ، دون ما ريب أو شك في أنه كانت هناك ميزات تفرد بها كل معجم عن غيره من المعاجم الأخرى ، وتميز به عما سواه .

* * *

(١) المعجم العربي : ٢ / ٥٠٨ .

(٢) مقدمة (لسان العرب) : ١ / ٨ .

المَبْحَثُ الثَّالِثُ

المدارس المعجمية

بعد هذا الذي تقدم ، يمكن حصر المعاجم اللغوية التي ألفت وصنفت في اللغة العربية ، بحسب طريقة ترتيب الألفاظ فيها ، وجمعها في أبواب مرتبة ترتيباً معيناً في ثلاثة أقسام ، سميت باسم (المدارس المعجمية) وهي :

أ) مدرسة التقليبات .

ب) مدرسة القافية .

جـ) مدرسة الأبجدية العادية (الألفبائية) .

والآن نتناول كلاً من هذه المدارس الثلاث بشيء من التفصيل :

أولا: مدرسة التقليبات:

ورائدها ومبتكرها العالم اللغوي العماني الأصل الخليل بن أحمد الفرهيدي (١٠٠ – ١٧٥هـ) صاحب أول معجم شامل في تاريخ اللغة العربية هو معجم (العين) ، حيث جمع فيه الكلمات المكونة من أصل لغوي واحد في موضع واحد ، مراعياً الجانب الصوتي في الحروف ، فهو يبدأ تقليب الأصل اللغوي بأبعد الحروف مخرجاً ، ثم يتبعه بما يليه في المخرج ، ثم الذي يليه ، إلى أن ينتهي بما مخرجه من الشفتين ؛ ومن ثم فهو يبدأ بالحروف الحلقية ، ثم يثني بالحروف اللسانية ، ثم ينتهي بالشفوية ، فمثلاً الأصل اللغوي الذي يتكون من الأحرف الثلاثة (ب ر ع) يكون له تقليبات ستة ، فيذكر هذه التقليبات بادئاً بالألفاظ التي تبدأ بحرف (العين) لكونه أبعد الحروف الثلاثة مخرجاً ، حيث يخرج من الحلق ، فتكون (عرب ، عبر) ثم يتبعها بالألفاظ التي تبدأ بحرف (الراء) لكونه من الحروف

اللسانية فتكون (رعب ، ربع) ، ثم يردفها بالألفاظ التي تبدأ بحرف (الباء) لكونه من الحروف الشفوية فتكون (بعر ، برع) ، وهذه الطريقة تعرف بالتقليبات الصوتية .

وقد انتهج نهج الخليل ، فألف معجمه على نظام التقليبات الصوتية ، عدد من اللغوين منهم :

١- أبو علي القالي ، مؤلف معجم (البارع) .

٢- الأزهري ، مؤلف معجم (تهذيب اللغة) .

٣- الصاحب بن عباد ، مؤلف معجم (المحيط) ومعجم (الجوهرة) .

٤- ابن سيده ، مؤلف معجم (المحكم والمحيط الأعظم) .

وهناك نوع آخر من التقليبات ، حيث يتم حسب أول الحروف ترتيباً من الناحية الأبجدية فالأصل اللغوي (ب ر ع) السابق ، وتقليباته الستة ، توضع تحت أول حرف فيه ، فيكون هكذا : برع - بعر ، ربع - رعب ، عبر - عرب . وقد ابتكر هذه الطريقة ، وربما تفرد بها ابن دريد في معجمه (جمهرة اللغة) .

ثانياً: مدرسة القافية :

ورائدها ومبتكرها أبو بشر اليمان بن اليمان البندنيجي (ت٢٨٤هـ) ، وهي تعتمد على الحرف الأخير من الأصل اللغوي - مما يطلق عليه العروضيون اسم (القافية) - حيث يجعل هذا الحرف الأخير باباً ، والحرف الأول فصلاً ؛ والمعجم - على هذا - يحتوي على ثمانية وعشرين باباً ، وهي عدد حروف الهجاء ، وكل باب منها يحتوي على ثمانية وعشرين فصلاً ؛ وقد اقتفى أثر البندنيجي في هذا الترتيب عدد من اللغويين منهم :

١- الفارابي .. مؤلف معجم (ديوان الأدب) .

٢- الجوهري .. مؤلف معجم (تاج اللغة وصحاح العربية) .

٣- الصاغاني .. مؤلف معجم (العباب الزاخر) .

٤- الزنجاني .. مؤلف معجم (تهذيب الصحاح) .

٥- ابن منظور .. مؤلف معجم (لسان العرب) .

٦- الفيروزابادي .. مؤلف معجم (القاموس المحيط) .

٧- الزبيدي .. مؤلف معجم (تاج العروس) .

٨- الرازي .. مؤلف معجم (مختار الصحاح) .

ثالثاً: مدرسة الأبجدية العربية:

ونعني بها ترتيب الأبجدية العادية ، وليس أبجدية التقليبات كما فصل ابن دريد في معجمه (جمهرة اللغة) ، ورائد هذه المدرسة ومبتكرها أبو عمرو الشيباني (٩٤ - ٢٠٦هـ) في معجمه (الجيم) ، وهي تقوم على وضع الألفاظ ، وترتيبها في أبواب وفصول بحسب ترتيب الحروف الموجودة فعلاً في الأصل اللغوي ، فينظر إلى الحرف الأول والثاني ، والحرف الذي يؤلف معهما أصلاً ثلاثياً دون تقليب ، بل ترتيب الأبواب حسب الحرف الأول ، مراعي في ذلك الحرف الثاني ، والحرف الذي يثلثهما ، ثم ترتب الفصول بحسب الحرف الثاني مراعي في ذلك الحرف الثالث ، وقد تابع أبا عمرو الشيباني في هذا النهج عدد من اللغويين منهم :

١- ابن فارس القزويني .. مؤلف معجم (المجمل) ، ومعجم (مقاييس اللغة) .

٢- الزمخشري .. مؤلف معجم (أساس البلاغة) .

٣- الرازي .. مؤلف معجم (مختار الصحاح) ، بعد إعادة ترتيبه .

٤- الفيومي .. مؤلف معجم (المصباح المنير) .

٥- المعلم بطرس البستاني .. مؤلف معجم (محيط المحيط في اللغة واصطلاحات العلوم) ..

٦- الشرتوني .. مؤلف معجم (أقرب الموارد في فصيح العرب والشوارد) .

٧- الشيخ عبد الله البستاني .. مؤلف معجم (البستاني) .

٨- الأب إلياس معلوف .. مؤلف معجم (المنجد) .

٩- منير البعلبكي .. مؤلف كتاب (المورد) .

١٠- مجمع اللغة العربية القاهري .. مخرج (المعجم الوسيط) .

وبعد .. فإلى دراسة تفصيلية لهذه المدارس المعجمية الثلاثة ، مجتزئين في دراستنا بمعجم واحد على الأقل ، يمثل كل مدرسة من المدارس الثلاثة ، ليكون نبراساً وهادياً ، نسير على ضوئه في دراستنا التطبيقية لمادة (المعاجم العربية) .

وبالله التوفيق ..

الفصل الأول

مدرسة التقليبات

وقفنا فيما تقدم على أن مدرسة التقليبات ومبتكرها هو العلامة الخليل بن أحمد الفراهيدي ، حين ألف كتابه «العين» وهو يعد أول معجم شامل في اللغة العربية ، ويقوم على ترتيب المادة اللغوية فيه بحسب النظام الصوتي ، وقد سار على هذا النهج جمع من مؤلفي المعاجم ممن أتوا بعده ، وقد تقدم ذكرهم.

ومن ثم فسوف نسوق في الصفحات التالية دراسة شاملة مستوعبة لمعجم «العين» كمثال لهذه المدرسة المعجمية الأولى .

العين

للخليل بن أحمد الفراهيدي

(١٠٠ - ١٧٥ هـ)

يعد كتاب «العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي أول معجم شامل ظهر في تاريخ اللغة العربية . فقد جمع فيه الخليل الكلمات العربية كلها على نسق خاص . ونمط معين ، كما يعد الأصل لكل الكتب المؤلفة والمصنفة في اللغة ، التي عرف بها ضبط الألفاظ ، واشتقاقها ، وشرح معانيها[١] : قال الإمام فخر الدين الرازي في كتابه (المحصول) : «أصل الكتب المصنفة في اللغة كتاب (العين) ؛ وقال العلامة جلال

---

(١) دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح عبد الحافظ : ٣٩ .

الدين السيوطي في (المزهر) : «أول من صنف في جمع اللغة الخليل بن أحمد ، ألف في ذلك كتابه (العين) المشهور»(١) .

الخليل بن أحمد الفراهيدي

أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن تميم اليحمدي الفراهيدي الأزدي ، نسبة إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، ففراهيد بطن من قبيلة أزد شنوءة ، وقيل : الفرهودي ، نسبة إلى فرهود بن شبابة ، وقد روى أنه لم يُسَمَّ أحد باسم (أحمد) بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل والد الخليل(٢) .

فالخليل من أصل عربي ، ولد في عُمَان على ساحل الخليج العربي سنة مائة هجرية(٣) ، ثم رحل إلى البصرة منذ نعومة أظفاره ، حيث تربّى ونشأ بها ، ولذا اقترن اسمه بلقب (البصري) .

ولما كانت البصرة يومئذ معقل العلم ، وموئل العلماء ، فقد تلقى الخليل علومه بها ، على أيدي كبار علمائها ، وأفاضلهم ، وأجَلِّ شيوخها ، وحذاقهم ، فقد أخذ اللغة عن أبي عمرو بن العلاء ، وأخذ النحو عن عيسى بن عمر الثقفي ، ودرس الفقه والأصول على عاصم الأحول وأيوب السختياني ، وغيرهم من علماء عصره وشيوخ زمانه ؛ ولما أتم علومه تصدر للتدريس بمجالس البصرة ، فتتلمذ على يديه كثير من النابهين ، وأفاضل العلماء المبَرِّزين . أمثال الأصمعي ، والنضر بن

---

(١) انظر : المزهر للسيوطي : ١ / ٧٦ .

(٢) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي : ٤٧ ، وبغية الوعاة للسيوطي : ١ / ٥٥٩ .

(٣) سمعنا مشافهة من أهالي ولاية صُحَار ، أن مولد الخليل بن أحمد كان في بلدة (وِدَّام الساحل) بناحية المصنعة ، من ولاية صحار ، بمنطقة الباطنة من سلطنة عُمَان .
والفراهيد : جمع فرهود ، وهي صغار الغنم (مراتب النحويين : ٥٤) .

شميل ومؤرج السدوسي ، وسيبويه ، وغيرهم ممن كانت لهم قدم راسخة في علوم اللغة والأدب من بعده.

وقد ألف الخليل عدداً من المؤلفات ، وصنف كثيراً من المصنفات ، وتشهد جميعها بثبات قدمه ، وعلو شأنه ، وسعة اطلاعه ، وإلمامه بالكثير من علوم العربية وغيرها ؛ والخليل أول مَنْ جمع حروف المعجم في بيت واحد هو قوله :

صِفْ خَلْقَ خَوْدٍ كَمِثْلِ الشَّمْسِ إِذْ بَزَغَتْ

يَحْظَى الضَّجِيعُ بِهَا نَجْلاءُ مِعْطَار[1]

أخلاقه وصفاته:

يكاد يجمع العلماء ، ويتفق المترجمون والرواة على أن الخليل بن أحمد كان متصفاً بكل ما يجب أن يتصف به أجِلَّة العلماء ، وأفاضل المعلمين والشيوخ ، فقد كان ديِّناً وَرِعاً ، معروفاً بسماحة النفس ، والجود بماله ، متوشحاً بالقناعة والعفّة والزهد في نعيمَ الدنيا ومباهجها ، رغم أنه لم يكن ميسور الحال .

تقواه وورعه:

فقد رُوِيَ عن الخليل أنه كان يحج سنة ويغزو سنة حتى جاءه الموت[2] : كما قال بعض أهل العلم : «إنه لا يجوز على الصراط بعد الأنبياء – عليهم السلام – أحد أدق ذهناً من الخليل»[3] ، وقال محمد بن سلام : «سمعت من مشايخنا

---

(١) انظر : بغية الوعاة : ١ / ٥٥٩ .

(٢) طبقات النحويين واللغويين : ١ / ٥٥٨ ، ومراتب النحويين : ٥٦ .

(٣) المزهر : ١ / ٨٢ .

يقولون : لم يك للعرب – بعد الصحابة – أذكى من الخليل بن أحمد ، ولا أجمع»[1] وروى أبو داود سليمان بن يزيد عن ذلك المصاحفي قال: « ... وسمعت النضر بن شميل يقول : ما رأيت أحداً أعلم بالسنة – بعد ابن عون – من الخليل بن أحمد»[2] ..

قناعته وزهده:

لم يؤثر عن الخليل بن أحمد أن تكسّب يوماً بعلمه ، أو تعيّش من مؤلفاته أو مصنفاته ، وإنما كان يتحرى في إفادته الناس وجه الله تعالى ، وما ينتظره من ثواب في الحياة الآخرة . فقد قال تلميذه النضر بن شميل : «أقام الخليل بالبصرة لا يقدر على فلسين ، وتلاميذه يكسبون الأموال بعلمه»[3] .

ومما قاله النضر أيضاً في حق أستاذه : «أكلت الدنيا بعلم الخليل وكتبه ، وهو يعيش في خُصٍّ لا يُشْعَرُ به»[4] ، وعن النضر أيضاً أنه قال: «كنا نُميّل بين ابن عون والخليل بن أحمد ، أيهما نقدم في الزهد والعبادة ، فلا ندري أيهما نقدم»[5] .

عفته وأنفته:

كان الخليل عفيف النفس عما في أيدي الناس . معتداً بنفسه ، معتزاً بعلمه متمتعاً بنفس راضية ، وأنفة عالية شامخة ، فقد أتاه رسول من سليمان بن علي –

---

(١) مراتب النحويين : ٥٤ ، والمزهر : ٢ / ٤٠١ .
(٢) المزهر : ١ / ٦٤ .
(٣) المزهر : ١ / ٦٥ ، وبغية الوعاة : ١ / ٥٥٨ .
(٤) المزهر : ١ / ٦٥ .
(٥) المزهر : ١ / ٦٤ ، ومراتب النحويين : ٥٧ .

وكان والياً على الأهواز – يدعوه لملاقاة سليمان ، وكان سليمان قد أراد أن يصله ، ويكافئه على علمه ، وما يبذله للناس ، مع ما يحياه من شظف العيش ، وخشونة الحياة ؛ ونظراً لما يعلمه عنه سليمان من العفة والقناعة والزهد والأنفة ، فقد رأى أن يجعله معلماً ومؤدباً لأولاده ؛ فلما أتاه الرسول ، أخرج له الخليل خبزاً يابساً ، وقال له : «ما عندي غير هذا» وقدّمه قِرىً له ، فقال له الرسول : «وبم أرد على سليمان؟» فقال له الخليل : «ما دُمْتُ أجِدُ هذا ، فلا حاجة بي إلى سليمان» ثم قال :

أبلغ سليمان أني عنه في سعَة | وفي غنى ، غير أني لست ذا مال
سَخِيٌّ بنفسي أني لا أرى أحداً | يموت هَزْلاً ، ولا يبقى على حال
فالرزق عن قَدَرٍ لا العجز ينقصه | ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه | ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال
والمال يغشى أناساً لا أصول لهم | كما تُغَشّى أصول الدِّنْدَن البالي[1]

وعن اعتداد الخليل بنفسه يقول الزبيدي : « ... وهو الذي بَسَط النحو ، وأمد أطنابه ، وسبَّب علله ، وفتَّق معانيه ، وأوضح الحِجَاج فيه ، حتى بلغ أقصى حدوده وانتهى إلى أبعد غاياته ؛ ثم لم يرض أن يؤلف فيه حرفاً ، أو يرسم منه رسماً ، نزاهة بنفسه ، وترفعاً بقدره ، إذ كان قد تقدم إلى القول عليه ، والتأليف فيه ، فكَرِهَ أن يكون لمن تقدمه تالياً ، وعلى نظر من سبقه محتذياً»[2] .

ثقافته ومكانته العلمية :

عرفنا من ترجمة حياة الخليل ، أنه رحل إلى البصرة منذ نعومة أظفاره ،

---

(١) طبقات النحويين واللغويين : ٤٧ .

(٢) المصدر السابق ، والمزهر : ١ / ٨٠ .

وقضى بها بقية حياته ؛ وكانت البصرة آنذاك موئل العلم ، ومعقل المعرفة ، تغص بالعلماء ، وتموج بشتى أنواع المعارف والثقافات ، فنهل العلم من منبعه ، واغترف المعرفة من معينها الذي لا ينضب ، حيث أخذ اللغة عن أبي عمرو بن العلاء . وأخذ النحو عن عيسى بن عمر الثقفي ، كما تتلمذ على كل من عاصم الأحول ، وأيوب السختياني ، وغيرهم من علماء اللغة والنحو ، وأئمة الفقه والأصول .

وحكى أبو الطيب اللغوي قال: «كان في العصر ثلاثة ، هم : أبو زيد ، وأبو عبيدة ، والأصمعي ، وكلهم أخذوا عن أبي عمرو بن العلاء ، اللغة والنحو والشعر ، ورووا عنه القراءة ، ثم أخذوا بعد أبي عمرو عن عيسى بن عمر ، وأبي الخطاب الأخفش ، ويونس بن حبيب ، وعن جماعة من ثقات الأعراب وعلمائهم مثل : أبي مهدية ، وأبي طُفَيْلة ، وأبي البيداء ، وأبي خيرة بن لقيط ، وأبي مالك بن عمرو بن كركرة – صاحب (النوادر) – منبني نمير ، وأبي الدقيش الأعرابي ، وكان أفصح العرب ، وليس الذين ذكرنا دونه ، وقد أخذ الخليل أيضاً من هؤلاء ، واختلف إليهم»[1] .

وكان الخليل يتمتع بحافظة جبارة ، وموهبة فذة مبتكِرة ، ولم يقف نبوغه عند النحو واللغة فحسب ، بل كان ذا عقلية رياضية ، ظهرت بجلاء في تأليفه كتاب «العين» . وإقدامه على جمع ألفاظ اللغة فيه بطريقة حاصرة ، عن طريق تقليبات الأصل ، كما تفوق في العلوم الشرعية وغيرها ، كما كان بارعاً في الموسيقى ، ملماً بأنواع النغم ، مما ساعده على ابتكار علم العروض الذي كان غريباً على أهل عصره آنذاك .

وقد رُوِيَ في سبب وضعه لعلم العروض ، أنه كان يحج في مكة المكرمة ، وأراد أن يخلد إلى النوم وقت القيلولة يوماً ، وكان أحد صانعي الأواني النحاسية يقيم في دكان تحت الغرفة التي ينزل فيها ، فأخذ الرجل في طرق النحاس بدقات

---

(١) مراتب النحويين : ٢٩ – ٣٠ ، والمزهر ٢ / ٤٠١ ، ٤٠٢ .

منتظمة ، فأقلقه ، ومنع عنه النوم ، إلا أن إيقاع المطرقة استهوى الخليل لانتظامه بطريقة مطردة ، فأخذ يضم الدقات إلى بعضها في مجموعات ، أمكنه أن يكوّن منها جُمَلاً موسيقية ، خرج منها بالتفعيلات التي كانت أساساً لبحور الشعر المختلفة .

ومن الطريف في هذا الصدد ، ما يحكى من أن ابنه دخل عليه يوماً ، وهو يقطّع بيتاً من الشعر ، فظن أن بأبيه جِنّة ، فخرج إلى الناس وهو يقول : «لقد جُنَّ أبي» فتجمع الناس ، ودخلوا على الخليل ، وهو على هذه الحالة ، وأخبروه بمقالة ابنه ، فنظر إليه ، وخاطبه بهذين البيتين :

لو كنتَ تعلم ما أقول عذرتني　　أو كنتُ أعلم ما تقول عذرتكا

لكـن جهلت مقالتـي فعذلتني　　وعلمتُ أنك جاهل فعذرتكا(١)

آثــاره :

خلف الخليل بن أحمد وراءه مؤلفات ومصنفات تناول فيها شتى المعارف والعلوم ، ولكن معظمها فُقِدَ ، ولم يصل إلينا ، إما نتيجة لهجمات التتار على بلاد العراق ، والعبث فيها بكل غال ورخيص ، وإهدار كل غث وثمين ، أو بفعل عوادي الأيام ، وصروف الدهر ، الذي أطلق فيها أيدي البلى والضياع ، ولم يُبْقِ منها إلا النذر اليسير ، ومما تذكره كتب التراجم مما تركه الخليل من مؤلفات ومصنفات :

في اللغة : كتاب العين .

كتاب معاني الحروف .

كتاب النقط والتشكيل

---

(١) طبقات النحويين واللغويين : ٥٠ .

في النحو : كتاب الجمل

كتاب الشواهد

في العروض : كتاب العروض .

كتاب الفرش والمثال .

في الموسيقى : كتاب الإيقاع والنغم .

كتاب الموسيقى (في أصناف النغم ، وأنواع اللحون)[1] .

هذا فضلاً على ما يُرْوَى من أنه هو المؤلف الحقيقي لكتاب سيبويه في النحو حيث يقول عنه أبو بكر الزبيدي : «وهو الذي بسط النحو ، ومد أطنابه ، وسبب علله ، وفتق معانيه ، وأوضح الحجاج فيه ، حتى بلغ أقصى حدوده ، وانتهى إلى أبعد غاياته ؛ ثم لم يرض أن يؤلف فيه حرفاً ، أو يرسم فيه رسماً ، نزاهة بنفسه وترفعاً بقدره ، إذ كان قد تقدم إلى القول عليه ، والتأليف فيه ، فكره أن يكون لمن تقدمه تالياً ، وعلى نظر من سبقه محتذياً ، واكتفى في ذلك بما أوحى إلى سيبويه من علمه ، ولقنه من دقائق نظره ، ونتائج فكره ، ولطائف حكمته ؛ فحمل سيبويه ذلك عنه وتقلّده ، وألف فيه (الكتاب) الذي أعجز من تقدم عليه ، كما امتنع على من تأخر بعده»[2] .. وحكى يونس بن حبيب قال: «لما أقدم سيبويه على وضع (الكتاب) أتاني ، فقال لي : يا يونس قُم نُحْيِي علم الخليل»[3] .

آراء العلماء فيه :

قدر العلماء الخليل بن أحمد حق قدره ، وأشادوا بعلمه ونبوغه وعبقريته ، وأخذوا يلهجون بالثناء عليه ، ويذهبون في تمجيده كل مذهب ، اعترافاً بفضله

---

(١) المزهر للسيوطي : ١ / ٨٠ - ٨١ .

(٢) بغية الوعاة : ٥٥٩ .

(٣) راجع : مقدمة تحقيق «خزانة الأدب» للبغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون .

وعلمه وأدبه وتقواه وعفته وزهده ، كما أُعْجِبَ به كثيرا من المستشرقين الذين أشادوا بفضله على اللغة العربية . ونبوغه وذكائه وعبقريته في خدمة لغة العرب .

فهذا سفيان الثوري – أمير المؤمنين في الحديث النبوي – يقوله عنه : «من أحب أن ينظر إلى رجل خُلِق من الذهب والمسك ، فلينظر إلى الخليل بن أحمد»(١) .

وقال عنه حمزة الأصبهاني: «لم يكن للمسلمين أذكى عقلاً من الخليل»(٢) .

وقال عنه ابن المقفع : «لاقيت رجلاً عقله أكبر من علمه»(٣) .

أما محمد بن سلام فيقول عنه : «سمعت من مشايخنا يقولون : لم يكن للعرب – بعد الصحابة – أذكى من الخليل ، ولا أجمع»(٤) .

ويقول أبو محمد التوجي : «اجتمعنا بمكة أدباء كل أفق ، فتذاكرنا أمر العلماء ، حتى جرى ذكر الخليل ، فلم يبق أحد إلا قال : الخليل أذكى العرب ، وهو مفتاح العلوم ومصرِّفها»(٥) .

وقال بعض أهل العلم : «إنه لا يجوز على الصراط بعد الأنبياء – عليهم السلام – أحد أدق ذهناً من الخليل»(٦) .

وقال عنه أبو بكر الزبيدي : «والخليل بن أحمد أوحد العصر ، وقريع الدهر ، وجهبذ الأمة ، وأستاذ أهل الفطنة ، الذي لم يُرَ نظيره ، ولا عُرِفَ في الدنيا عديله وهو الذي بسط النحو ، ومد أطنابه ، وسبب علله وفتق معانيه ، وأوضح الحجاج

---

(١) المزهر : ١ / ٦٤ ، ودراسات في المعاجم العربية : ١٣ .

(٢) دراسات في المعاجم العربية : ١٣ .

(٣) طبقات النحويين واللغويين : ٤٩ .

(٤) مراتب النحويين : ٥٥ .

(٥) مراتب النحويين : ٥٥ .

(٦) المزهر : ١ / ٨٢ .

فيه ، حتى بلغ أقصى حدوده ، وانتهى إلى أبعد غاياته .. ثم ذهب بعدُ – في حصر جمع الكلام – مذهبه من الإحاطة التي لم يتعاطاها غيره ، ولا تعرضها أحد سواه ، فثقف الكلام ، وحزم جميعه ، وبين قيام الأبنية

من حروف المعجم ، وتعاقب الحروف لها ، بنظر لم يتقدم فيه ، وإبداع لم يسبق إليه ، ورسم في ذلك رسوماً ، أكمل قياسها . وأعطى الفائدة بها ، فكان هذا قدره من العلم ، ومبلغه من النفاذ والفهم»(١) .

وفاة الخليل:

توفي الخليل بن أحمد بن تميم الفراهيدي الأزدي بالبصرة عن عمر يناهز خمساً وسبعين عاماً ، حيث وافته المنية سنة سبعين ومائة هجرية ، وقيل : سنة خمس وسبعين ومائة من الهجرة النبوية الشريفة(٢) .

ورُوِيَ عن سبب موته ، أنه قال : «أريد أن أعمل نوعاً من الحساب ، تمضي به الجارية إلى القاضي ، فلا يمكنه أن يظلمها» ، فدخل المسجد وهو يُعْمِل فكره ، فصدمته سارية وهو غافل ، فانصدع ومات ؛ ورؤي في المنام فقيل له : ما صنع الله بك؟ فقال: «أرأيت ما كنا فيه ! لم يكن شيئاً ، وما وجدت أفضل من (سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر) » (٣) .

---

(١) المزهر : ١ / ٨٠ – ٨٢ .

(٢) المزهر : ١ / ٨٣ .

(٣) بغية الوعاة : ١ / ٥٦٠ . وانظر في ترجمة الخليل : النجوم الزاهرة : ١ / ٣١١ ، ومرآة الجنان : ١ / ٣٠٣ ، ونزهة الألباء : ٥٤ – ٥٩ ، وإرشاد الأريب : ٤ / ١٨١ – ١٨٣ ، ومراتب النحويين : ٥٤ وطبقات الزبيدي : ٤٦ ، وبغية الوعاة : ١ / ٥٥٩ .

نسبة كتاب (العين)

للخليل بن أحمد

تشكك عدد من العلماء الأوائل ، واللغويين المشهورين ، في حقيقة نسبة كتاب «العين» للخليل بن أحمد ، بل ذهب فريق منهم إلى نفي نسبته إليه البتة ، بينما قطع فريق آخر بصحة نسبته إليه ، وأنه مبتكره ، ولا عمل لأحد فيه غيره ، وذهب فريق ثالث إلى أن الخليل رسمه وبدأ العمل فيه ، ثم أتمه غيره . وعليه يمكن تصنيف هؤلاء العلماء واللغويين إلى فرق ثلاث :

الفريق الأول : وهم الذين يرون نفي نسبة الكتاب للخليل ، حيث ينكرون أن يكون له عمل فيه ، وإنما هو من عمل الليث بن المظفر بن نصر بن سيار الخراساني ، ويمثل هذا الفريق : أبو علي القالي ، وأبو منصور الأزهري ، وأبو علي الفارسي ، وأبو الفتح ابن جني ، وأخيراً من اللغويين المحدثين الأب أنستاس ماري الكرملي .

الفريق الثاني : وهم الذين يرون أن الخليل ابتكر الكتاب ورسمه ، وبدأ العمل فيه . ولكنه لم يكمله ، وإنما أكمله غيره ، ويمثل هذا الفريق : أبو الطيب اللغوي ، وأحمد بن يحيى ثعلب ، والسيرافي ، والنواوي ، وابن المعتز ، وأبو عمرو الزاهد .

الفريق الثالث : وهم الذين يرون أن الخليل هو مبتكر (العين) ، ومؤلفه بدءاً ونهاية ولا عمل لأحد فيه غيره ، ويمثل هذا الفريق : ابن دريد ، فخر الدين الرازي حمزة الأصبهاني ، ابن فارس القزويني ، جلال الدين السيوطي ، ومن المستشرقين : براونلتش ، ومن اللغويين المحدثين : الدكتور إبراهيم أنيس ، والدكتور عبد الله درويش ، والدكتور أحمد مختار عمر .

والآن نستطلع ما صرح به كل فريق ، وما قاله ممثلوه ، إيضاحاً لما ذهبوا إليه ، وإبرازاً لما استقر رأيهم عليه .

فبالنسبة للفريق الأول ، المنكر لنسبة «العين» للخليل . يقول أبو منصور الأزهري في مقدمة معجمه (تهذيب اللغة) : «كان الليث رجلاً صالحاً ، عمل كتاب (العين) ، ونسبه إلى الخليل ، لينفق كتابه باسمه ، ويرغب فيه من حوله» (١) .

وفي مقدمة معجمه (البارع) يقول أبو علي القالي – إسماعيل بن القاسم البغدادي – : «لما ورد كتاب (العين) من خراسان في زمن أبي حاتم ، أنكره أبو حاتم وأصحابه أشد الإنكار ، ودفعه بأبلغ الدفع ، وكيف لا ينكره أبو حاتم على أن يكون بريئاً من الخلل ، سليماً من الزلل؟!! .. »(٢) .

وقال أبو الفتح ابن جني – فيما نقله عنه السيوطي في المزهر – : « .. فإن كان للخليل فيه عمل ، فلعله أومأ إلى عمل هذا الكتاب إيماء ، ولم يله بنفسه ، ولا قرره ، ولا حرره .. وذاكرت به يوماً أبا علي ، فرأيته له منكرا »(٣) .

وقال جلال الدين السيوطي في (المزهر) – تعقيباً على قول السيرافي بأن الخليل عمل أول كتاب (العين) – : «بل أكثر الناس أنكروا كونه من تصنيف الخليل»(٤) .

وقال السيوطي أيضاً في (المزهر) : «قال بعضهم : ليس كتاب (العين) للخليل وإنما هو لليث بن المظفر بن نصر بن سيار الخراساني»(٥) .

---

(١) انظر : مقدمة تهذيب اللغة للأزهري : ٢٧ .

(٢) انظر : مقدمة البارع لأبي علي القالي ، والمزهر : ١ / ٨٤ .

(٣) المزهر : ١ / ٨٥ .

(٤) المزهر : ١ / ٧٧ .

(٥) المصدر السابق .

وبالنسبة للفريق الثاني ، الذي يرى أن الخليل ابتكر كتاب (العين) ، وبدأ العمل فيه ، ثم أكمله غيره ، يقول أبو الطيب اللغوي - عبد الواحد بن علي - في كتابه (مراتب النحويين) : «أبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها ، فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف في كتابه المسمى (كتاب العين) ، فإنه هو الذي رتب أبوابه ، وتوفي قبل أن يحشوه»[1] .

وأورد السيوطي وأبو الطيب اللغوي خبراً عن ثعلب يقول : «أخبرنا محمد بن يحيى قال : سمعت أحمد بن يحيى ثعلب يقول : إنما وقع الغلط في كتاب (العين) لأن الخليل رسمه ولم يحشه ، ولو كان حشاه ما بقي فيه شيئاً ، لأن الخليل رجل لم يُرَ مثله ؛ وقد حشا الكتاب أيضاً قوم علماء . إلا أنه لم يؤخذ منهم رواية ، وإنما وُجِدَ بنقل الوراقين ، فاحتل الكتاب لهذه الجهة»[2] .

ويقول السيرافي في كتابه (أخبار النحويين البصريين) : « .. وعمل أول كتاب (العين) المعروف المشهور ، الذي به يتهيأ ضبط اللغة»[3] ويعقب عليه السيوطي بقوله : «وهذه العبارة من السيرافي صريحة في أن الخليل لم يكمل كتاب (العين)[4] .

كما أورد السيوطي أيضاً في (المزهر) : «وقال بعضهم : عمل الخليل من كتاب (العين) قطعة من أوله إلى حرف (الغين) ، وكمله الليث ، ولهذا لا يشبه أوله آخره»[5] .

ويقول الشاعر المعروف ابن المعتز - فيما نقله عنه ياقوت الحموي والسيوطي - : «كان الخليل منقطعاً إلى الليث ، فلما صنف كتاب (العين) خصه به

(١) مراتب النحويين : ٥٧ .

(٢) مراتب النحويين : ٥٧ ، والمزهر : ١ / ٧٨ .

(٣) أخبار النحويين البصريين : ٥٤ .

(٤) المزهر : ١ / ٧٦ - ٧٧ .

(٥) المزهر : ١ / ٧٧ .

فحظي عنده جداً ، ووقع منه موقعاً عظيماً ، ووهب له مائة ألف درهم ، وأقبل على حفظه وملازمته ، فحفظ منه النصف ، وكانت تحته ابنة عمه ، واتفق أنه اشترى جارية نفيسة ، فغارت ابنة عمه وقالت : والله لأغيظنه ، وإن غظته في المال فذلك ما لا يبالي ، ولكن أراه مكباً ليله ونهاره على هذا الكتاب ، والله لأفجعنه به ، فأحرقته ، فلما علم اشتد أسفه ، ولم يكن عند غيره منه نسخة ، وكان الخليل قد مات ، فأملى النصف من حفظه ، وجمع علماء عصره ، وأمرهم أن يكملوه على نمطه ، وقال لهم : مَثِّلوا عليه واجتهدوا ، فعملوا هذا التصنيف الذي بأيدي الناس»[1] .

أما الإمام النواوي فيقول في كتابه (تحرير التنبيه) : «كتاب (العين) المنسوب للخليل ، إنما هو من جمع الليث عن الخليل»[2] .

كما يروي أبو عمرو الزاهد – محمد بن عبد الواحد – فيما نقله عنه ياقوت الحموي وأبو الطيب اللغوي – : «حدثني فتى قدم علينا من خراسان ، وكان يقرأ عليَّ كتاب (العين) قال: أخبرني أبي عن إسحق بن راهوية قال : كان الليث صاحب الخليل رجلاً صالحاً ، وكان الخليل عمل من كتاب (العين) باب (العين) وحده ، فأحب الليث أن تنفق سوق الخليل ، فصنف باقي الكتاب وسمى نفسه (الخليل) .. وقال لي مرة أخرى : فسمى لسانه (الخليل) من حبه للخليل بن أحمد ، فإذا رأيت في الكتاب (سألت الخليل) أو (أخبرني الخليل) فإنه يعني الخليل نفسه وإذا قال : (قال الخليل) فإنما يعني نفسه ، فكل ما في الكتاب من خلل ، فإنه منه لا من الخليل . انتهى»[3] .

أما الفريق الثالث ، الذي يرى أن كتاب (العين) من ابتكار الخليل بن أحمد ، ومن إنجازه سَدَاةً ولُحْمَةً ، فيقول أبو بكر بن دريد في مقدمة كتابه (جمهرة اللغة) :

(١) معجم الأدباء : ١٧ / ٤٦ ، بغية الوعاة : ١ / ٥٦٠ .

(٢) المزهر : ١ / ٧٩ .

(٣) معجم الأدباء : ٧ / ٤٦ – ٤٧ ، وقد رُوِي نحو ذلك عن إسحق بن إبراهيم الحنظلي الفقيه (مقدمة التهذيب : ٢٧) .

« .. وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي كتاب (العين) ، فأتعب من تصدى لغايته ، وعَنّى من سما إلى نهايته .. فكل مَنْ بَعْدَه له تبع ، أقر بذلك أم جحد ؛ ولكنه – رحمه الله – ألف كتابه مشاكلاً لثقوب فهمه ، وذكاء فطنته ، وحدة أذهان أهل عصره .. »[1] .

ويقول الإمام فخر الدين الرازي في كتابه (المحصول) : «أصل الكتب المصنفة في اللغة كتاب (العين) للخليل بن أحمد»[2] .

ويقول حمزة الأصبهاني في كتابه (الموازنة) : «ذكر الخليل في كتاب (العين) أن مبلغ أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل ، على مراتبها الأربع ، من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ، من غير تكرار إثنا عشر ألف ألف وثلاثمائة ألف وخمسة آلاف وأربعمائة وإثنا عشر .. »[3] .

أما أبو الحسن أحمد بن فارس القزويني ، فقد ذكر في مقدمة معجميه (المجمل) و(مقاييس اللغة) حين ذِكْرِه المراجع والمصادر التي رجع إليها وهو بصدد تأليفهما ، أردف ذكر هذه المراجع والمصادر بقوله : « .. أعلاها وأشرفها كتاب (العين) للخليل بن أحمد»[4] .

ويقول جلال الدين السيوطي في (المزهر) : «أول من صنَّف في جمع اللغة ، الخليل بن أحمد ، ألف في ذلك كتاب (العين) المشهور»[5] .

أما المستشرق الألماني براونلتش ، فقد نشر بحثاً مطولاً عن هذا الموضوع في مجلة (إسلاميات) الألمانية ، انتهى فيه إلى صحة نسبة كتاب (العين) للخليل بن

---

(١) مقدمة معجم (جمهرة اللغة) لابن دريد : ٣ .

(٢) المزهر : ١ / ٧٦ .

(٣) بغية الوعاة : ١ / ٥٥٩ .

(٤) انظر : مقدمة (المجمل) و(مقاييس اللغة) .

(٥) المزهر : ١ / ٧٦ .

أحمد ، معتمداً على أن اللغويين جميعهم متفقون على أن تنظيم وترتيب (العين) من صنع الخليل ، وهذا هو جوهر المسألة ، وهو المَعْنِيُّ بكلمة (التأليف) ؛ أما الإضافة أو الحذف ، فلا تؤثر في مركز الخليل كمؤلف للكتاب[1] .

ومن لغويي العصر الحديث يقول الدكتور إبراهيم أنيس : «وفي رأينا أن مثل هذا الترتيب الصوتي ، الموسيقي ، لا يمكن أن يقوم به إلا الخليل ، الذي عرف أنه موسيقي ، وعُنِيَ عناية خاصة بالأصوات ، والدليل اختراعه علم العروض ، وتأليفه كتباً في الموسيقى ، فمثله لا يمكن أن يعني بهذا الترتيب المخرجي»[2] .

وأما بقية اللغويين المحدثين من أمثال الدكتور عبد الله درويش – محقق الكتاب – والدكتور أحمد مختار عمر – فقد تتبعا أدلة المنكرين لنسبة الكتاب للخليل بالتفنيد والتمحيص ، وسوف نعرض لها بعد قليل تحت عنوان «دفاع عن العين والخليل».

أما الأب أنستاس الكرملي فكان أمره غاية في العجب ، إذ يرجع إليه الفضل في العثور على بعض نسخ مخطوطة من كتاب (العين) قبل الحرب العالمية الأولى والتي لم يعثر عليها فيما بعد[3] .

وحينما عزم الكرملي على طبع الكتاب . نشر بحثاً مطولاً في مجلته «لغة العرب»[4] ، ذهب فيه إلى نفي نسبة الكتاب للخليل بن أحمد ، بل قطع أنه من عمل الليث بن المظفر بن نصر بن سيار الخراساني ، مستدلاً بأدلة واهية ، غاية في السطحية ، إن دلت على شيء فإنما تدل على سطحية البحث . وعدم التمكن من معرفة أصول التحقيق[5] .

(١) مجلة (إسلاميات) الألمانية : ٢ / ٢٩ .

(٢) مقدمة تحقيق كتاب (العين) للدكتور عبد الله درويش : ١ / ١٣ .

(٣) كتاب (العين) تحقيق الدكتور عبد الله درويش : ٣٥ .

(٤) نشر هذا البحث في عدد آب (أغسطس) سنة ١٩١٤ .

(٥) سوف نعرض لهذه الأدلة في الجزئية التالية تحت عنوان : «أدلة المنكرين» .

والأدهى من ذلك وأمرّ ، أن الكرملي – حين همّ بطبع الكتاب في العراق – قد فتح باباً للاشتراك فيه ، وأنه لن يبعث بغلاف الكتاب إلا لمن يسدد قيمة الاشتراك حيث يقول : « .. وقد فتحنا باباً للاشتراك وهو أربعة مجيدات للعراق وعشرين فرنكاً للخارج ، وذلك عن كل جزء من أجزائه الخمسة ، وبعد الاشتراك يضاعف ثمنه للعراق وللخارج ، ولا يبعث بالجلد إلا لمن يدفع قيمته سلفاً ، وإلا لا يلتفت إلى اشتراكه أو طلبه .. »[1] .

ونظراً لظروف الحرب العالمية الأولى ، لم يتم طبع الكتاب – وكأنما أراد الله ألا يتحقق الهدف الذي كان يرمي إليه الأب أنستاس ماري الكرملي – حيث لم يصدر منه إلا جزء صغير في ١٤٤ صفحة ؛ ولو تم طبع الكتاب جميعه ، لخرج إلى الأمصار وهو يحمل اسم الليث بن سيار مؤلفاً له ، ولضاع منه اسم الخليل بن أحمد إلى الأبد .

إذ تسلم مجمع اللغة العربية القاهري نسخته من الجزء الذي تم طبعه من الكتاب ، وطبيعي أن يكون دون غلاف يحمل اسم المؤلف ، إذ أرجىء عمل الغلاف حتى يتم طبع الكتاب كاملاً بأجزائه الخمسة ، ويتم سداد الاشتراك كاملاً ، كما ورد بنشرة الاكتتاب .

ولما كان الكرملي عضواً بمجمع اللغة العربية القاهري ، فقد عمد إلى قصاصة من الورق ، وكتب عليها بالقلم الرصاص ما يلي :

---

(١) مجلة (لغة العرب) عدد أغسطس سنة ١٩١٤ .

كتاب العين

لليث بن سيار

تلميذ الخليل بن أحمد

طبع في بغداد في مطبعة الآداب سنة ١٩١٣

ولم يصدر منه إلا ١٤٤ صفحة . والحرب ضاقت دون إتمامه ، وعني بنشره ، وتعليق الحواشي عليه الأب أنستاس ماري الكرملي .

توقيع الأب أنستاس الكرملي

وهذا العمل من جانب الأب انستاس غاية في التجني على عالم عربي مسلم ، طبقت شهرته الآفاق ، وشهد له القاصي والداني بحدة الذكاء ، واتقاد الذهن ، ونباهة العقل ، وسلامة الفكر مما لم يجرؤ أن يقدم عليه أحد من معارضيه – قداماهم ومحدثيهم – ولا حتى المستشرقين منهم ، بل كل اعتراضاتهم كانت قولية أو ترجيحية ؛ أما الكرملي فقد أراد أن يسلب الرجل حقه بطريقة عملية .. ولا يظلم ربك أحداً ..

أدلة المنكرين نسبة الكتاب للخليل:

يستدل اللغويون الذين يذهبون إلى نفي نسبة كتاب (العين) للخليل بن أحمد ، بعدة دلائل ، ويستشهدون على ذلك بأكثر من شاهد ، نذكرها فيما يلي ، ثم نردفها بتفنيد المنصفين لها وردهم عليها :

١- عدم ظهور الكتاب في زمن الخليل أو زمن تلاميذه:

حيث لم يرد الكتاب في زمن مؤلفه – الخليل بن أحمد – ، ولم يَحْكِ عند أحد من تلاميذه ، حيث يقول أبو علي القالي – إسماعيل بن القاسم البغدادي – : «لما ورد كتاب (العين) من خراسان في زمن أبي حاتم ، أنكره أبو حاتم وأصحابه ، أشد الإنكار ، ودفعه بأبلغ الدفع ، وكيف لا ينكره أبو حاتم على أن يكون بريئاً من الخلل ، سليماً من الزلل ، وقد غبر أصحاب الخليل بعد مدة طويلة لا يعرفون هذا الكتاب ولا يسمعون به ، منهم : النضر بن شميل[١] ، ومؤرج[٢] ، ونصر بن علي ، وأبو الحسن الأخفش ، وأمثالهم ، ولو أن الخليل ألف الكتاب لحمله هؤلاء عنه ، وكانوا أولى بذلك من رجل مجهول الحال غير مشهور في العلم انفرد به ، وتوحد بالنقل له[٣] .. ومضت بعد مدة طويلة ، ثم ظهر الكتاب بآخره في زمان أبي حاتم وفي حال رياسته ، وذلك فيما قارب الخمسين والمائتين ، لأن أبا حاتم توفي سنة خمس وخمسين ومائتين : فلم يلتفت أحد إليه من العلماء يومئذ ، ولا استجازوا رواية حرف منه»[٤] .

٢- اختلاف الأصوات ومخارج الحروف:

حيث ما ورد بالكتاب من ترتيب الأصوات ، وذكر مخارج الحروف ، مخالف لما ورد بكتاب تلميذه سيبويه ؛ فلو كان كتاب (العين) من تأليف الخليل ، لما وقع هذا الخلاف ، وعن هذا يقول الزبيدي : «فمن ذلك ما بدئ الكتاب به ، وبني عليه من ذكر مخارج الحروف في تقديمها وتأخيرها ، وهو على خلاف ما ذكره سيبويه عن

---

(١) النضر بن شميل : من أصحاب الخليل ، عالم بفنون العربية ، توفي سنة ٢٠٣ هجرية .

(٢) أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسي اللغوي البصري ، أخذ عن الخليل ، وأبي زيد الأنصاري توفي سنة ١٩٥ هجرية .

(٣) يقصدون : نصر بن المظفر بن سيار .

(٤) مقدمة (البارع) لأبي علي القالي ، والمزهر : ١ / ٨٤ .

الخليل في كتابه ، وسيبويه حامل علم الخليل ، وأوثق الناس في الحكاية عنه ، ولم يكن ليختلف قوله ، ولا ليتناقض مذهبه»[1] .

٣- بناء مادة الكتاب على مذهب الكوفيين :

حيث من المعلوم أن الخليل بن أحمد هو رأس المدرسة البصرية ، ولكن كل ما ورد في كتاب (العين) جاء مبنياً على مذهب الكوفيين ، حيث يقول الزبيدي : «ومن الدليل على صحة ما ذكرنا أن جميع ما وقع في الكتاب من معاني النحو ، إنما هو على مذهب الكوفيين ، وبخلاف مذهب البصريين . وكذلك ما بني عليه الكتاب كله من إدخال الرباعي المضاعف في باب الثلاثي المضاعف ، وهو مذهب الكوفيين خاصة ، وعلى ذلك استمر الكتاب من أوله إلى آخره»[2] .

٤- عدم اعتماد اللغويين عليه :

فقد ظهر كتاب (العين) بين ظهراني الأصمعي ، والزيدي[3] ، وابن الأعرابي[4] ، ومن جاء بعدهم كأبي حاتم السجستاني ، وأبي عبيد، ويعقوب بن السكيت ، وغيرهم من المؤلفين والمصنفين في علوم اللغة ، ولم يجذب نظر أحد منهم ولم يعتمده أحدهم كمصدر يؤخذ منه ، أو يعتمد عليه ، وفي هذا يقول الزبيدي : «ثم ظهر الكتاب بآخره في زمان أبي حاتم ، وفي حال رياسته ، فلم يلتفت إليه

---

(١) المزهر : ١ / ٨٥ . ومثال ذلك ما قاله المفضل بن سلمة : «ذكر صاحب (العين) أنه بدأ كتابه بحرف (العين) ، لأنها أقصى الحروف مخرجاً ، والذي ذكره سيبويه أن الهمزة أقصى الحروف مخرجاً ، ولو قال : بدأت بالعين ، لأنها أكثر في الكلام ، وأشد اختلاطاً ، لكان أولى» المزهر : ١ / ٩٠ .

(٢) المزهر : ١ / ٨٥ .

(٣) اليزيدي : هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي ، توفي سنة ٢٠٢ هجرية .

(٤) ابن الأعرابي : أبو عبد الله محمد بن زياد الكوفي من أكابر أئمة اللغة ، توفي سنة ٢٣١هـ .

يومئذ أحد من العلماء ، ولا استجازوا رواية حرف منه ؛ ولو صح الكتاب عن الخليل لبادر الأصمعي واليزيدي ، وابن الأعرابي ، وأشباههم إلى تزيين كتبهم ، وتحلية علمهم بالحكاية عن الخليل ، والنقل لعلمه ، وكذلك مَنْ بعدهم كأبي حاتم ، وأبي عبيد[1] ، ويعقوب[2] ، وغيرهم من المصنفين ، فما علمنا أحداً منهم نقل في كتابه عن الخليل من اللغة حرفاً[3] .

٥- اضطراب رواياته ، وحكاياته عن المتأخرين :

حيث ورد بالكتاب روايات مضطربة ، كرواية المُسَعْري عن أبي عبيد ، وسماع الخُشْني عن أبي عبيد أيضاً بعد وفاته حيث توفي أبو عبيد سنة أربع وعشرين ومائتين ، وكان سماع الخشني منه سنة سبع وأربعين ومائتين وكذا رواية الخليل عن الأصمعي ، وابن الأعرابي ، وأبي عبيد ، وكلهم من المتأخرين عن الخليل ، وفي هذا يقول الزبيدي : «فهذا كتاب ابن منذر بن سعيد القاضي ، الذي كتبه بالقيروان ، وقابله بمصر بكتاب ابن ولاد[4] ، وكتاب ابن ثابت المنتسخ بمكة ، قد طالعناها ، فألفينا في كثير من أبوابهما : أخبرنا المسعري عن أبي عبيد ، وفي بعضها : قال ابن الأعرابي ، وقال الأصمعي ؛ هل يجوز أن يكون الخليل يروي عن الأصمعي ، وابن الأعرابي ، وأبي عبيد ، فضلاً عن المسعري ؟! وكيف يروي الخليل عن أبي عبيد ، وقد توفي الخليل سنة سبعين ومائة ، وفي بعض الروايات خمس وسبعين ومائة ؟! وأبو عبيد يومئذ ابن ست عشرة سنة ، وعلى الرواية الأخرى ابن إحدى وعشرين سنة ، لأن مولد أبي عبيد سنة أربع وخمسين ومائة ،

---

(١) أبو عبيد : القاسم بن سلام ، ولد سنة ١٦٠ هـ ، وتوفي بمكة سنة ٢٢٤ هـ .

(٢) يعقوب : أبو يوسف يعقوب بن إسحق بن السكيت ، إمام اللغة والأدب ، وتوفي سنة ٢٤٢هـ .

(٣) المزهر : ١ / ٨٤ - ٨٥ .

(٤) ابن ولاد : محمد بن الوليد التميمي ، نحوي من أهل مصر مولداً ووفاة ، توفي سنة ٢٩٨ هجرية .

ووفاته سنة أربع وعشرين ومائتين ؛ فكيف يُسمَع الموتى بعد موتهم ، أو ينقلون عمن ولد من بعدهم ؟![1] .

٦- كثرة الأخطاء الصرفية والاشتقاقية والتصحيف:

مما جعل العلماء ينكرون نسبة كتاب (العين) إلى الخليل ، كثرة ما ورد فيه من الأخطاء الصرفية والاشتقاقية ، نحو قوله : «ليس في الكلام (نون) أصلية في صدر كلمة» ، وأورد الزبيدي في استدراكه على (العين) أنها جاءت كثيراً ، ومثّل لها بقوله : نَهْشَل ، وَنَعْنَع ، ونَهْسَر[2] .

وقوله : «(التحفة) مبدلة من (الواو) ، وفلان يتوحف» : قال الزبيدي : «ليست (التاء) في التحفة مبدلة من (الواو) لوجودها في التصاريف وقوله : (يتوحف) منكر عندي»[3] .

وقوله أيضاً : «احونصل الطائر : إذا ثنى عنقه وأخرج حويصلته» ؛ قال الزبيدي : «(احونصل) منكرة ، ولا أعلم شيئاً على مثال (افعونل) من الأفعال»[4] .

هذا فضلاً على ما احتوى عليه الكتاب من التصحيفات الكثيرة ، مما جعل جلال الدين السيوطي يفرد فصلاً في مزهره لما ورد عن أبي بكر الزبيدي في استدراكه على كتاب (العين) من التصنيفات ؛ نختار منها :

ذكر الخليل في باب (ذعر) : «انذعر القوم : تفرقوا» ، والمعروف (ابذعر) بالباء ، والذي ذكر تحريف .

---

(١) المزهر : ١ ٨٣ .

(٢) ٢ / ٧٧ ، النهشل : المسن المضطرب ، والنعنع : بقلة طيبة الريح ، والنهسر : الذئب .

(٣) المزهر : ١ / ١١١ .

(٤) المصدر السابق : ١ / ١١١ .

ذكر في باب (زعل) : «الزعلول : الخفيف من الرجال»، وإنما هو : الزغلول - بالغين المعجمة - عن أبي عمرو الشيباني .

وذكر في باب (معر) : «رجل أمعر الشعر ، وهو لون يضرب إلى الحمرة» ، والصواب : أمغر : مشتق من المغرة .

وذكر في باب (سحب) : «السحب : شدة الأكل والشرب» ، وإنما هو السحت[1] .

وفي ذلك يقول أحمد بن يحيى ثعلب : «إنما وقع الغلط في كتاب (العين) لأن الخليل رسمه ولم يحشه ، ولو أن الخليل حشاه ما بقي فيه شيئاً ، لأن الخليل رجل لم يُرَ مثله .. وقد حشاه قوم علماء ، إلا أنه لم يؤخذ عنهم رواية ، إنما وجد بنقل الوراقين ؛ فلذلك اختل الكتاب»[2] .

ويقول الزبيدي : «ونحن نربأ بالخليل عن نسبة الخلل إليه ، أو التعرض للمقاومة له ، بل نقول : إن الكتاب لا يصح له ، ولا يثبت عنه»[3] .

ويقول أبو الفتح عثمان بن جني : «أما كتاب (العين) ، ففيه من التخليط والخلل والفساد ، ما لا يجوز أن يحمل على أصغر أتباع الخليل ، فضلاً عن نفسه ولا محالة أن هذا تخليط لحق هذا الكتاب من قبل غيره ؛ فإن كان للخليل فيه عمل فلعله أومأ إلى عمل هذا الكتاب إيماء ، ولم يله بنفسه ، ولا قدره ، ولا حرره ؛ وذاكرت به يوماً أبا علي - رحمه الله - فرأيته منكراً له»[4] .

٧- رواية مادة الكتاب بلسان غير الخليل:

فقد ذكر الأب أنستاس الكرملي أن كتاب (العين) مبني على عبارات مثل «قال

(١) انظر في هذه الأخطاء والتصحيفات : المزهر : ٢ / ٢٣٧ .

(٢) المزهر : ١ / ٨٢ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) الخصائص : ٣ / ٢٨٨ .

الخليل» و«سألت الخليل» مما يقطع بأن المتحدث غير المؤلف ، وأن المؤلف غير الخليل[1] .

كما تابع الكرملي بقية المنكرين في ادعاء الحكاية عن متأخرين عن المؤلف .

دفاع عن (العين) والخليل:

أما الفريق الثالث المؤيد نسبة كتاب (العين) للخليل ، فتتبلور أدلتهم على صحة نسبة الكتاب للخليل ، في تصريحات اللغويين القدامى ، وفي دحض أدلة المنكرين من جانب اللغويين المحدثين ، وذلك على النحو التالي :

يقول ابن دريد : «قد ألف الخليل بن أحمد كتاب (العين) ، فأتعب من تصدى لغايته ، وعنى من سما إلى نهايته ، فالمنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكل من بعده له تبع ، أقر بذلك أم جحد ، ولكنه - رحمه الله - ألف كتابه مشاكلاً لثقوب فهمه وذكاء فطنته ، وحدة أذهان أهل دهره»[2] .

ويقول أبو الحسن الشاري : «أما كتاب (العين) المنسوب إلى الخليل ، فهو أصل في معناه ، وهو الذي نهج طريقة تأليف اللغة على الحروف ، وقديماً اعتنى به العلماء ، وقبله الجهابذة ، فكان المبرد يرفع من قدره ، ورواه أبو محمد بن درستويه ، وله كتاب في الرد على المفضل بن سلمة ، فيما نسبه إلى الكتاب من خلل ، ويكاد لا يوجد لأبي إسحق الزجاجي حكاية في اللغة إلا منه ، وقد تكلم الناس فيه بما هو مشهور»[3] .

---

(١) مجلة (لغة العرب) أغسطس ١٩١٤ .

(٢) مقدمة (جمهرة اللغة) لابن دريد : ١ / ٣ .

(٣) المزهر : ١ / ٨٦ .

ويقول عنه أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني في معرض حديثه عن مصادر كتابه (مقاييس اللغة) : « .. فأعلاها وأشرفها كتاب أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد المسمى (كتاب العين) »[1] .

ويقول عنه السيوطي : «وقد طالعته إلى آخره ، فرأيت وجه التخطئة فيما خطئ فيه ، غالبه من جهة التصريف والاشتقاق ، كذكر حرف مزيد في مادة أصلية ، أو مادة ثلاثية في مادة رباعية ، ونحو ذلك ، وبعضه ادعى فيه التصحيف وأما أنه يخطأ في لفظة من حيث اللغة ، بأن يقال : هذه اللفظة كذب ، أو لا تعرف فمعاذ الله ، لم يقع» .

ثم قال : «حينئذ لا قدح في كتاب (العين) ، لأن الأول الإنكار فيه راجع إلى الترتيب والوضع ، في التأليف ، وهذا أمر هين ، لأن حاصله أن يقال : الأولى نقل هذه اللفظة من هذا الباب ، وإيرادها في هذا الباب ، وهذا أمر سهل ؛ وإن كان مقام الخليل ينزه عن ارتكاب مثل ذلك إلا أنه لا يمنع الوثوق بالكتاب ، والاعتماد عليه في نقل اللغة ؛ والثاني إن سلم فيه ما ادّعى من التصحيف يقال فيه ما قالته الأئمة : ومن ذا الذي سلم من التصحيف ؟! »[2] .

أما ردود المحدثين من اللغويين على أدلة المنكرين لنسبة الكتاب للخليل ، فتكمن فيما يلي :

يقول الدكتور أحمد مختار عمر : «بالنسبة لاختفاء المعجم مدة من الزمن ، فلعل ذلك راجع إلى عزلة الخليل ، وانطوائه عن تدوين كتبه بنفسه ، وقد ساعد ذلك وغيره على اختفاء الكتاب فترة من الزمن فلم يظهر إلا متأخراً على يد الوراقين في خراسان ، بل ربما كان مصير (العين) كمصير (الجيم) ؛ لأبي عمرو الشيباني ولهذا لم تظهر نسخه ، ولم يشتهر أمره بين المتأخرين من العلماء»[3] .

---

(١) مقدمة (مقاييس اللغة) لابن فارس : ١ / ٣ .

(٢) المزهر : ١ / ٧٦ .

(٣) البحث اللغوي عند العرب للدكتور أحمد مختار عمر : ١٤٠ .

أما عن الاختلاف في الأصوات ومخارج الحروف بين الخليل وتلميذه سيبويه، فيقول: «لا ضير في هذا، لأن لكلٍّ رأيه. فكم وجد من خلافات بين العلماء من البصريين من أمثال الخليل، وسيبويه، والأخفش، وكلهم بصريون، كما كان بعض البصريين ينظم للكوفيين؛ فضلاً عن ذلك فإن تصنيف الكلمات التي تتكرر بعض حروفها، محل خلاف بين اللغويين، لأنهم لم يتفقوا فيها على رأي»[1].

* وأرى أن هذا المأخذ من المفضل بن سلمة والزبيدي فيه تحامل شديد على الخليل، ومحاولة تصيد الهنات له، إذ المعلوم أن سيبويه عندما أورد في كتابه أن (الهمزة) أعمق الحروف مخرجاً، إنما كان يصف مخارج الحروف بعيداً عن استخدامها في عمل المعجم، ولكن عندما قال الخليل أن (العين) هي أعمق الحروف مخرجاً ولهذا بدأ بها معجمه. فقد سبق ذلك تصريحه باستبعاد الهمزة، والهاء، والحاء من البدء بها، ذاكر الأسباب التي دعته إلى استبعاد ثلاثتها، ومن ثم تكون (العين) - بعد استبعاد هذه الثلاثة - هي أعمق الحروف مخرجاً؛ وعليه فلا خلاف بين الخليل وبين تلميذه وحامل علمه سيبويه، ويصبح ادعاء كل من المفضل والزبيدي محض افتراء، لا يستند إلى شيء من الواقع.

وأما ما وجد بالكتاب من اضطراب رواياته، وحكاياته عن المتأخرين والمعاصرين، فيقول الدكتور عبد الله درويش - محقق الكتاب -: «لا أثر لذلك في نفي نسبة الكتاب، لأنها كانت من التعليقات والشروح على الهوامش، فأدخلها النساخ في صميم المتن، أو لعلها كانت من المغرضين وأصحاب الهوى، لإلحاق النقص بالكتاب وصاحبه»[2].

* وأرى أن وصف الكتاب باضطراب الروايات محض افتراء أيضاً، فقد روي كتاب (العين) من ثلاث طرق، كلها تفضي إلى أن راويه هو الليث بن المظفر بن نصر بن سيار الخراساني، وهذه الطرق على النحو التالي:

---

(١) البحث اللغوي عند العرب: ١٤٢.

(٢) مقدمة تحقيق كتاب (العين): ١ / ١٣.

الأولى : وبها يبدأ الكتاب وهي : «قال أبو معاذ عبد الله بن عائذ : حدثني الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل بجميع ما في هذا الكتاب . قال الليث : قال الخليل : ....»[1] .

الثانية : يقول ابن فارس القزويني : «أما كتاب العين للخليل بن أحمد ، فقد حدثني به علي بن إبراهيم القطان ، فيما قرأت عليه قال : «أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم المعداني عن أبيه إبراهيم بن إسحق ، عن بندار بن لزة الأصفهاني ، ومعروف بن حسان ، عن الليث عن الخليل ... »[2] .

الثالثة : روى أبو علي الغساني كتاب (العين) عن الحافظ أبي عمرو بن عبد البر ، عن عبد الوارث بن سفيان ، عن القاضي منذر بن سعيد ، عن أبي العباس أحمد بن محمد بن ولاد النحوي ، عن أبيه ، عن أبي الحسن علي بن مهدي ، عن أبي معاذ عبد الجبار بن زيد ، عن الليث بن المظفر بن نصر بن سيار ، عن الخليل[3] ..

أما عن الحكايات عن المتأخرين والمعاصرين ، فإنني أؤيد رأي الدكتور عبد الله درويش في أن ذلك من عمل النساخ ، ولا سيما إذا لم يكونوا على دراية بما ينسخون ، حيث تخرج منسوخاتهم مشوهة أحياناً ، بعيدة جداً عما وضعه مؤلف الكتاب ومصنفه أحياناً أخرى ؛ وفي هذا الصدد يقول الأب أنستاس ماري الكرملي ، أحد المدعين هذه السقطة على كتاب (العين) : «إن الشيخ كاظم أفندي الدجيلي وجد نسخة من هذا الكتاب في كربلاء ، ونسخة ثانية في الكاظمية ، وناسخا هاتين النسختين إيرانيان لا يحسنان العربية ولهذا جاءتا مغلوطتين ، وكلتاهما ناقصة ، فنسخة كربلاء ناقصة العبارة في عدة مواد ؛ وقد فعل الكاتب ذلك طلباً لنسخ الكتاب بسرعة ، فتصرف في النقل تصرفاً غريباً ، بحيث أصبح

---

(١) المصدر السابق : ١ / ٥٣ .

(٢) معجم (مقاييس اللغة) : ١ .

(٣) المزهر : ١ / ٩١ - ٩٢ .

طبعه على تلك النسخة طامة من الطوام ، وإهانة للمؤلف الذي تكبد له عرق القربة ، وأما نسخة الكاظمية فينقصها ورقتان ، وفيها أغلاط لا تقل عدداً عن نسخة كربلاء ، وإن كانت أغلاط هذه غير أغلاط تلك .. ولما رأينا هاتين النسختين بتلك الحالة استأنا غاية الاستياء ، لعلمنا أنه من البعيد أن يطبع مثل هذا الكتاب بتلك الصورة المشوهة القبيحة ، التي تصمه وصمة عار ، لا يمحوها سير الأدهار»[1] .

فما بالك برجل يعترف بفعل النساخ هذا في المخطوطات ، ثم يدعي على كتاب (العين) حكاياته عن متأخرين ومعاصرين .

ولنضرب مثالاً حياً على إدخال النساخ للشروح والتقليبات التي في الحواشي ضمن صلب الكتاب ، فقد ذكر أبو زيد الأنصاري في كتابه (النوادر في اللغة) قول الشاعر :

تهددنا وتوعدنا رويدا   متى كنا لأمك مقتونيا

ثم جاء بعد هذا البيت مباشرة : «قال أبو الحسن : القياس . وهو المسموع من العرب أيضاً ، فتح (الواو) من (مقتونيا) ، فيكون الواحد (مقتوي) ؛ فأما أبو العباس فأخبرني أن جمع (مقتوين) عند كثير من العرب (مقاتوه) »[2] .

فهل يستسيغ عقل امرئ أن يروي أبو زيد الأنصاري المتوفي سنة ٢١٥ هجرية عن أبي العباس المبرد المتوفي سنة ٢٨٥ هجرية ؛ ناهيك عن أبي الحسن الأخفش المتوفي سنة ٥٩٩ هجرية . ولا ريب أن ذلك كان ضمن ما علق به أحدهم على البيت في حاشية المخطوطة ، ثم جاء الناسخ فأدخله ضمن صلب الكتاب ، فجاء على هذه الصورة .

وأما عن الأخطاء والتصحيفات التي وقعت في كتاب (العين) فيرى المدافعون عن الكتاب وصاحبه ، أنها من عمل النساخ أيضاً ، حيث كانوا يكرون لنسخ الكتب

---

(١) بحث نشر بمجلة (لغة العرب) عدد أغسطس ١٩١٤ .

(٢) النوادر في اللغة : ٢١٩ .

في شتى العلوم ، ويعيشون من مهنة النسخ هذه ، ولم يسلم أي مخطوط من مثل ذلك[1] ، ولعل فيما سقناه من كلام الأب أنستاس الكرملي أبلغ رد على هذه الفرية بل أبلغ من ذلك وأدفع ما قاله السيوطي – فيما سقناه آنفاً – والأجدر أن نذكر به مرة أخرى إذ يقول عن (العين) : «وقد طالعته إلى آخره ، فرأيت وجه التخطئة فيما خطئ فيه ، غالبه من جهة التصريف والاشتقاق ، كذكر حرف في مادة أصلية ، أو مادة ثلاثية في مادة رباعية ، ونحو ذلك ؛ وبعضه ادعى فيه التصحيف ؛ وأما أن يخطأ في لفظة من حيث اللغة بأن يقال : هذه اللفظة كذب ، أو لا تعرف ، فمعاذ الله لم تقع .

حينئذ لا قدح في كتاب (العين) ، لأن الأول الإنكار فيه راجع إلى الترتيب والوضع في التأليف ، وهذا أمر هين . لأن حاصله أن يقال : الأوْلَى نقل هذه اللفظة من هذا الباب ، وإيرادها في هذا الباب ، وهذا أمر سهل ؛ وإن كان مقام الخليل ينزه عن ارتكاب مثل ذلك . إلا أنه لا يمنع الوثوق بالكتاب ، والاعتماد عليه في نقل اللغة ؛ والثاني إن سلم فيه ما ادّعى من التصحيف ، يقال فيه ما قالته الأئمة : ومن ذا الذي سلم من التصحيف»[2] .

وبعد هذا الذي تقدم من سرد ادعاءات المنكرين لنسبة كتاب (العين) إلى مؤلفه العلامة الخليل بن أحمد الفراهيدي ، والرد عليها وتفنيدها ، مما ظهر منه بطلانها وأنها مجرد مفتريات أريد بها الحيف على الرجل ، وسلبه حقه المشروع الذي تكبّد في سبيله عرق القريبة ، يصبح من المقطوع به والثابت عقلاً ونقلاً ، أن كتاب (العين) هو من ابتكار وعمل الخليل بن أحمد الفراهيدي سداة ولحمة ، وليس لأحد غيره عمل فيه ؛ وأما ما جاء فيه من قول الليث بن المظفر بن نصر بن سيار الخراساني إنما هو الرواية عن المؤلف الحقيقي للكتاب ، شأنه شأن معظم الكتب الأمهات والمراجع الأصيلة . والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

---

(١) مقدمة تحقيق كتاب (العين) : ١ / ١٣ .

(٢) المزهر : ١ / ٧٦ .

إسناد كتاب (العين):

عرضنا آنفاً أن كتاب «العين» قد روي بروايات ثلاث ، كلها تنتهي برواية الليث ابن المظفر بن نصر بن سيار الخراساني ، والسبب وراء تفرد الليث برواية كتاب «العين» أن الخليل قد قام بتأليفه في خراسان عند الليث ، ثم أهداه إياه ، فلم يكن عند أحد غير الليث نسخة منه ، كما جاء بقصة حرق زوجته له[1] ؛ ويروي لنا ابن المعتز قصة تأليف الكتاب فيقول : «إن الخليل عندما ضاقت به الحال في البصرة رحل إلى الليث في خراسان ، فوجد فيه ميلاً شديداً للغة ، واطلاعاً واسعاً ، ودراية بالشعر ، وزيادة على ذلك وجد من إكرام ضيافته ما جعله يقيم عنده إقامة معززة مكرمة ، قد عوضته عليه بعض أيام الفقر في البصرة فقدم له الخليل أغلى هدية عنده ، وهي كتاب (العين) الذي كان قد بدأه . ثم أتمه عنده في حياته ، وقد دفع له الليث جائزة كبرى على ذلك[2] ، كما عكف على دراسة الكتاب ليلاً ونهاراً حتى كاد أن يحفظه عن ظهر قلب»[3] .

وهذه الروايات الثلاث على النحو التالي :

الأولى : ويبدأ بها صلب الكتاب وهي : «قال أبو معاذ عبد الله بن عائذ : حدثني الليث بن المظفر بن نصر بن سيار ، عن الخليل بجميع ما في هذا الكتاب قال الليث : قال الخليل ... »[4] .

الثانية : أوردها أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني في أول معجمه (مقاييس اللغة) حيث يقول : «أما كتاب العين للخليل بن أحمد ، فقد حدثني به علي ابن إبراهيم القطان فيما قرأت عليه قال : أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم

---

(١) راجع القصة ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) ذكر ابن المعتز في القصة نفسها برواية السيوطي في (المزهر) أن المكافأة كانت مائة ألف درهم .

(٣) معجم الأدباء : ١٧ / ٤٦ . وبغية الوعاة : ١ / ٥٦٠ .

(٤) كتاب (العين) تحقيق د. عبد الله درويش : ١ / ٥٣ .

المعداني ، عن أبيه إبراهيم بن إسحق ، عن بندار بن لزة الأصفهاني ، ومعروف بن حسان ، عن الليث ، عن الخليل [١] .

الثالثة : أوردها جلال الدين السيوطي في (المزهر) بقوله : «روى أبو علي الغساني كتاب (العين) عن الحافظ أبي عمرو بن عبد البر ، عن عبد الوارث بن سفيان ، عن القاضي منذر بن سعيد ، عن أبي العباس أحمد بن محمد بن ولاد النحوي ، عن أبيه ، عن أبي الحسن علي بن مهدي ، عن أبي معاذ عبد الجبار بن زيد ، عن الليث بن المظفر بن نصر بن سيار ، عن الخليل»[٢] .

---

(١) معجم (مقاييس اللغة) : ١ .
(٢) المزهر : ١ / ٩١ – ٩٢ .

علمنا – مما تقدم – أن الهدف الأساسي الذي كان يهدف إليه اللغويون من وضع المعاجم اللغوية – منذ بدء التأليف فيها ، بما أطلق عليه اسم (الرسائل الخاصة) – هو الوقوف على الألفاظ العربية الأصيلة ، لمعرفة ما قد يدخلها من الألفاظ الأعجمية الغريبة عنها ؛ وقد تبلور هذا الهدف ، وبرز في أجلى صوره وأنصعها ، فيما أقدم عليه الخليل بن أحمد ، حين فكر في تأليف كتاب (العين) ، حيث تواترت الروايات على أنه اعتكف في إحدى غرف منزله فترة ، لا يكاد يغادرها ، يعمل فكره في جمع ألفاظ اللغة بطريقة حاصرة ، تقوم على الحساب العقلي ، حتي لا تَشِذَّ عنه كلمة ، أو تَنِدَّ عنه لفظة ؛ فضلا على درء مظنة تسرب لفظة غير عربية ، إلى الألفاظ العربية التي أنشأ كتابه من أجلها ؛ ومِن ثَم فقد ابتكر نظام التقليبات ، الذي تقوم عليه أولى مدارس التأليف في المعاجم العربية.

وإلى جانب نظام التقلبيات هذا ، عمد الخليل إلى التزام نظام آخر محكم ، لا يتسرب من خلاله خطأ ولا يقع معه سهو أو تكرار ، وهو مراعاة كمية اللفظة من الحروف ، حيث قسم كتابه إلى أبواب بحسب هذه الكمية ، فبدأ بالثنائي من الألفاظ ، ثم الثلاثي ، ثم الرباعي ، والخماسي ؛ وبذلك أمكنه تحقيق الهدف الذي كان ينشده ؛ حتى إن كل الذين انبروا للقدح في الكتاب ، ربما تناولوا كل شيء فيه فيما عدا نظام حصر الألفاظ والإحاطة بها إذ لم يتناول ذلك أحد بنقد أو قدح ومما يُرْوى في ذلك ما قاله الليث بن المظفر: « كنت أصير إلي الخليل بن أحمد ، فقال لي يوما : لو أن إنسانا قصد ، وألف حروف : ألف ، وباء ، وتاء ، وثاء .... الخ على ما أمثله ، لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب ، فتهيأ له أصل ، لا يخرج عنه شيء منه بتة ، فقلت لـه : وكيف يكون ذلك ؟! قال : يؤلفه على الثنائي ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماسي وأنه لا يُعْرَف من كلام العرب أكثر منه»[1] .

---

(١) الفهرست لابن القديم : ٦٤، عن دراسات في المعاجم العربية للدكتور ناجح مبروك ، ٣٨.

كما ختم الخليل كلامه في خاتمة كتابه العين بقوله :« هذا آخر كلام العرب»[1] أي : أن هذه هي الطريقة التي يمكن بها الإحاطة بجميع ألفاظ العربية بطريقة حاصرة محيطة.

(١) انظر خاتمة كتاب (العين) والمزهر للسيوطي : ١/ ٦٤.

منهج الخليل

في العين

لما كان الخليل بن أحمد يهدف إلي الإحاطة بألفاظ اللغة العربية بطريقة حاصرة ، يؤمَن معها الفوت ، ويضمن به عدم التكرار ؛ ثم الوقوع على اللفظة المرادة في مظانها من الكتاب في سهولة ويسر ، مما يبلور فحوى الكتاب في جانبين :

أ) حصر ألفاظ اللغة.

ب) ترتيب المادة اللغوية.

فقد اعتمد في تأليف الكتاب على دعامتين:

الأولى : النظام الصوتي:

فكر الخليل – أول الأمر – في ترتيب المادة اللغوية في كتابه ، على نظام الأبجدية العادية ، إلا أنه وجد أن الحرف الأول (الهمزة) لا تستقر على حال ، حيث تكون على ألف ، وقد تكون على واو وقد تكون ياء؛ وقد تسهل فلا تظهر في النطق ؛ فلم يتيسر له البدء بها ، ثم كره البدء بالحرف الثاني (الباء) ؛ فانصرف عن الأبجدية العادية وعمد إلى جمع الفاظ اللغة بحسب مخارج الحروف ، وأنشأ أبجدية صوتية لهذا الغرض ؛ إلا أنه وجد أن أعمق الحروف فيها مخرجا هو (الهمزة) أيضا ، فانصرف عنه ثانية ، لأنه يعتريها من التسهيل والتخفيف ما يجعلها حرف علة ، فتقلب (واواً) إذا كان ما قبلها ضمة ، وتقلب (ألفا) إذا كان ما قبلها فتحة ، وتقلب (ياء) إذا كان ما قبلها كسرة مثل قولهم : لُوم في لؤم ، وراس في رأس، وذيب في ذئب[1] . فتجاوزها إلي ما بعده وهو (الهاء) ، ولكنه

---

(١) مقدمة كتاب (العين) تحقيق الدكتور عبدالله درويش: ١/٢٤.

وجده حرفاً مهموساً ، لا يتضح في النطق ، لعدم اهتزاز الأوتار الصوتية حين التلفظ به ، فأخَّرها ، وكذلك أخَّر الحرف التالي له وهو (الحاء) لما فيه من بحة وقيل : بحة تجعلها قاصرة عن اللحاق بحرف (العين).

ومن ثم فقد بدأ الخليل ترتيبه للمادة اللغوية في كتابه بحرف (العين) ، وفي هذا يقول ابن كيسان(١) : سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال : لم أبدأ بالهمزة ، لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف ؛ ولا بالهاء ، لأنها مهموسة خفيفة لا صوت لها ، فنزلت إلى الحيز الثاني ، وفيه (العين) و (الحاء) ؛ فوجدت (العين) أنصع الحرفين، فابتدأت به ، ليكون أحسن في التأليف(٢) .

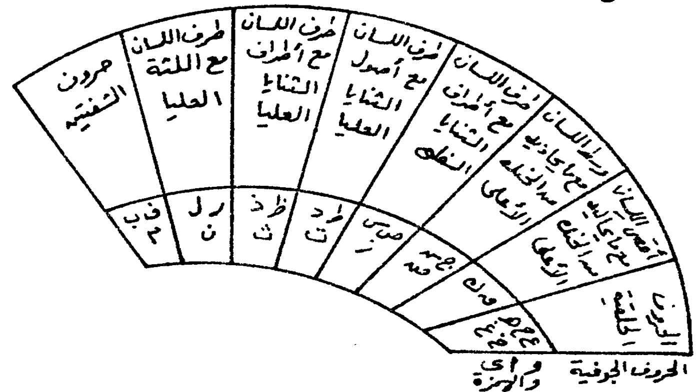
ويحكي الليث بن المظفر عن الخليل قوله : « فأقصى الحروف كلها (العين) ثم (الحاء) ولولا بحة في الحاء ، لأشبهت العين ، لقرب مخرجها من العين ، ثم الهاء ولولا هتة في الهاء وقال مرة (ههة) لأشبهت الحاء ، لقرب مخرجها من الحاء؛ فهذه ثلاثة أحرف ، في حيز واحد ، بعضها أرفع من بعض ؛ ثم الخاء ، والغين في حيز واحد ، كلهن حلقية ؛ ثم القاف والكاف، لهويتان ، والكاف أرفع ؛ ثم الجيم ، والشين والضاد في حيز واحد ثم الصاد والسين ، والزاي في حيز واحد ثم الطاء والدال والضاد في حيز واحد ؛ ثم الصاد والزاي في حيز واحد؛ ثم الواو ، والألف والياء في حيز واحد ؛ والهمزة في الهواء ، لم يكن لها حيز تنسب إليه»(٣) .إذن، فد رتب الخليل حروف الهجاء ترتيبا تصاعديا بحسب مخارجها بادئا بالأعمق مخرجا ومنتهيا بالأقرب علي النحو التالي مما جعل اللغويين يطلقون عليه اسم « الأبجدية الصوتية ».

ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن

(١) ابن كيسان : محمد بن أحمد بن كيسان ، نحوي ، أخذ عن المبرد وثعلب . توفي سنة ٢٩٩هـ .
(٢) مقدمة تحقيق العين ١:٣٤ ، المزهر : ١ / ٩٠.
(٣) راجع معجم (العين) : ١/ ٩٤ ، ٦٥ ، دراسات في المعجمات العربية : ٤٠.

ف ب م / ، أما حروف العلة (واي) فهي جوفيه لا حيز لها ، وقد ضم إليها (الهمزة)[1] .

ثم تابع الخليل ترتيب الألفاظ علي أساس صوتي ، واضعا في اعتباره أعمق حرف في اللفظة من حيث المخرج؛ إذ تنقسم الحروف من حيث مخرجها إلى أربع مستويات : الحروف الحلقية ، والحروف اللسانية ، والحروف الشفوية ، ثم الحروف الجوفية ، واختص بهذا الأخير حروف العلة ، وضم إليها (الهمزة) ، وذلك على النحو الموضح بالشكل.



وعلى ذلك فقد بدأ ترتيب المادة اللغوية في كتاب (العين) بأعمق حروف الحلق مخرجا ، وهو (العين) وقد سُمِّي الكتاب باسمه ، ثم توالي ترتيب الألفاظ طبقا لترتيب الحروف كما هو موضح بالشكل ، حتي يصل إلي حروف الشفتين ، ثم أخرّ الخليل حروف العلة إلى نهاية الكتاب لكونها جوفية ، لا أثر لها في الأوتار الصوتية ، ومن ثم فلا صوت لها ، وضم إليها (الهمزة) .

الدعامة الثانية : النظام الرياضي

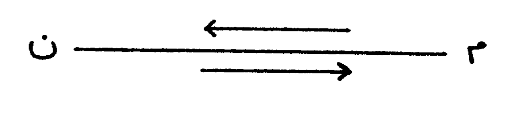
أخذ الخليل في اعتباره – عند حصر ألفاظ اللغة – كون حروف الهجاء ثمانية

---

(١) معجم (العين) : ١ /٤٥.

وعشرين حرفاً ، وأن أبنية الكلم العربية تنحصر – من حيث كمية البناء من الحروف – في أربعة أنواع : أبنية ثنائية ، وأخرى ثلاثية ، وثالثة رباعية ، ورابعة خماسية ؛ وقد يزاد على البناء حرف أو أكثر ، إلا أن هذه الزوائد ليست من أصل الكلمة بل هي زائدة على الأصل المجرد.

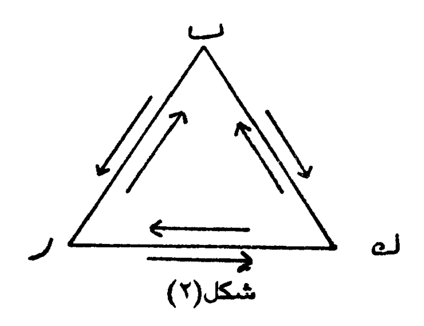
فاللفظة الثنائية إذا قُلِّبت على مايمكن أن يُتَصور لها من ناحية وضع الحروف، مقدَّمة مرة ، ومؤخَّرة أخرى خرجت في صورتين ؛ فالثنائي (مِنْ) مثلا صورته الأخري بعد قلبه (نم) هكذا في (شكل١).



شكل(١)

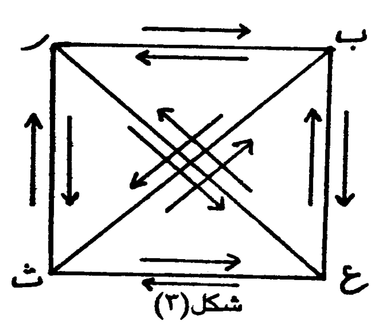
أما اللفظ الثلاثي ، فتقاليبه المتصوَّرة عقلا ست صور ، حاصلة من ضرب الصورتين السابقتين في ثلاثة ، فالأصل الثلاثي (بكر) مثلا ، تكن صوره الستة كما يلي في (شكل٢).

(بكر ، برك – كبر ، كرب – ركب ، ربك)



شكل(٢)

والأصل الرباعي تقاليبه أربعة وعشرون صورة ، حاصلة من ضرب الصور الستة السابقة في (٤) ، ويمكن الوقوع على هذه الصور باستخدام الرسم الموضح.(شكل٣)



شكل(٣)

أما الأصل الخماسي فالصور الممكنة من تقاليبة مائة وعشرون ، حاصلة من ضرب الصور الأربعة والعشرين السابقة في (٥).

وفي هذا يقول ابن دريد : « إذا أردت أن تؤلف بناء ثنائياً ، أو ثلاثيا ، أو رباعيا ، أو خماسيا فخذ من كل جنس من أجناس الحروف المتباعدة ، ثم أدرْ دائرة ، فوقّع ثلاثة أحرف حواليها ثم فكّها من عند كل حرف يمنة ويسرة ، حتي تُفكَ الأحرف الثلاثة ، فيخرج من الثلاثي : ستة أبنية ثلاثية ، وتسعة أبنية ثنائية ؛ فإذا فعلت ذلك استقصيت من كلام العرب ما تكلموا به وما رغبوا عنه[1] .

وبملاحظة عدد حروف الهجاء ، يمكن أن يصل عدد الكلمات التي يمكن تصورها من الناحية العقلية أكثر من اثني عشرمليونا من الأبنية ، منها المستعمل -وهو قليل- ومنها المهمل - وهو كثير -[2] ؛ وفي هذا يقول حمزة الأصبهاني :

« ذكر الخليل في كتاب (العين) أن مبلغ عدد الأبنية في كلام العرب

---

(١) جمهرة اللغة : ٥١٣/٣.

(٢) راجع : دراسات المعاجم العربية للدكتور أمين فاخر : ١٣، ١٤.

المستعمل والمهمل ، على مراتبها الأربع ، من الثنائي ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماسي- من غير تكرار - إثنا عشر ألف وثلاثمائه ألف وخمسة آلاف وأربعمائة واثنا عشر.

الثنائي : سبعمائة وستة وخمسون .

والثلاثي: تسعة آلاف وستمائة وخمسون .

والرباعي : أربعمائة ألف وواحد وتسعون ألفا وأربعمائة .

والخماسي : أحد عشر ألف ألف وسبعمائة ألف وثلاثة وتسعون ألفا وستمائة»[1] .

ويقول الزبيدي في (مختصر كتاب العين) : عدة مستعمل الكلام كله ومهملة ستة آلاف ألف وستمائة ألف وثلاثة وخمسون ألف وسبعمائة وثمانون »[2] .

ولم يعبأ الخليل بكون اللفظ مستعملا أو مهملا ، بل كان يثبت الجميع ، ولكنه كان غالبا ما ينبه علي المستعمل والمهمل قرين كل منها ، علي الوجه الذي سنبينه في المنهج الذي سلكه الخليل في ترتيب مادة الكتاب.

منهج الخليل في ترتيب « العين»

سلك الخليل في ترتيب المادة اللغوية في كتابه (العين) نظاما مبتكرا ، لم يُسبَق إليه ، ولم يلتزمه أحد من اللغويين من قبله ، وإن تخللته أمور لاحظها من أتي بعد ه من مؤلفي المعاجم ، فالتزموها ، لكل من يقدم على هذا النوع من التأليف أن يراعيها ويلتزمها ، مثل تجريد اللفظة ، ورد المقلوب من حروف العلة إلي أصله ، ورد المحذوف إن كان هناك حذف ، ورد الجمع إلى مفرده ، والمصغَّر إلى مكبَّره ،

---

(١) المزهر : ١/ ٧٤.

(٢) المزهر : ١/ ٧٥.

والمؤنث إلى مذكره[1] ويتبلور منهج الخليل فيما يلي:

أ) تقسيم المعجم إلى كتب:

حيث قسم المعجم إلى كتب بعدد حروف الهجاء ، فجعل كتابا للعين ، وكتابا للحاء .. الخ:

فجاء المعجم في ثمانية وعشرين كتابا ، مرتبة ترتيبا صوتيا بحسب ترتيب الحروف الهجائية.

ب) تقسم الكتب إلى أبواب:

فقد قسم كل كتاب إلى أبواب تبعا لنظام كميٍّ ، أي بحسب عدد حروف اللفظة ، حيث يُعَنْوِنُ للثنائي المضاعف من (كتاب العين) بقوله (باب العين والنون) ثم يذكر تحته (ع ن ، ن ع) ويعنون للثلاثي من (كتاب العين) أيضا بقوله (باب العين والجيم والذال) ويذكر تحته (ج ذ ع ، ج ع ذ ، ذ ج ع ، ذ ع ج ، ع ذ ج ، ع ج ذ) ... وهكذا[2]

جـ) الرجوع إلى الأصل اللغوي :

والأصل اللغوي هو المادة الأصلية التي اشتقت منها اللفظة ، حيث ترد اللفظة إلى هذ الأصل قبل إثباتها في موضعها من الكتاب ، ويتحقق ذلك بعدة أمور :

١- تجريد اللفظة من الزوائد والرجوع إلي حروفها الأصلية ، فمثلا (انطلق) تجرد من الألف والنون ، فتصبح (طلق) ، ويبحث عنها في كتاب(القاف) ؛ ولفظة

---

(١) راجع دراسات في المعجمات للدكتور تاحج عبد الحافظ: ٤٠.

(١) راجع معجم العين : ١/٢٥٢.

(استغفر) تجرد من الألف والعين والتاء ، فتصبح (غفر) ويبحث عنها في كتاب (الغين)... الخ.

٢- رد حروف العلة إلى أصولها . فإن كان حرف العلة منقلبا عن أصل ، رُدَّ إلى ذلك الأصل ، فمثلا لفظة (قال) ترد ألفها إلي أصلها (الواو) فتصبح (قول) ويبحث عنها في باب (القاف) ، ولفظة (باع) ترد ألفها إلي أصلها (الياء) فتصبح (بيع) ويبحث عنها في باب (العين).

٣- رد المحذوف . حيث هناك ألفاظ تأتي في اللغة على حذف حرف مثل (يد) و (دم) ، والأسماء الستة ، وأخري تأتي على حذف حرف والتعويض عنه بآخر مثل (عِدَة) و (صِلَة) حيث حذف منها (الواو) وعوض عنها (تاء) التأنيث ، فحينئذ يرد الحرف المحذوف، وإذا كان مُعَوَّضا عنه يحذف العِوَضُ، فتصبير (وعد) و(وصل).

٤- رد الجمع إلى مفرده . وذلك إذا وردت كلمة على صيغة الجمع ، وجب إرجاعها إلي صيغة المفرد قبل الكشف عنها ، فمثلا لفظة (عُلَمَاء) يؤتي بصيغة المفرد منها (عالم) ثم يبحث عنها في كتاب العين حيث هو أعمق حروفها مخرجا .

٥- رد المصغَّر إلي مكبَّره . فلو جاءت لفظة على صيغة من صيغ التصغير مثل لفظة (رُجَيْلٌ) ، فإنه يرجع بها إلي صيغة التكبير (رجل) ويبحث عنها في باب الجيم) حيث هو أعمق الحروف مخرجا .

٦- رد المؤنث إلي مذكره. فمثلا لفظة مؤنثة مثل (حمراء) لابد من ردها إلي المذكر منها وهو أحمر، ويبحث عنها في كتاب الحاء حيث هي أعمق حروفا مخرجا .

د)مراعاة الكم الحرفي :

حيث يراعي – عند ترتيب الألفاظ داخل الكتاب – كمية الحروف المكونة للفظة ثم يبدأ بأصغر كمية ، ثم التي تليها .. وهكذا. وعليه فقد جاء ترتيبه للكلمات داخل كل كتاب على النحو التالي :

١- الثنائي : والمراد به عنده ما تكوّن من حرفين ، ولو بتكرار أحدهما ، أو بتكرارهما معاً، نحو (قدْ ، وقدٌ، وقَدْ قَدَ) ومقلوباته (دَقٌ ، دَقْدَقَ)[١] .

٢- الثلاثي الصحيح . وهو ما تكوّن من ثلاثة أحرف خالية من حروف العلة مثل: سَمِعَ ، كَتَبَ ، خَرَجَ .. الخ مع تقليباته.

٣- الثلاثي المعتل . وهو ما كان على ثلاثة أحرف أحدهاحرف علة سواء في أوله نحو : وَعَدَ ، وهو (المثال) ، أو في وسطه نحو (قَالَ) وهو (الأجوف) ، أو في آخره نحو : سَعَى ، وهو (الناقص) مع مقلوباته.

٤- اللفيف. وهو ما اشتملت أصوله علي حرفي علة مقترنين نحو (غَوى) ويسمى: «مقرونا» أو منفصلين نحو (وَقَى) ويسمى مفروقا.

٥- الرباعي والخماسي وقد بدأهما أيضا بالصحيح ، وأنهاهما بالمعتل ، وترتب الكلمات الرباعية والخماسية بحسب الحرف الأعمق مخرجا فيها أيضا ؛ فمثلا لفظة (جعفر) تكون في باب الرباعي والخاسي من كتاب (العين) ؛ ولفظة (سفرجل) نجدها في باب الرباعي والخماسي من كتاب (الجيم)[٢] .

هـ- التنبيه علي المستعمل والمهمل:

كان الخليل عند تقليبه للفظة على أوجهها الممكنة ، لا يعبأ بالمستعمل من هذه الأوجه والمهمل ، حيث يذهب إلي إثبات جميع صورها الممكنة عقلاً ، إلا أنه في الأعم الأغلب ، كان يجمع الصور المستعملة ويثبت قرينها عبارة (مستعملات) ، ثم يجمع الصورالمهملة ويثبت قرينها لفظة (مهملات) وذلك في بداية تقليبه للكلمة ، وقبل الدخول في معالجتها لغويا.

---

(١) دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح عبدالحافظ: ٤١، ٤٢.

(٢) المصدر السابق : ٤٣.

و) الاستشهاد والاستدلال

كان الخليل حين يعمد إلي شرح المادة اللغوية وتقليباتها ، يستشهد لما يقول بالفصيح من الكلام ، ويستدل بنصوص من القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف، ويؤيد كلامه بمأثور كلام العرب الخلّص – شعراً – ونثراً – إلا أنه كثيرا ما كان يغفل الأشعار إلى قائليها، بل نادرا ما يذكر تلك النسبة(١) .

(١) دراسات في المعاجم العربية للدكتور أمين فاخر: ١٧.

طريقة الكشف في كتاب (العين):

بعد أن تعرفنا على منهج الخليل بن أحمد في ترتيب معجمه (العين) يمكنا علي جانب من السهولة واليسر أن نكشف فيه عن أية لفظة ، والوقوف علي تقليباتها ، ومعاني هذه التقليبات الأصلية والفرعية وذلك بالتزام الخطوات التالية:

أ) إرجاع الكلمة إلي أصلها . وذلك عن طريق:

١- تجريد الكلمة من الحروف الزوائد .

٢- رد المقلوب من حروف العلة إلي أصله الذي قلب عنه .

٣- رد الحرف المحذوف إن كان هناك حذف .

٤- رد الجمع إلى مفرده .

٥- رد المصغر إلى مكبره.

٦- رد المؤنث إلى مذكره.

ب) التعرف على أعمق الحروف مخرجا. حتي يمكن الوقوع على الكتاب الذي تندرج تحته .

جـ) التعرف على كمية اللفظة من الحروف .حتي يمكن الوقوف على الباب الذي تنضوي تحته من الثنائي ، أو الثلاثي ..الخ.

وذلك يتطلب من الباحث الإحاطة بالأبجدية الصوتية التي وضعها الخليل إحاطة تامة، ومعرفة بعلم الصرف وقضاياه معرفة دقيقة . وفي هذا يقول أبو العباس أحمد بن ولاد[1] في كتابه (المقصود والممدود) : كتاب (العين) لايمكن طالب الحرف[2] منه أن يعلم موضعه من الكتاب ، من غير أن يقرأه ، إلا أن يكون

---

(١) ابن ولاد :أحمد بن محمد بن الوليد بن ولاد . من أهل بيت علم . توفى سنة ٣٠٢ هـ.

(٢) الحرف : المقصود به في اللغة : الكلمة أو اللفظة.

قد نظر في التصريف، وعرف الزائد والأصلي ، والمعتل والصحيح ؛ والثلاثي ، والرباعي والخماسي ، ومراتب الحروف من الحلق واللسان والشفه ؛ وتصريف الكلمة علي مايمكن من وجوه تصريفها في اللفظ على وجوه الحركات ، وإلحاقها ما تحتمل من الزوائد بعد تصريفها بلا زيادة ؛ ويحتاج مع هذا إلى أن يعلم الطريق التي وصل الخليل منها إلى حصر كلام العرب ؛ فإذا عرف هذه الأشياء عرف موضع ما يطلب من كتاب (العين)»[1] .

(١) المزهر : ١/ ٩١.

نماذج تطبيقية

من كتاب (العين)

بعد أن تعرفنا على منهج الخليل بن أحمد في ترتيب المادة اللغوية في كتاب (العين) وكذا طريقة الكشف فيه ؛ لا يسعنا الآن إلا أن نسوق نموذجين تطبيقيين من الكتاب ليكونا بمثابة تطبيق عملي على ما أوردناه آنفا.

أ) باب الثنائي من كتاب (العين):

عرفنا أن الخليل كان يذكر في باب الثنائي ، كل ما كان على حرفين ، ولو بتكرار أحدهما ، أو هما معاً ؛ فيقول في باب (العين والسين) :

« عَسٌّ : عَسْعَسَتِ السحابة ، أي : دنت من الأرض ليلا في ظلمة وبرق وعَسْعَسَ الليل : أقبل ودنا ظلامه من الأرض

قال في عسعسة السحابة :

فَعَسْعَسَ حَتىَّ لَوْ نَشاءُ إذا دَنا كان لَهُ مِنْ نارِهِ مُتَقَبَّسُ

ويروي بـ (لكان) .

والعَسُّ : نفض الليل عن أهل الريبة . (عَسَّ ، يَعُسُّ ، عساً ، فهو عَاسٌّ وبه سُمِّي «العَسَسُ» الذي يطوف للسلطان ليلا) ويُجْمَع : العَسَاعِسُ، والعَسَسَةُ ، والأعْسَاسُ.

والمَعَسُّ ، المطلب . والعُسُّ : القَدَح الضخم ، ويجمع على عِساس وعِسَسَة ، وعَسْعَسٌ: موضع . والعَسْعَسُ: من أسماء الذئب ، ويقع على كل سَبُع، إذا تعسعس ، وطلب الصيد بالليل .

والعَسُوسُ: ناقة تضرب برجليها فتصب اللبن ؛ وقيل : هي التي إذا أثيرت للحلب مشت ساعة ، ثم طوّفت ، ثم حلبت ودرّت .

«سَعٌ » : السَّعْسَعَةُ : الاضطراب من الكبر ، وتَسَعْسَعَ الإنسان : كبر وتولى حتى يهرم ، قال رؤبة :

قالَتْ ولَمْ تَأْلُ بهِ أنْ يَسْمَعَا   يا هِنْدُ ما أسْرَعَما تَسَعْسَعا

مِن بعْدِ أنْ كانَ فتى سَرَعْرعَا

أي شابا قويا . وعن عمر : «إنَّ الشَّهر قد تَسَعْسَعَ ، فلو صمنا بقيته» ويروي: تشعشع ، والأول أصح وأفصح (١) .

ب) باب الثلاثي من كتاب (العين)

باب العين والكاف والدال

عكد ، دعك ، دكع (مستعملات) .

« عكد »

العَكَدَةُ : أصل اللسان وعقدته ؛ وعَكِدَ الضب عَكَدا ، أي :سَمِنَ وصلب لحمه فهو عَكِدٌ ؛ واستعكد الضب : إذا لجأ بجحر أو حجر ، واستعكد الطائر إلى كذا انضم إليه مَخَافَةَ البازي ونحوه ، قال:

إذا استعْكَدَتْ منْهُ بِكُلِّ كِدَايةٍ   من الصَّخْرِ وافاها لَدَي كُلِّ مَسْرَحِ

يقول هذه ضِبابٌ استعصمت من الذئب ،فهو لا يقدر أن يُحضِرِ الكَدْيَة ، وهو ما صلب من الأرض ، كذلك : الكدَاية.

---

(١) انظر : معجم العين ١/ ٨٥، ٨٦.

« دَعَكَ »

دَعَك الأديمَ ، والثوبَ ونحوه ، والخصم وما شابهه ، يدعكه دعكا ، إذا لينه ، ومَعَكَه ، قال العجاج :

قَرْمُ القُرُوم صِلْهَا ضُبارِكا قلْخَ الهَدِير مِزْحَماً مُدَعِكا

« دكَعَ »

الدُّكاع : داء يأخذ الخيل والإبل في صدروها ، وهو كالخبطة في الناس ، دُكِع ، فهو مَدْكوع ، قال القطامي :

تَرَى مِنْهُ صُدُورَ الخَيْلِ زُوْرا كَأَنَّ بِها نُحَازاً أَوْ دُكاعَا(١)

تعقيب

من المادتين السابقتين ، نستطيع أن نتبين الأسلوب الذي اتبعه الخليل في معالجة المادة اللغوية في كتابه «العين» والذي يتبلور فيما يلي :

١- قد يورد تقليبات الأصل اللغوي ثم يضم الصور المستخدمة إلى بعضها، ثم يثبت إلي جانبها كلمة (مستعملات) ، ويضم الصور غير المستخدمة ويثبت قرينها كلمة (مهملات) ثم يعمد إلى معالجة المستعمل لغويا ، ثم يغفل غير المستعمل .

٢- يذكر مشتقات الكلمة ، فيذكر الفعل الماضي ، والمضارع ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، وصيغ المبالغة نحو قوله :عَسَّ ، يَعُسُّ عَسًّا ، فهو عَاسٌّ ، دَعَك ، يَدْعَك ، دَعْكاً ، وقوله : عَكَد فهو عَكِدٌ ودَكِع فهو مدكوع ، دُكَاعاً.

٣- حينما يذكر الاسم ، يتبعه بذكر جمعه ، وإن كان له أكثر من جمع واحد ،

(١) انظر معجم العين ط بغداد : ٢١٩ - ٢٢٠.

فغالبا ما يذكر هذه الجموع ، نحو قوله : العسَسَ: يجمع العَسَاعِسُ ، والعسَسَة والأعساس ؛ والعُسُّ: يجمع على عِسَاسٍ، وعِسَسَةٍ ، وعُسُس.

٤- يذكر اسماء الحيوانات ، والطيور ، والأماكن ، التى يحتاجها في توضيح معنى اللفظ أو مشتقاتها نحو قوله :العَسُوسُ : ناقة تضرب برجليها فتصب اللبن والعِسْعَاسُ : من أسماء الذئب ، وقد يقع على كل سَبُع ؛ وقوله : عكد الضب عكدا هذه ضباب استعصمت من الذئب ؛ الدكاع : داء يأخذ الخيل والإبل في صدورها استعكد الطائر إلى كذا : انضم إليه مخافة البازي ؛ وقوله : عسعس : موضع .

٥- يعمد إلى ذكر المعاني الأصلية والجانبية للمادة اللغوية ، دون أن ينص على ما بينها من وشائج وصلات . كما في مادة (عكد) ، إذ العكد له معانٍ ثلاث هي : بمعني أصل اللسان وعقدته ، وبمعنى سِمَن الضب وصلابة لحمه وبمعني : لجوء الضب إلي جحر أو حجر ؛ فهذه ثلاثة معانٍ ورد لمادة (عكد) دون أن يوضح العلاقة أو الصلة بين هذه المعاني .

٦- يستشهد على ما يذكره من معانٍ للمادة اللغوية ، بنصوص من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والفصيح من كلام العرب - شعره ونثره - .

٧- كثيرا مايأتي بالنصوص دون أن ينسبها إلي قائليها ونادراً ما يذكر هذه النسبة كما في مادة (عَسَّ) . حيث نسب النص إلى (عمر) ونسب الرجز إلي رؤبه وفي مادة (عكد) حيث نسب البيت الأول إلى العجاج ، والبيت الثاني إلى القطامي[1] .

---

(١) راجع في ذلك : دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح عبد الحافظ: ٤٦.

الخليل

وأولية التأليف المعجمي

لا ريب أن الخليل بن أحمد يُعَدُّ رائد التأليف المعجمي في اللغة العربية ، إذ بتأليفه كتاب (العين) ، وأسلوبه الطريف ، وترتيبه العقلاني ، وتقليباته المنطقية ، يعد نقطة البدء الحقيقية في تأليف المعاجم اللغوية العربية ، ويقطع – بما لا يدع مجالا للشك – أن الخليل بن أحمد لم يُسْبَق إلى هذا النوع من التأليف وأنما كان هو الفارس المُعَلّيُّ في هذا المضمار ، واللغويون كلهم له تبع.

غير أن أحد الباحثين المحدثين يرجح أن يكون أبو عمرو الشيباني بتأليفه معجم (الجيم) يعد سابقا للخليل بن أحمد في تأليفه معجم (العين) ومن ثم يكون الخليل قد تأثر في معجمه بما ورد في معجم (الجيم) نظرا لما انتهينا إليه من أن السمة البارزة والميزة في تأليف المعاجم اللغوية هي (التقليد) ، وأن اللاحق من اللغويين الذي مارسوا هذا النوع من التأليف كان دائما حملا على السابق ، بدليل تصريح كل منهم بأنه كان لمن تقدمه تابعا ، وذلك في مقدمة مؤلفه أو مصنفه[١] .

وقد بني هذا الباحث ترجيحه هذا على أن أبا عمرو الشيباني ولد قبل الخليل وتوفي بعده بأكثر من ثلاثين عاما ، إذ ولد الخليل سنة ١٠٠ هجرية ، وتوفي سنة ١٧٥ هجرية على أصح الأقوال ، بينما ولد أبو عمرو سنة ٩٤ هجرية ، وتوفي سنة ٢٠٦ هجرية على أصح الأقوال أيضا ؛ وعن هذا يقول الدكتور عبد الصبور شاهين : « وإذا صح هذا الاستنتاج ، كان كتاب (الجيم) في الواقع ، أسبق المعاجم العربية قاطبة ، والبداية التاريخية الحقة لهذا التأليف المعجمي[٢] ».

---

(١) انظر صـ ٣٤ من هذا البحث «نوعية التأليف في المعاجم»

(٢) انظر : في علم اللغة العام للدكتور عبد الصبور شاهين : ١٩٧

ولكن الاستاذ إبراهيم الابياري - محقق كتاب « الجيم» - قد أورد في مقدمة تحقيقه للكتاب ما يدحض هذا الترجيح ويفند هذه الدعوى ، ويبطل هذا الزعم من أساسه ، حيث ذكر أن اللغويين الذين سَمُّوا معاجمهم باسم (الجيم) ثلاثة هم : النضر بن شميل ، وأبو عمرو الشيباني ، وشمر بن حمدويه ؛ كما صرح بأن أبا عمرو كان تابعا للنضر ، ثم تبعه شمر ؛ ومعلوم أن النضر كان تلميذا للخليل ؛ فضلا على أنه قد ثبت أن أبا عمرو قد ألف معجمه (الجيم) في أخريات أيامه.[1]

ما تقدم يتسنى لنا القطع - على نحو من اليقين والتثبت - أن الخليل بن أحمد كان رائد التأليف المعجمي في اللغة العربية ، وأنه لم يُسْبَق إلى هذا النوع من التأليف ، وإلا استنكف أن يكون لغيره تابعاً ، وانصرف عنه ، كما فعل بالنسبة للتأليف في النحو[2] .

(١) انظر : مقدمة تحقيق (الجيم) للأستاذ إبراهيم البياري : ١/ ٣٩ - ٤٠ .

(٢) انظر صـ ٤٤ من هذا البحث «عفة الخليل وأنفته».

كتاب (العين)

بين التأثير والتأثر

مما تقدم يصبح في حكم الثابت أن الخليل بن أحمد لم يكن متأثرا بغيره ، ولا مقتفيا أثرا في تأليف كتابه (العين) ، بل كان لمعجمه مبتكِرا ، ولمنهجه مبتدِعا لا متبِعا.

هذا من حيث التأثر : أما من حيث التأثير في غيره ، فمن الواضح الجَليّ أن كل مَنْ ألف معجما ممن أتوا بعد الخليل ، كان حملا عليه ، تابعاً له.

فهذا ابن دُرَيْد[1] . حينما ألف معجمه (جمهرة اللغة) ، وبعد أن استبدل بنظام الأبجدية الصوتية الذي سار عليه الخليل في ترتيب معجمه (العين) نظام الأبجدية العربية في ترتيب المادة الغوية في معجمه (الجمهرة) لم يجد مناصا من التصريح بأنه كان تابعا للخليل في كل ما أثبته في معجمه ، غير أنه عدل إلى الأبجدية العربية بغية التسهيل والتيسير على الدارسين والباحثين ، حيث يقول : إذا كانت الحروف المرتبة على الألف باء ، بالقلوب أعلق ، وفي السماع أنفذ ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة ، وطالبها من هذه الجهة بعيداً عن الحيرة، مشفياً على المراد[2]

وهذا ابو على القالي[3] الذى ألف معجمة (البارع)، فسار فى ترتيب المادة

---

(١) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ولد بالبصرة سنة ٢٢٣هـ في خلافة المعتصم ونشأ بعمان بالخليج العربي ، أخذ من أبي حاتم السجستاني ، والرياش، والأشناندانيء والعتبي ، توفي بالبصرة سنة ٣٢١هـ.

(٢) انظر مقدمة (الجمهرة) : ٢/١.

(٣) أبو علي إسماعيل بن عبدون بن هارون القالي البغدادي ولد سنة ٢٨٨ هـ وتوفي سنة ٣٥٦هـ.

الغوية فية على نظام الأبجدية الصوتية التى ابتكرها الخليل، وجعلها أساساً لمعجمه (العين)، كما اقتفى أثر الخليل أيضاً فى طريقة التقليبات، فكان بذلك حملاً على الخليل وكتابه، غير أنه بدأ معجمة بحرف (الهاء) بدلاً من (العين)، كما فرَّقَ بين الأبنية المختلفة التى جعلها الخليل فى موضع واحد، فصارت الأبنية عنده ستة: الثنائى المضاعف، والثلاثى الصحيح، والثلاثى المعتل، والحواشى، والأشباب، والرباعى، والخماسي[1].

وهذا أبو منصور الأزهرى[2] مؤلف كتاب (تهذيب اللغة) يرتب المادة اللغوية في معجمه علي نظام الأبجدية الصوتية التي ابتكرها الخليل، كما التزم طريقته في تقليبات المادة اللغوية ، كما كان تابعا للخليل في معالجة المادة اللغوية تبعية كاملة حتى إنه نقل مقدمة (العين) في مقدمته لمعجمه نقلا يكاد أن يكون حرفيا ، بل نقل مواد كثيرة برمتها من (العين) إلى (التهذيب) .

وهذا الصاحب بن عباد[3] ، مؤلف معجم (المحيط) يسير في ترتيب المادة اللغوية في معجمه على نظام الأبجدية الصوتية ، كما التزم طريقة التقليبات ، وهما الدعامتان اللتان قام عليها معجم (العين) للخليل بن أحمد ، إلا أنه أتى في معجمه بالكثير من الألفاظ والمعاني التي لم يذكرها سابقوه من مؤلفي المعاجم ، كما كان يعني بالعبارات المجازية والمترادفات.

وهذا ابن سيده[4] ، مؤلف معجم (المحكم والمحيط الأعظم) يلتزم نظام الخليل في اتباع الأبجدية الصوتية ، وطريقة التقليبات ، غير أنه أفرد الهمزة بالذِّكر ، بينما جعلها الخليل ضمن حروف العلة ، كما تجاهل (الألف) اللينة ، بينما أعتبرها الخليل حرف علة.

---

(١) انظر :المعجم العري للدكتور حسين نصار : ١/ ٣١٦.

(٢) ابو منصور محمد بن أحمد بن أزهر الهروي اللغوي ، المشهور بالأزهري ، توفي سنة ٣٧٠هـ.

(٣) أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن العباس الملقب بالصاحب بن عباد ، توفي بالري سنة ٣٨٥هـ .

(٤) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي الأندلسي، ولد بمرسية سنة ٣٩٧هـ ، توفي سنة ٤٥٨هـ.

من مميزات معجم « العين »

ليست الميزة التي يمتاز بها معجم العين عن غيره من المعاجم اللغوية هي كونه أول معجم ظهر على مستوى اللغة العربية فحسب ، ولا كونه يعد رائدا للتأليف المعجمي ؛ وإنماقد اشتمل هذا المعجم على أكثر من ميزة ، جعلته يقع مما سواه من المعاجم اللغوية موقعا مميزا ، ويحتل من دونها مكانة سامية ، مماجعل بعض اللغويين من مؤلفي المعاجم ينفسون عليه هذا الموقع ، ويغبطونه على تلك المكانة ، فأخذوا يتناوشونه بالسهام ، ويتناولونه بالنقد والقدح فيه ، وفي صحة نسبته إلى مؤلفه ، ولكن كل ذلك لم ينل منه ، ولم يقلل من شأنه ، بل هيأ الله له من العلماء المنصفين الذين يعزون الفضل إلى ذويه ، فقاموا بدحض هذه النقود . والرد على تلك القدوح ، وبقى (العين) صرحا شامخا بما اكتنفه من ميزات يمكن إجمالها فيما يلي:

١- نظامه العجيب ، الذي بهر العقول ، وأذهل النفوس ، وهو ترتيب المادة اللغوية على أساس الأبجدية الصوتية التي ابتكرها الخليل بن أحمد ، ولم يُسْبَق إليها .

٢- جمعه لألفاظ اللغة ، مفرداتها ، واشتقاقاتها ، بطريقة منطقية رياضية حاصرة وهي طريقة التقليبات، مما يؤمن معها الفوت أو التكرار ، كما أمكنه حصر جميع الصور الممكنة للمادة اللغوية ، سواء المستعمل منها والمهمل.

٣- اعتبار الكمية الحرفية للكلمة ، عند ترتيبها في المعجم ، لسهولة الوقوع عليها ، بأن جعل لكل كمية بابا ، فهناك أبواب للثنائي ، والثلاثي الصحيح ، والثلاثي المعتل ، والرباعي ، والخماسي في داخل كل كتاب يمثل حرفا هجائيا.

٤- اشتماله على قوانين يجب الإحاطة بها لتمييز الكلمة العربية من غير

العربية . كما تجب مراعاتها عند تأليف الكلم العربية وقد ضمنها الخليل مقدمة الكتاب منها :

أ) أن الرباعي والخماسي من الكلمات العربية ، لابد أن يشمل على أحد حروف الذلاقة وهي:

(ل ن ر ف ب م) ، إلا ما نُصّ عليه كالعسجد، والعطون، والدعدعة، والزهزقة.

ب) أن اتحاد مخارج الحروف أو تقاربها قد يكون سبباً في أن تكون المادة اللغوية مهملة؛ وبناء على ذلك يحكم على بعض الألفاظ التي تخالف هذا القانون بأنها دخيلة علي لغة العرب، مما سماه الخليل بالمولد أو المحدث[1] ؛ حيث يذكر في (كتاب العين): «أن العين والحاء ، لا تجتمعان في كلمة واحدة ، لقرب مخرجيهما ، إلا في حالة (النحت) نحو : حيعل ، والحيعلة ، وذلك كقوله الشاعر :

ألا رُبَّ طَيْفٍ بات مِنْك مُعانِقي إلى أنْ دَعَادا عي الفَلاح فَحَيْعَلا[2] »

وقوله أيضا في (كتاب القاف) : «القاف لا تجتمع مع الكاف في كلمة واحدة»[3] .إلى غير ذلك مما اشتمل عليه معجم (العين) من ميزات جعلته جديرا بأن يحتل مركز الصدارة بين معاجم العربية قاطبة.

ولا شك أن نظام الأبجدية الصوتية الذي ابتكره الخليل بن أحمد ، كان مثار إعجاب الناس ومناط انبهار اللغويين في عصره ، مما جعل غير واحد منهم يعمد إلى اتخاذ هذه الأبجدية أساساً يقوم عليه ترتيب المادة اللغوية في معجمه ، كأبي علي القالي في كتابه (البارع) والأزهري في (تهذيب اللغة) ، والصاحب بن عباد في (المحيط)، وابن سيده الأندلسي في (المحكم والمحيط الأعظم) بل بلغ من

(١) انظر :معجم العين :١/ ٢٩ .

(٢) أنظر : معجم (العين): ١ / ٦٨ .

(٣) المصدر السابق وراجع في ذلك : دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناحج مبروك :٥٢- ٥٣.

انبهار الناس بهذا النظام وإعجابهم به ، أن ذهب أكثر الأدباء إلى نظم الأبيات في بيانه ، لتيسير حفظه ولتسهيل استظهاره ، ومن هؤلاء الأدباء : أبو الفرج سلمه بن عبدالله بن لادن المعافري الجزيري الذي نظم يقول:

يا سائلي عَنْ حُرُوفِ العَينْ دُوَنكَها في رُتْبةٍ ضَمَّها وَزْنٌ وإحْصاءُ

العَيْنُ والحَاءُ ثُمَّ الهَاءُ والخَــــاءُ والغَيْنُ والقَافُ ثُمَّ الكَافُ أكْفاءُ

والجِيمُ والشِّينُ ثُمَّ الضَّـادُ يَتْبَعُها صـَادٌ وسِينٌ وَزَايٌ بَعْدَهَا طـاءُ

والدَّالُ والتَّاءُ ثُمَّ الظَّاءُ مُتَّـــصِلٌ بالظَّـاءِ ذالٌ وثَـاءُ بعـدها راءُ

والـلامُ والنُّونُ ثُمَّ الفَـاءُ والبـَاءُ والمِيمُ والـواوُ والمَهْمُـوزُ واليَاءُ(1)

---

(1) انظر: المزهر :1/ 89- 90.

عيوب
مدرسة التقليبات الصوتية

على الرغم من أن مدرسة التقليبات الصوتية ، تُعَد رائد مدارس التآليف في مجال المعاجم العربية ، وبالرغم من أن ما قامت عليه من النظام الصوتي جاء ملفتا للنظر مبهراً للعقول بما ضمنه من حصر ألفاظ اللغة بطريقة رياضية منطقية يؤمن معها الفوت والتكرار ، وبالرغم مما التزمته من نظام الكم الحرفي في ترتيب الأبواب الذي التزمه كثير من اللغويين في معاجمهم بعد ذلك.

بالرغم من كل ما تقدم من حسنات وميزات ، برزت بعض النقودالتي وجهت من جانب اللغويين المعاصرين وتابعيهم إلي هذه الميزات والحسنات نفسها ، مما اعتبرت عيوبا اشتملت عليها هذه المدرسة الرائدة .

١- صعوبة العثور على الألفاظ:

وما يتبعه من مشـقة الاهتـداء إلى اللفظ المراد . وضياع الوقت الطويل في البحث عنه . حيث يتطلب ذلك أن يكون الباحث على جانب كبير من العلم بمخارج الحروف ، وصفات الأصوات العربية ، فضلا على حشدها تقليبات المادة الواحدة في موضع واحد وفي هذا يقول ابن ولاد: « كتاب العين لا يمكن طالب الحرف منه أن يعلم موضعه من الكتاب من غير أن يقرأه ؛ إلا أن يكون قد نظر في التصريف وعرف الزائد والأصلي ، والمعتل والصحيح ، والثلاثي والرباعي والخماسي ؛ ومراتب الحروف من الحلق واللسان والشفة ؛ وتصريف الكلمة علي ما يمكن من وجوه تصريفها في اللفظ على وجوه الحركات ، وإلحاقها ما تحتمل من الزوائد ، ومواضع الزوائد بعد تصريفها بلا زيادة ؛ ويحتاج مع هذا إلى أن يعلم الطريق التي وصل الخليل منها إلي حصر كلام العرب ؛ فإذا عرف هذا ، عرف موضع ما يطلب من كتاب العين[١] .

(١): انظر المزهر : ١/ ٩١.

٢- ترتيب المواد اللغوية ترتيبا كميا:

أي بحسب الأبنية ، فبدأت بأقلها، وهو البناء الثنائي ، ثم الثلاثي ، ثم الرباعي والخماسي ؛ ولا شك أن هذا الترتيب قد أوقع مؤلفي المعاجم أنفسهم في الخطأ ، وهذا ما يستحيل معه على الدراس والباحث الحصول علي مايريده.

٣- الخلط والاضطراب:

حيث اضطربت هذه المدرسة في تحديد مخارج حروف العلة والهمزة ، وذلك بسبب جمعها كلها في موضع واحد : كما خلطت بين اللفيف والثنائي المضاعف ، فأدخلت فيها كثيرا من الصيغ التي لا تندرج تحتها ؛ فمثلا الرباعي المضاعف ، تارة يوضع تحت الثنائى المضاعف ، وتارة تحت الرباعي ، وتارة ثالثة في قسم خاص .. إلى آخر ما هناك من الأمور التي تجعل العثور على اللفظ المراد أمرا عزيز المنال(١) .

ولا ريب أن هذه العيوب وتلك النقود التي وجهت إلي مدرسة التقليبات الصوتية قد حدت بمؤلفي المعاجم ممن أتوا بعد هذه المدرسة ، أن ينصرفوا عنها ، وأن يتخذوا لأنفسهم مناهج مغايرة يرتبون عليها المادة اللغوية في معاجمهم ؛ وفي هذا يقول ابن دريد:

« قد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي – رضوان الله عليه – كتاب العين فاتعب من تصدى لغايته ، وعَنَّى من سما إلى نهايته ؛ فالمنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكل من بعده له تبع ، أقر بذلك أم جحد ؛ ولكنه – رحمه الله – ألف كتابه مشاكلا لثقوب فهمه وذكاء فطنته ، وحدة أذهان أهل دهره ؛ وأمليناهذا الكتاب ، والنقص في الناس فاشٍ ، والعجز لهم شامل ، إلا خصائص كداري النجوم في أطراف الأفق ، فسهلنا وَعِرَة ، ووطانا شَأزَه ،

---

(١) راجع :المعجم العربي للدكتور حسين نصار : ١/ ٣٩٤ ، والبحث اللغوي عند العرب للدكتور أحمد مختار عمر : ١٩٠ ، ودراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح عبد الحافظ: ٧٢-٧٣.

وأجريناه علي تأليف الحروف المعجمة ، إذ كانت بالقلوب أعلق . وفي الأسماع أنفذ ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة»[1] .

ويقول ابن منظور :

« لم أجد في كتب اللغة أجمل من «تهذيب اللغة» لابي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، ولا أكمل من «المحكم» لابي الحسن على بن اسماعيل بن سيده .. غير أن كلا منهما مطلب عَسِرِ المهلك ، ومنهل وَعِرَ المسلك ؛ وكأن واضعه شرع للناس موردا عذبا ، وجلاهم عنه ، وارتاد لهم مرعي مريعا ومنعهم منه ، وفرق الذهن بين الثنائي ، والمضاعف ؛ وبدد الفكر باللفيف ، والمعتل ، والرباعي ، والخماسي ؛ فضاع المطلوب ، فأهمل الناس أمرهما ، وانصرفوا عنهما »[2] .

---

(١) راجع : المزهر : ١/ ٩٢ عن مقدمة (جمهرة اللغة): ١/ ٣.

(٢) المصدر السابق ، عن مقدمة (لسان العرب) ١/٢.

ثانياً: مدرسة القافية

واضح – مما سبق – أن ظهور هذه المدرسة الثانية من مدارس التأليف المعجمي، جاء نتيجة، ومسبباً عما اقترن بالمدرسة الأولى – مدرسة التقليبات الصوتية – من عيـوب ، وتلافياً لما وجـه إليها من مـآخذ ونقود؛ ولعل ذلك يتبدى بجلاء في تصريحات اللغويين من أمثال: ابن دريد، وابن ولاد، وابن منظور التي سقناها آنفاً.

وتسمية هذه المدرسة الثانية باسم (مدرسة القافية)، ترجع إلى اتِّباع أصحابها ترتيب المادة اللغوية في معاجمهم حسب الحرف الأخير للمادة، فيما يطلق عليه العروضيون اسم (القافية)، حيث يجعلونه الأصل في ترتيب أبواب المعجم، آخذين في اعتبارهم الحرف الأول ثم الثاني ثم الثالث، ثم الرابع، في ترتيب الفصول في كل باب، بحسب كمية المادة من الحروف، ثنائية كانت، أو ثلاثية، أو رباعية، أو خماسية؛ ويذهب بعض اللغويين المحدثين إلى تسميتها (مدرسة الباب والفصل)(١) .

وقد اتخذ أصحاب هذه المدرسة ، الأبجدية العربية أساساً لترتيب المواد اللغوية في معاجمهم، بعد أن وقفوا على صعوبة البحث عن المادة المرادة في المعاجم التي رتبت موادها على أساس الأبجدية الصوتية، فأرادوا من ذلك التيسير على الدارسين والباحثين.

ولكن، لماذا اختار علماء مدرسة القافية الحرف الأخير من المادة، ليكون أساساً في ترتيب أبواب معاجمهم؟

نظر العلماء إلى الحرف الأخير، فوجدوه أثبت حروف المادة، إذ أن من المعلوم

---

(١) انظر: دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح عبد الحافظ: ٨٨.

أن (لام) الكلمة أقل تعرضاً للتغيير، والقلب، والتسهيل من (فاء) الكلمة و(عينها)؛ ولعل هذا هو السر في اتّباعهم هذا النظام، وتركهم النظام الأبجدي حسب الحرف الأول من المادة اللغوية؛ وإن كان البعض يرى السر في ذلك، يكمن في تيسير مهمة الشاعر في نظم القريض، والساجع في تأليف النثر الفني، حيث يُعنيان دائماً بالحرف الأخير للكلمة[1] .

رائد مدرسة القافية:

اختلف اللغويون فيمن يكون رائد هذه المدرسة المعجمية، فذهب فريق إلى أن أول من ابتكر نظام القافية في ترتيب المواد اللغوية في المعجم هو الجوهري[2] ، ويمثل هذا الفريق: الدكتور إبراهيم نجا الإبياري، والدكتور عبد السميع محمد أحمد، والأستاذ أحمد عبد الغفور عطار، والدكتور أمين فاخر، وذلك اعتماداً على ما أثبته الجوهري في مقدمة كتابه (الصحاح) بقوله: «أو دعت هذا الكتاب ما صَحَّ عندي من هذه اللغة، على ترتيب لم أُسبَق إليه، وتهذيب لم أُغلَب عليه، في ثمانية وعشرين باباً، وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلاً، على حروف المعجم وترتيبها، إلى أن يهمل من الأبواب جنس من الفصول»[3] .

بينما يذهب فريق آخر، إلى أن الفارابي[4] هو صاحب هذه المدرسة، ومبتكر طريقتها في معجمه المسمى (ديوان الأدب)، ويمثل هذا الفريق الدكتـور أحمد

---

(١) انظر: دراسات في المعاجم العربية للدكتور أمين فاخر: ٤٩.

(٢) أبو نصر إسماعيل بن حماد النيسابوري الفارابي الجوهري، ولد في (فاراب) سنة ٣٣١هجرية، عالم باللغة والأدب، تتلمذ على خاله اسحق بن إبراهيم الفارابي، وأبي علي الفارسي، والسيرافي، توفي سنة ٣٩٨هجرية.

(٣) انظر: مقدمة (الصحاح). عن دراسات في المعجمات العربية: ٨٩.

(٤) أبو إبراهيم اسحق بن إبراهيم الفارابي، ولد سمة ٢٨٢هجرية، وتوفي سنة ٣٥٠هجرية.

مختار عمر محقق كتاب (ديوان الأدب)، حيث يقول في مقدمة التحقيق بعد أن ذهب إلى نفي الريادة عن الجوهري:

«... فلما شاع كتابه - يعني (الصحاح) - وفي مقدمته ادّعاء بأسبقيته، وابتداعه ذلك النظام، صدّقه الناس؛ وظلوا على فكرتهم تلك، إلى أن ظهر (ديوان الأدب) للفارابي، فعزى الناس إليه فضل ابتكار هذا النظام، لأنه سابق للجوهري»[1] .

ويذهب فريق ثالث إلى أن رائد هذه المدرسة، ومبتكر نظامها، هو البندنيجي[2] في كتابه (التقفية)[3] ، ويمثل هذا الفريق الدكتور خليل العطية - محقق الكتاب - والدكتور رمضان عبد التواب، والدكتور عبد الصبور شاهين، والدكتور ناجح عبد الحافظ مبروك، حيث يقول الدكتور ناجح:

«وأول من ابتداع هذه الطريقة، أبو بشر اليمان بن اليمان البندنيجي في كتابه (التقفية) الذي سار فيه على نظام القافية، أو الأصل الأخير من الكلمة، خلافاً لما شاع بين الناس من أن الفارابي هو صاحب هذه المدرسة، ومبتكر طريقتها في معجمه المسمى (ديوان الأدب) كما يرى البعض، أو أن الجوهري هو مبتدع هذه الطريقة وصاحبها، كما يرى البعض الآخر، وذلك لأنه أدّعى ذلك في مقدمة (الصحاح) .. ثم لما ظهر معجم (التقفية) للبندنيجي، وهو أسبق من الفارابي والجوهري، وُضع الحق في نصابه، لأنه أول من ابتدع هذا النظام»[4] .

ثم يذهب الدكتور أمين فاخر إلى تأييد رأي الفريق الأول بقوله:

(١) انظر: مقدمة تحقيق (ديوان الأدب)، والبحث اللغوي عند العرب للدكتور أحمد مختار عمر: ١٤٧.

(٢) أبو بشر اليمان بن اليمان البندنيجي، ولد في بغداد سنة ٢٠٠هجرية، وتوفي بها سنة ٢٨٤ هجرية.

(٣) حقق كتاب «التقفية» الدكتور خليل العطية، ونشره في بغداد سنة ١٩٧٦ميلادية، انظر: دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح عبد الحافظ مبروك: ٨٩.

(٤) المصدر السابق.

«ولعل أول من فكر في وضع معجم شامل بهذه الطريقة هو الإمام الجوهري في معجمه (الصحاح)، وإذا كان بعض الباحثين يذهب إلى أنه قد سبق في هذا النظام بعالمين من علماء اللغة هما: أبو بشر البندنيجي في كتابه اللغوي (التقفية)، وأبو إبراهيم إسحق الفارابي – خال الجوهري – في كتابه (ديوان الأدب) وذلك حين اتبعا نظام القافية، فنظرا إلى الحرف الأخير في ترتيب المواد اللغوية، فإن البندنيجي قد أهمل جزءاً هاماً من أسس هذه المدرسة، وهو النظر إلى الحرفين الأول والثاني، ونظر فقط إلى الحرف الأخير؛ كما أن كتاب (التقفية) وكتاب (ديوان الأدب) لا يُعَدان من المعاجم اللغوية الشاملة بالمعنى الدقيق، فقد اقتصرا على مواد قليلة جداً بالنظر إلى المعاجم اللغوية الأخرى.

ولذلك يمكننا القول بأن معجم (الصحاح) للجوهري، يُعَد أول معجم شامل اتبع نظام القافية هذا، وإن لم يكن من المستبعد أن الجوهري قد تأثر بها في ترتيب المواد»[١] ..

وقد تابع السير على نظام القافية عدد من اللغويين في تأليف معاجمهم[٢] ، ولعل أهمها: «الصحاح» للجوهري.

---

(١) دراسات في المعاجم العربية للدكتور أمين فاخر: ٤٩ – ٥٠.

(٢) راجع صـ ٣٨ من هذا البحث.

يقول جلال الدين السيوطي: «أول مَنْ التزم الصحيح، مقتصر عليه، الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري؛ ولهذا سُمِّي كتابه بالصحاح»[1] .

وباسم (الصحاح) عُرِف معجم الجوهري، واشتهر بين الناس، أما الاسم الكامل الذي أطلقه عليه الجوهري فهو «تاج اللغة وصحاح العربية».

ويضبط الخطيب التبريزي كلمة «الصحاح» بقوله: «يقال: كتاب (الصِّحاح) بالكسر – وهو المشهور – وهو جمع (صحيح) كظريف وظِرَاف: ويقال: الصَّحاح – بالفتح – وهو مفرد، نعت كصحيح، وقد جاء (فَعَال) – بفتح الفاء – لغة في (فعيل) كصحيح وصحَاح؛ وشحيح وشَحاح؛ وبريئ وبَرَاء»[2] .

ويقول عنه مؤلفه – الجوهري – : «قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة، التي شرَّف الله منزلتها، وجعل عِلْم الدين والدنيا منوطاً بها وبمعرفتها، على ترتيب لم أسبق إليه، وتهذيب لم أغلب عليه، بعد تحصيلها بالعراق رواية، وإتقانها دراية، ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية، ولم آلُ في ذلك نصحاً، ولا ادخرت وسعاً»[3] .

ويكاد يتفق العلماء واللغويون على أن معجم (الصحاح) يفوق كل ما تقدمه من المعاجم، من حيث المنهج الذي سلكه مؤلفه، وحسن المأخذ، ودقة التنظيم، ومن ثم فقد انتشر الكتاب في الآفاق، وبلغ من الشهرة ما لم يبلغه معجم سواه؛ حيث يقول القفطي: «لما دخلت نسخة منه – يقصد الصحاح – مصر، نظرها العلماء، فاستجودت وأقرب مأخذها»[4] .

---

(١) انظر: المزهر: ١/٩٧ . (٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) انظر: مقدمة تحقيق (تهذيب الصحاح) لأحمد عبد الغفور عطار: ٤٢ .

ويقول الخطيب التبريزي: «وكتاب (الصحاح) هذا كتاب حسن الترتيب، سهل المطلب لما يراد منه، وقد أتى بأشياء حسنة، وتفاسير مشكلات من اللغة»[١] .

ويقول عنه ياقوت الحموي: «كتاب (الصحاح) هو الذي بأيدي الناس اليوم، وعليه اعتمادهم، أحسن الجوهري تصنيفه، وجوّد تأليفه، وقرّب متناوله؛ يدل وضعه على قريحة سالمة، ونفس عالمة، فهو أحسن من (الجمهرة)، وأوقع من (تهذيب اللغة)، وأقرب متناولاً من (مجمل اللغة)»[٢] .

وقد نظم فيه أبو محمد ابن عبدوس النيسابوري بيتين يقول فيهما:

هذا كتابُ (الصحاحِ) سيِّدُ ما * صُنِّفَ قبل (الصحاح) في الأدبِ

تشمل أبوابُه، وتَجمعُ ما * فُرِّقَ في غيرهِ من الكتبِ[٣]

إسناد رواية «الصحاح»:

يقول القفطي: «إن أهل مصر يروون كتاب (الصحاح) عن ابن القطاع الصِّقليّ، متصل الطريق إلى الجوهري، ولا يرويه أحد من أهل خراسان[٤] .

مؤلف الصحاح:

أبو نصر إسماعيل بن نصر بن حماد الجوهري الفارابي النيسابوري، أصله من (فاراب) إحدى بلاد التُّرك، ولذا سُمِّي بالفارابي[٥] ، وقد اختُلِف في تاريخ

---

(١) المزهر: ١/٩٧. (٢) الزهر: ١/٢٩٨.

(٣) المصدر السابق. (٤) مقدمة تحقيق (تهذيب الصحاح): ٤٢.

(٥) انظر في ترجمة الجوهري: إنباه الرواة للقفطي: ١/١٩٤، يتيمة الدهر للثعالبي: [illegible]-١٧٤، معجم الأدباء لياقوت الحموي: ٦/١٥١، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٣/١٤٢، بغية الوعاة: ١/٤٤٦.

ميلاده، وتاريخ وفاته، فلم يستطع أحد من المترجمين التحقق منها، حتى قال ياقوت الحموي: «وقد بحثت عن مولده ووفاته بحثاً شاقاً، فلم أقف عليها»[1] .

وقد نشأ الجوهري ولوعاً بالعلم واللغة والأدب، وقد تلقى العلم على يد كثير من العلماء الأفاضل، المشهود لهم بالتفوق العلمي؛ فقد تتلمذ على خاله أبي إبراهيم إسحق بن إبراهيم الفارابي (ت ٣٥٠هـ) ويُعَد أستاذه الأول، وهو صاحب معجم (ديوان الأدب) حيث تأثر به الجوهري في وضع معجمه (الصحاح)؛ ثم تتلمذ على أبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ). وأبي على الفارسي (ت ٣٧٧هـ).

ولما وقف الجوهري علي ما في أيدي أساتذته من العلم، وتطلع إلى التزود من علوم اللغة، والتبحر في الأدب، رحل إلى بلاد الحجاز، فشافه العرب الخلص، وطوَّف ببعض القبائل العربية مثل: ربيعة ومُضَر؛ ولما حصَّل ما جاء من أجله، عاد إلى خراسان، فنزل ضيفاً على أبي الحسين بن علي، ثم رحل إلى نيسابور، وعكف بها على التدريس والتأليف، حيث ألف به معجمه (الصحاح)، وأهداه لأبي منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكي، كما عُنِيَ بتعليم الخط الجميل، وكتابة المصاحف الجميلة، والدفاتر والطائف[2] .

وقد تتلمذ على الجوهري، وأخذ عنه، وتخرج على يديه كثير من أعلام اللغة والأدب مثل: أبي الحسين بن علي، وأبي إسحق إبراهيم بن صالح الورَّاق، وغيرهما.

آثار الجوهـــري:

كان الجوهري ملماً بعلوم العربية، ولم يقتصر على حذق علم بعينه، وإنما امتد اهتمامه ليشمل كل فروع العربية، بل ألف فيها أيضاً، وإن كان ما خلفه يعد قليلاً

(١) معجم الأدباء: ٦/١٥١.

(٢) انظر: دراسات في المعاجم العربية للدكتور أمين فاخر: ٥٢.

بالنسبة لغيره، ولكن ربما كان تصنيف (الصحاح) يملك عليه كل وقته؛ ومما تركه لنا الجوهري ووصل إلى أيدي العلماء بعده:

١- المقدمة. في النحو، وقد وصفه ياقوت الحموي بأنه كتاب جيد[١] .

٢- عروض الورقة. في علم العروض. وقد وصفه ياقوت أيضاً بأنه كتاب جيد[٢] .

٣- تاج اللغة وصحاح العربية. وهو المعجم الذي نحن بصدد الحديث عنه.

شعر الجوهري:

يذكر الرواة أن الجوهري كان شاعراً، يميل في شعره إلى الحكمة، ويذكرون من ذلك قوله:

لَوْ كَانَ لِي بُدٌّ مِنَ النَّاسِ * قَطَعْتُ حَبْلَ النَّاسِ بِالْيَاسِ

الْعِـزُّ فِـي الْعُزْلَةِ لَكِنَّـهُ * لابُدَّ لِلنَّـاسِ مِـنَ النَّـاسِ

وقوله:

زَعَـمَ الْمَـدَامَةَ شَـارِبُوهَا أَنَّهَا * تَنْفِي الْهُمُومَ وَتُذْهِبُ الْغَمَّا

صَدَقُوا، سَرَتْ بعُقُولِهِم فَتَوَهَّمُوا * أَنْ السُّـرُورَ بِهَـا لَهُمْ تَمَّا[٣]

---

(١) معجم الأدباء: ٦/١٥٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: دراسات في المعاجم العربية للدكتور أمين فاخر: ٥١.

وفاته :

اختُلِف في تاريخ وفاة الجوهري، كما اختُلِف في تاريخ ميلاده، فذكرت بعض كتب التراجم أنه توفي سنة ٣٩٣هجرية، وذهب بعض آخر إلى أن وفاته كانت سنة ٣٩٨هجرية، وقال السيوطي: «وكان وفاة الجوهري في حدود الأربعمائة»[١] .

وعن سبب موت الجوهري يقول السيوطي: «وعَرَض له وَسْوَسةٌ، فألقى نفسه من سطح فمات»[٢] .

ويذكر ذلك بروكلمان بشيء من التفصيل حيث يقول: «إن الجوهري اعتراه وسواس، فصعد إلى سطح الجامع القديم بنيسابور، أو إلى سطح بيته، وزعم أنه يطير، وضم إلى جنبيه مصراعي باب، وشدهما بخيط، فوقع فمات»[٣] .

آراء العلماء فيه :

أجمع اللغويون والمترجمون على أن الجوهري كان إماماً في اللغة والأدب في عصره، وآراء العلماء فيه تدل على ما كان يتمتع به من علم وذكاء وفطنة.

فقد قال عنه ياقوت الحموي: «كان الجوهري أعجوبة من أعاجيب الزمن ذكاء وفطنةوعلما»[٤] .

ويقول عنه الثعالبي: «كان الجوهري من أعاجيب الزمان، وهو إمام في اللغة»[٥] .

---

(١) المزهر: ١/٩٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٢/٢٥٩، ودراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح عبد الحافظ مبروك: ٩٢-٩٣.

(٤) معجم الأدباء: ٦/١٥١.

(٥) المزهر: ١/٩٨.

وقال عنه القفطي في (إنباه الرواة): «... كان الجوهري من أعاجيب الدنيا»[1] .

وقال ابن بَرِّي[2] : «الجوهري أنحى اللغويين»[3] .

كما أثنى عليه ابن رشيق القيرواني في (العمدة)، لإنتاجه في علم العروض، وتنميته، وإعطائه صورته النهائية بعد الخليل[4] .

وقد ساعد الجوهري توقد ذهنه، وعنايته بجمع اللغة، على أن أصبح من أكبر علماء اللغة والأدب.

الهدف من تأليف «الصحاح»:

بعد ذلك الذي تقدم من نقد ومآخذ على المدرسة الأولى – مدرسة التقليبات الصوتية – أصبح علماء القرن الرابع الهجري يتطلعون إلى وجود معجم لغوي يحقق لهم تلافي ما وجه للمدرسة الأولى من نقود ومآخذ، بل يتحقق لهم هدفين أساسيين هما:

١– الوقوع على المادة اللغوية ومعانيها من أقرب طريق.

٢– التزام الصحيح من الألفاظ، دون ما لم يثبت غالباً[5] .

وقد حاول العلماء تحقيق هذين الهدفين فيما ألفوه من معاجم، إلى أن أخرج

---

(١) انظر: إنباه الرواة للقفطي، ودراسات في المعاجم العربية للدكتور أمين فاخر: ٥١.

(٢) عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدس الأصل، المصري، من علماء العربية النابهين، وله حواش على صحاح الجوهري، توفي سنة ٥٨٢هجرية.

(٣) المزهر: ٩٨/١.

(٤) انظر: العمدة: ٨٨، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٢٥٩/٢.

(٥) انظر: المعجم العربي للدكتور حسين نصار: ٤٥٠/٢.

الجوهري في أواخر هذا القرن، ما ضمن تحقيق الهدفين المنشودين جميعاً بصورة جلية واضحة.

فبالنسبة للهدف الأول، قد خالف الجوهري: النظام الذي كان سائداً قبله حتى القرن الرابع الهجري في تأليف المعاجم، وهو نظام الأبجدية الصوتية؛ والتزم نظام الأبجدية العربية في ترتيب الفصول، متخذاً الحرف الأخير من الأصل اللغوي أساساً لترتيب الأبواب، فيما عرف باسم «نظام القافية»؛ فضلاً على أن هذا النظام يحقق للشاعر السهولة واليسر في توحيد القافية، ويحقق للناثر تحقيق السجع الذي شاع في هذا القرن، كما يقول الأستاذ جورجي زيدان(١) . ومن ثم جاء (الصحاح) وافياً بهذا الهدف كما أكد ذلك بعض علماء اللغة، ومنهم الخطيب التبريزي الذي يقول: «وكتاب الصحاح هذا كتاب حسن الترتيب، سهل المطلب لما يراد منه»(٢) .

وبالنسبة للهدف الثاني، وهو التزام الصحيح من الألفاظ، فقد تحقق بشكل واضح في (الصحاح)، حيث التزم الجوهري الصحيح من الألفاظ واقتصر عليه، على حين أهمل هذا الالتزام كثير من أصحاب المعاجم الأخرى، أو التزمت به بعض المعاجم، ولكنها لم تقتصر عليه، بل ذكرت غير الصحيح وما لم يثبت لتنقده أو تعلق عليه؛ وقد تيسر للجوهري: الوقوف على الصحيح من الألفاظ بمراجعة كتب اللغة المتقدمة عليه، ومشافهة العرب الخلص في بلاد الحجاز، وقبائل ربيعة ومضر، وفي هذا يقول السيوطي:

« ... وغالب هذه الكتب لم يلتزم فيها مؤلفوها الصحيح، بل جمعوا فيها ما صح وغيره. وينبهون على ما لم يثبت غالباً، وأول من التزم الصحيح، مقتصراً

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي لجورجي زيدان : ٢ / ٢١١ .
(٢) انظر المزهر : ١ / ٢٩٧ .

عليه، الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ولهذا سُمِّي كتابه بالصحاح»[1] .

ومما يؤكد أن هذين الهدفين، كانا هما الأساس الذي بنى عليه الجوهرى معجمه، وأنهما العماد الذي يدور حوله جمع المادة العلمية وشرحها في الصحاح، قول الجوهري في مقدمة (الصحاح):

«قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة، التي شرَّف الله منزلتها، وجعل عِلم الدين والدنيا منوطاً بمعرفتها، على ترتيب لم أُسبَق إليه، وتهذيب لم أُغلَب عليه، بعد تحصيلها بالعراق رواية، وإتقانها دراية، ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية، ولم آلُ في ذلك نصحاً، ولا ادخرت وسعاً»[2] .

* * *

(١) انظر: المزهر: ١/٩٧.

(٢) انظر: مقدمة (الصحاح) للجوهري، والمزهر: ١/٩٧.

مَنْهجُ الجَوْهَرِي

فِي الصّحاح

حدد الجوهري في مقدمة معجمه (الصحاح) المنهج الذي أخذ نفسه به في تأليفه، والنظام الذي التزمه في ترتيبه، حيث يقول: «أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة، على ترتيب لم أسبق إليه، وتهذيب لم أغلب عليه، في ثمانية وعشرين باباً، وكل باب منها في ثمانية وعشرين فصلاً، على حروف المعجم وترتيبها، إلا أن يهمل من الأبواب جنس من الفصول[1] .

وبالرجوع إلى معجم (الصحاح)، يتضح لنا أن الجوهري قد التزم فعلاً بما أخذ نفسه به، وما رسمه لنفسه من منهج يسير عليه في تأليف الكتاب؛ ويمكن بلورة ذلك المنهج في النقاط التالية:

١- التزم الجوهري أمرين أساسيين، التزمهما جمع اللغويين من مؤلفي المعاجم، قبل الدخول في ترتيبهم المادة اللغوية في المعجم وهما:

أ) الرجوع بالمادة اللغوية إلى حروفها الأصلية.

ب) رد حروف العلة إلى أصلها، إن كانت منقلبة عن أصل[2] .

٢- اتبع نظام الأبجدية العربية، ملاحظاً الحرف الأخير من الكلمة، حيث جعله باباً، فيما يطلق عليه العروضيون اسم (القافية)، وعليه سميت هذه المدرسة (مدرسة القافية)، ومن ثم جعل المعجم في ثمانية وعشرين باباً بعدد حروف الهجاء، مرتبة حسب الترتيب الأبجدي العادي، فالباب الأول لما آخره من الكلمات (همزة)، والثاني لما آخره (باء)، والثالث لما آخره (تاء) .. وهكذا ...

---

(١) انظر: مقدمة (الصحاح) عن: دراسات في المعجمات العربية: ٨٩.

(٢) راجع صـ٤١ من هذا البحث – فقرة (جـ) : الرجوع إلى الأصل اللغوي.

٣- قسم كل باب من الأبواب السابقة إلى فصول بحسب الحرف الأول من الكلمة، مرتبة على حروف الهجاء في ترتيبها الأبجدي العادي، فباب (الهمزة) يبدأه بفصل (الهمزة)، ثم فصل (الباء) ثم (التاء) حتى ينتهي إلى فصل (الياء) .

وليس من الضروري أن يشتمل كل باب على ثمانية وعشرين فصلاً، ولكن ذلك مرتبط بوجود المواد المستعملة، أو عدم وجودها؛ فهناك من الأبواب ما اكتملت فصوله الثمانية والعشرين، بينما توجد أبواب لم تكتمل فصولها، لعدم وجود المادة اللغوية التي تندرج تحتها، فمثلاً باب (الراء) ليس فيه فصل (اللام)، حيث لا توجد في العربية لفظة تبتدئ بحرف (اللام) وتنتهي بحرف (الراء)، وكذلك باب (الظاء) لا يشتمل إلا على ستة عشر فصلاً[١] .

٤- رتب المواد اللغوية داخل كل فصل بحسب ما يلي الحرف الأول، أي أنه راعى الحروف المتوسطة بين الحرف الأخير الذي جعله باباً، والحرف الأول الذي جعله فصلاً مما يطلق عليها اسم (الحشو)، فنظر إلى الحرف الثاني من المواد الثلاثية، كما نظر إلى الحرفين الثاني والثالث من المواد الرباعية، ونظر إلى الحروف الأول والثاني والثالث من المواد الخماسية، ولذا فإنه لم يفصل بين الثلاثي وغيره، مما زاد على ثلاثة أحرف، مثلما فعل كثير من مؤلفي المعاجم، بل جعل الأبنية كلها في مكانها بحسب ترتيب أصولها[٢] .

٥- اهتم الجوهري بضبط المواد اللغوية اهتماماً كبيراً، درءاً للتصحيف، ومنعاً للتحريف، ولذا فقد وضع قواعد خاصة بضبط الأسماء والأفعال؛ فمن قواعد ضبطه للأسماء أنه إذا قال عقب المادة: بالضم أو الكسر، فإنما يقصد الحرف الأول، وإن قال: بالتحريك، فإنما يقصد الحرفين: الأول والثاني، ومن قواعد ضبطه

---

(١) انظر: دراسات في المعاجم العربية للدكتور أمين فاخر: ٥٥، ودراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح مبروك: ٩٥.

(٢) راجع: دراسات في المعاجم العربية: ٥٦.

للأفعال، أن يذكر الضبط الخاص بعين الكلمة، وذلك لأن (عين) الكلمة هي التي تكون عرضة للتغيير بين الماضي والمستقبل.

٦- أكثر الجوهري من حشد القواعد النحوية والصرفية، مشيراً إلى المجمع عليه، والذي اختلفت فيه آراء النحاة والصرفيين.

٧- راعى الجوهري إثبات اللغات المختلفة في المادة الواحدة، وكثيراً ما يعزو كل لغة إلى القبيلة التي تنسب إليها.

٨- فصل في باب (الواو والياء) في الفصول، على خلاف ما اتبعه في جميع الأبواب؛ فجعل فصلاً للواو، وفصلاً للياء، وقدّم فصل (الواو) على (الهاء)، ثم أعقبها بالهاء ثم الياء[١] .

وقد أنهى الجوهري معجمه (الصحاح) بباب (الألف اللينة) الذي حشد فيه الألفاظ المنتهية بالألف اللينة، وكان يقصد بها: الألف الأصلية التي ليست منقلبة عن همزة أو حرف لين؛ ولذلك نراه يقول في صدر هذا الباب:

«الألف على ضربين: لينة، ومتحركة. فاللينة تسمى (ألفاً)، والمتحركة تسمى (همزة)، وقد ذكرنا (الهمزة)، وذكرنا أيضاً ما كانت الألف فيه منقلبة من الواو والياء؛ وهذا الباب مبني على (ألفات) غير منقلبات من شيء، فلهذا أفردناه»[٢] .

وقد قصر هذا الباب على الحروف والأدوات، لأنها الألفاظ التي تنتهي بألفات لينة أصلية؛ ولما كانت هذه الحروف والأدوات – وخاصة المنتهية بألف لينة – لم يقسّم هذا الباب إلى فصول تبعاً للحرف الأول ، وإن راعاه في ترتيب الأدوات[٣] .

---

(١) راجع: دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح مبروك: ٩٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: المعجم العربي للدكتور حسين نصار: ٢/٢٨٩، والمصدر السابق.

طريقة الكشف في معجم «الصحاح»:

بعد أن وقفنا على النظام الذي اتبعه الجوهري في ترتيب المواد اللغوية في معجمه الصحاح، يصبح من السهولة بمكان أن نكشف عن أية مادة لغوية فيه، وذلك بالتزام الخطوات التالية:

١- الرجوع بالكلمة إلى حروفها الأصلية:

وهذا أمر يجب البدء به حين إرادة الكشف عن أية كلمة في أي معجم من المعاجم العربية، على اختلاف نظم ترتيب المواد اللغوية فيها؛ وذلك بتجريد الكلمة من حروف الزيادة إن كانت مزيدة، ورد حروف العلة إلى أصولها المنقلبة عنها ، إن كانت معتلة، ورد الحرف المحذوف إليها إن كان بها حذف، ورد الجمع إلى مفرده، ورد المؤنث إلى مذكره ورد المصغر إلى مكبره.

٢- مراعاة الباب والفصل:

فنظراً لأن الجوهري قد رتب معجمه على نظام القافية، فجعل الحرف الأخير من الكلمة باباً، والحرف الأول منها فصلاً؛ فيبحث عن باب الحرف الأخير، وفصل الحرف الأول، مع مراعاة حروف الحشو، وهي التي بين الحرفين الأول والأخير، فمثلاً كلمة (ضرب) يبحث عنها في باب (الباء) فصل (الضاد). فتكون متأخرة في الترتيب عن كلمة (ضبب) ومتقدمة عن كلمة (ضهب)، حيث يراعى في ترتيب الحشو نظام الأبجدية العادية.

٣- مراعاة الثلاثي دائماً:

فإذا كانت الكلمة زائدة على ثلاثة أحرف، يبحث عنها في أبواب الثلاثي، بملاحظة الحرف الأول من الحشو ثم الذي يليه .. الخ، فمثلاً الكلمة (بعثر) يبحث عنها في باب (الراء) فصل (الباء)، فنجدها بعد كلمة (بعبر) وقبل كلمة (بعجر) . وهكذا .

من مميزات «الصحاح»

يُعَدُّ معجم (الصحاح)، أهم المعاجم التي ظهرت في القرن الرابع الهجري، لما يشتمل عليه من خصائص وميزات، جعلت العلماء واللغويين يشهدون له بالتفوق على ما تقدمه من معاجم لغوية، ويمكن بلورة هذه الخصائص والميزات فيما يلي:

١- النظام البديع الذي سلكه مؤلفه - الجوهري - في ترتيب مواده اللغوية، وهو نظام القافية. بما حققه من سهولة ويسر في العثور على المادة المرادة. في مقابلة نظام التقليبات الصوتية التي كانت شائعة في تأليف المعاجم في عصره.

٢- التزامه الصحيح من اللغة، والمتفق عليه من الألفاظ، وفي ذلك تحديد لمهمة الباحث، وتحقيق لهدف الدارس، في الوقت الذي كان عامة اللغويين لا يلتزمون الصحيح في معاجمهم، وقد سبق أن صرح السيوطي بأن أول من التزم الصحيح هو الجوهري في معجمه (الصحاح)[١] .

٣- الاهتمام الشديد بضبط المواد اللغوية، خوفاً من التحريف والتصحيف، ووضعه نظاماً معيناً لضبط الكلمة، إسماً كانت أو فعلاً[٢] .

٤- الاعتماد على المصادر الموثوق بها، حيث اعتمد الجوهري على ما حفظه من اللغويين المتقدمين عليه، كما اعتمد على الرواية عن العرب الخُلَّص الموثوق بهم من أهل البادية، حيث اتصل بهم، وشافههم، وأخذ عنم اللغة من منابعها الأصلية.

٥- العناية بذكر اللهجات العربية، والتنبيه على الفصيح منها والضعيف المذموم، كقوله في مادة (عج): «والعجعجة في قضاعة، يحوِّلون الياء جيماً مع العين، يقولون: هذا رَاعِجٌ خرج مَعِجْ، أي: هذا راعي خرج معي»[٣] .

---

(١) راجع صـ١١٠من هذا البحث.

(٢) راجع صـ١١٣من هذا البحث.

(٣) انظر: دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح مبروك: ١٠٥.

كما كان يهتم بالمعرّب، والمولّد، والألفاظ الإسلامية، والمفاريد، والنوادر، وينبه عليها.

٦- اشتماله على كثير من المباحث اللغوية، والنظريات المتصلة بفقه اللغة، مثل نظرية «دوران المادة حول معنى واحد»، حيث يبيِّن في كثير من الأحيان سبب دلالة الألفاظ على معنى واحد معين يرجع إليه الكثير من ألفاظ المادة، وكذلك المشترك اللفظي، وهو دلالة اللفظ على معنيين أو معانٍ متعددة؛ والمضاد، وهو دلالة اللفظ على معنيين متقابلين؛ مع العناية التامة بمسائل النحو والصرف ومعالجتها لغوياً.

٧- الاستشهاد على المادة اللغوية وفروعها بالفصيح من كلام العرب، وفي مقدمته القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وما صح من كلام العرب - شعراً ونثراً -، مع نسبة الأشعار إلى قائليها في غالب الأحيان.

نَمَاذِجُ تَطبيقية

من معجم (الصحاح)

بعد أن وقفنا على المنهج الذي التزمه الجوهري في تأليف معجمه (الصحاح)، وعلى الخصائص والميزات التي اشتمل عليه هذا المعجم، لا نجد مناصاً من أن نثبت من النماذج التي وردت فيه، ما يعد تطبيقاً عملياً على ما تقدم، حتى نتبين وجه الصحة فيه، عملاً بواجب الأمانة العلمية، ومسايرة لمبادئ علم اللغة الحديث.

أ- مادة (ح ب ب):

وهي في باب (الباء) فصل (الحاء)، حيث يقول :

الحبة: واحدة حب الحنظل، ونحوها من الحبوب؛ وحبة القلب: سويداؤه، ويقال: ثمرته وهو ذاك؛ والحبة السوداء، والحبة الخضراء.

والحبة من الشيء: القطعة منه، ويقال للبَرَد: حب الغمام، وحب المزن، وحب قُرٍّ. وقال ابن السكيت: وهذا جاء من حبة: اسم للخبز، وهو معرفة.

والحُبة - بالضم - الحُب، يقال: نعم، وحُبة كرامة؛ والحُب: الخابية - فارسي معرَّب - والجمع: حُباب، وحُببة.

والحُبُّ: المحبة، وكذلك الحِبُّ - بالكسر - والحِبُّ أيضاً: الحبيب، مثل: خِدْن، وخَدِين، ويقال: أحَبَّه فهو مُحَبٌّ، وحَبَّهُ يُحِبُّهُ - بالكسر - فهو محبوب، قال الشاعر:

أحِـبُّ أبا مَـرْوَانَ مِنْ أجْلِ تَمْـرَةٍ * وَأعْلَـمُ أنَّ الرِّفْـقَ بِالْمَرْءِ أرْفَقُ

وَوَاللّـهِ لَـوْلا تَمْـرَهُ مَـا حَبَبْتُـهُ * وَلا كَانَ أدْنَى مِنْ عَبِيد وَمَشْرَقُ

وهذا شاذ، لأنه لا يأتي في المضاعف (يَفْعِلُ) بالكسر، إلا ويشركه (يَفْعُلُ) بالضم إذا كان متعدياً، ما خلا هذا الحرف، ويقال: ما كنت حبيباً، ولقد حَبِبْتُ -

بالكسر - أي: صرت حبيباً. وقال الأصمعي: «قولهم: حُبَّ بفلان، معناه: ما أحَبه إليَّ»، وقال الفراء: «معناه: حَبُبَ - بضم الباء - ثم اسكنت، وأدغمت في الثانية»؛ وقال ابن السكيت في قول ساعدة:

هَجَرَتْ غَضُوبُ وَحُبَّ مَنْ يَتَجَنَّبُ * وَعَدَتْ عَوَادٍ دُونَ وَلْيِكَ تَشْغَبُ

أراد: حَبُبَ، فأدغم، ونقل الضمة إلى الحاء، لأنه مدح، ومنه قولهم: حبذا زيدٌ، فحب: فعل ماض لا يتصرف، وأصله: حَبُبَ، على ما قال الفراء، وذا: فاعله، وهو اسم مبهم من أسماء الإشارة، جُعِلا شيئاً واحداً، فصار بمنزلة اسم يرفع ما بعده، وموضعه رفع بالابتداء، وزيد: خبره، فلا يجوز أن يكون بدلاً من (ذا)، لأنك تقول: حبذة المرأة، ولو كان بدلاً لقلت: حبذه المرأة، قال الشاعر جرير:

وَحَبَّذَا نَفَحَاتٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ * تَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِ الرَّيَّانِ أَحْيَاناً

وتحبَّب إليه: تودَّد. وتحبب الحمار: إذا امتلأ من الماء؛ وشربت الإبل حتى حَبِبَتْ أي: امتلأت رِيًّا، وامرأة مُحِبَّة لزوجها، ومُحِبٌّ لزوجها أيضاً - عن الفراء - .

والاستحباب كالاستحسان، وتحابوا: أي أحب كل واحد منهم صاحبه، والحِبَابُ - بالكسر - المحابة والمودة، والحُبَابُ - بالضم - الحب. قال الشاعر :

فَوَاللهِ ما أَدْرِي وَإِنِّي لَصَادِقٌ * أَدَاءٌ عَرَانِي مِنْ حُبَابِكِ أَمْ سِحْرُ

والحَبَابُ أيضاً: الحَيَّة، وإنما قيل: الحَباب: اسم شيطان، لأن الحية يقال لها: شيطان، ومنه سمي الرجل. وحَباب الماء - بالفتح - معظمه، قال طرفة:

يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْزُومُهَا بِهَا * كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمُفَايِلَ بِالْيَدِ

ويقال أيضاً: حباب الماء: نفخاته التي تعلوه، وهي اليعاليل؛ ونقول أيضاً: حبابك أن تفعل كذا، أي: غايتك. والأحباب: البروك، والأحباب في الإبل، كالحران في الخيل، قال الشاعر:

* ضَرَبْتُ بَعِيرَ السُّوءِ إذَا حَبَا *

قال أبو زيد: يقال: «بعير مُحِب، وقد أحَب حَبَاباً، وهو أن يصيبه مرض أو كسر. فلا يبرح من مكانه، حتى يبرأ أو يموت؛ وقال ثعلب: «يقال أيضاً للبعير الحسير: محب». وأنشد:

حُبِبْتُ نِسَاءَ الْعَالَمِينَ بِالسَّبَبِ * فَهُنَّ بَعْـدُ كُلُّهُـنَّ كَالْمُحَـبُّ

وأحب الزرع وألب: إذا دخل فيه الأكل، وتنشأ فيه الحب واللب؛ والحبب – بالتحريك –: تنضد الأسنان – قال الشاعر:

* وَإِذَا تَضْحَكُ تُبْدِي حَبَبَا *

والحَباب: اسم رجل بخيل، كان لا يوقد إلا ناراً ضعيفة، مخافة الضيفان، فضربوا بها المثل، حتى قالوا: نار الحباحب لما تقدمه الخيل بحوافرها؛ قال النابغة يذكر السيوف:

تَقُدُّ السَّلُوقِيَّ الْمُضَاعَف نَسْجُهُ * وَتُوقِدُ بِالصُّفَّاحِ نَارُ الْحَبَاحِبِ

وربما قالوا: نار أبي حباحب، وهو ذباب يطير بالليل كأنه نار، قال الكميت:

يَرَى الرَّاءُونَ بِالشَّفَرَاتِ مِنْهَا * كَنَارِ أبِي حَبَاحِبَ والظُّبِينَا

وربما جعلوا (الحباحب) اسماً لتلك النار، قال الكسعي:

مَا بَالُ سَهْمِيَ يُوقِدُ الحَبَاحِبَ * قَدْ كُنْتُ أرْجُو أنْ يَكُونَ صَائِباً

وحَبان – بالفتح – اسم رجل موضوع من الحب، والحباحب – بالفتح – الصغار، الواحد: حبحاب، قال الهذلي :

دَلَّجِي إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ * عليـا لُقَرْنَةِ الْحَبَاحِبِ

يعني بالمقرنة: الجبال التي يدنو بعضها من بعض، وحُبَّى على فُعْلَى: اسم امرأة. قال هدبة بن خشرم :

فَمَا وَجَدْتُ وَجْدِي بِهَا أُمُّ وَاجِدٍ * وَلا وَجْدَ حُبَّى بِابْنِ أُمِّ كِلابِ

وهي في باب (الباء) فصل (الغين)، حيث يقول:

غَلَبَهُ غَلَبَةً وغَلْباً، وَغَلَباً أيضاً. قال الله تعالى: ﴿ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾[1] ، وهو من مصادر المفتوح العين، مثل : الطَّلَب. قال الفراء: هذا يحتمل أن يكون (غَلَبَة) فحذفت الهاء عند الإضافة، كما قال الشاعر:

إنَّ الْخَلِيطَ أجَدُّوا الْبَيْنَ فَانْجَرَدُوا * وَأخْلَفُوكَ عِدَا الأمْرِ الَّذِي وَعَدُوا

أراد: عِدَةَ الأمر، فحذفت الهاء عند الإضافة.

وغلبه مُغَالبَة. وغِلاباً.

وغلاب مثل: قطام: اسم امرأة.

وتغَلَّب على بلد كذا: استولى عليه قهراً. وغلَّبته أنا عليه تغليباً، والغَلَّاب: الكثير الغلبة.

والْمُغَلَّب: المغلوب مراراً، والمُغَلَّب أيضاً من الشعراء: المحكوم له بالغلبة على قِرْنِه، كأنه غلب عليه، وهو من الأضداد.

وتَغْلِب: أبو قبيلة، وهو تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نذار بن معد بن عدنان. وقولهم: تغلب بنت وائل، إنما يذهبون بالتأنيث إلى القبيلة، كما قالوا: تميم بنت مر. قال الوليد بن عقبة – وكان وَلِيَ صدقات بني تغلب:

إذَا مَا شَدَدْتُ الرأس مِنِّي بِمَشْوَذٍ * فَغَيَّكَ عَنِّـي تَغْلِـبُ ابْنَـه وَائِلِ

وقال الفرزدق:

لَوْلا فَوَارِسُ تَغْلِبِ ابْنَةِ وائِلٍ * وَرَدَ الْعَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكَانِ

(١) سورة الروم آية: ٣.

وكانت (تغلب) تسمى: الغلباء، قال الشاعر:

وَأَوْرَثَنِي بَنُو الغَلْبَاءِ مَجْداً * حديثاً بَعْدَ مَجْدِهِمُ القَدِيمِ

والنسبة إليها: تَغْلَبُّي – بفتح اللام – استيحَاشاً لتوالي الكسرتين مع (ياء) النسب، وربما قالوه بالكسر، لأن فيه حرفين غير مكسورين، وفارق النسبة إلى (نَمِر).

وتقول: رجل أغلب بيِّنُ الغلب. إذا كان غليظ الرقبة.

وهضبة غلباء: وعزة غلباء.

والأغلب العجلي: أحد الرُّجَّاز.

وحديقة غلباء: ملتفة، وحدائق غُلْبٌ.

واغلولب العشب: بلغ والتف.

والغُلُبَّة – بالضم وتشديد الباء : الغلبة. قال المزار :

أَخَذْتُ بِنَجْدٍ مَا أَخَذْتُ غُلُبَّةً * وَبِالغَوْرِ لِي عِزٌّ أَشَمُّ طَوِيلُ

ورجل غُلُبَّة أيضاً: أي يُغْلَبُ سريعاً. عن الأصمعي.

تعقيب:

بعد عرضنا للمادتين السابقتين، يتضح لنا الخطوات التي يسلكها الجوهري في سبيل معالجته للمادة اللغوية في كتابه (الصحاح). وتتبلور هذه الخطوات فيما يلي :

١– يبدأ ببيان معنى الاسم المفرد، ثم يذكر جمعه، كقوله في مادة (ح ب ب): «الحبة: واحدة حب الحنظل ونحوهما من الحبوب. والحبة – بالكسر – وجمعها: حبب. والحبة – بالضم – وجمعها: حباب وحببة، والحباحب: جمع حبحاب.

٢- قد يبدأ بذكر الفعل وسائر مشتقاته، كقوله في مادة (غ ل ب): «غلبه غَلَبَةً، وغَلْباً، وغَلَباً أيضاً .. وهو من مصادر المفتوح العين، مثل الطلب. وغلبه مغالبة وغلاباً، وتغلب على بلد كذا: استولى عليه قهراً. وغلبته أنا عليه تغليباً. والغلاب: الكثير الغلبة، والمغلَّب: المغلوب مراراً، والمغلب أيضاً من الشعراء، المحكوم له بالغلبة على قرنه.

وكقوله في مادة (ح ب ب): أحبه فهو محب، وحبه يحبه - بالكسر - فهو محبوب، وحب، وحبيب، وتحبب، ومحبة، ومحب، والاستحباب، وتحابوا، والأحباب، وأحب حباباً، والحبب والحباب.

٣- مراعاة ضبط المادة اللغوية خشية التحريف أو التصحيف، وغالباً ما يلجأ الجوهري إلى الضبط بالحركة، وقد يكون بذكر موازن اللفظة، ففي ضبط الاسم، إذا قال: بالكسر أو بالضم، فإنما يقصد بذلك ضبط الحرف الأول منه، وذلك كقوله في مادة (ح ب ب): الحبة - بالكسر - بذور الصحراء مما ليس بقوت، والحبة - بالضم - الحب. والحباب - بالكسر -: المحابة والمودة، والحباب - بالضم - الحب، وحباب الماء - بالفتح - معظمه، وحبان - بالفتح - اسم رجل، والحباب - بالفتح -: الصغار.

وقوله في مادة (غلب): والنسب إلى تغلب: تغلبي - بفتح اللام - وربما قالوه بالكسر. وقوله: الغلبة - بالضم وتشديد الباء - : الغلبة.

أما في ضبط الفعل، إذا قال: بالكسر أو بالفتح أو الضم أو التسكين، فإنما يقصد بذلك ضبط الحرف الثاني الذي هو عين الكلمة، كقوله في مادة (ح ب ب): حببت - بالسكر -، وحبيب - بالضم -، وحبه يحبه - بالكسر - يقصد بذلك عين المضارع، لأنه إذا ذكر المضارع بعد الماضي، كان الضبط لعين المضارع.

وقد يذكر ضبط الكلمة بذكر موازن لها، كقوله في مادة (حبب): والحِبّ أيضاً: الحبيب، مثل: خِدْن وخَدِين.

وقوله في مادة (غ ل ب): وغلاب مثل قطام: اسم امرأة.

٤- اهتمامه بمعالجة القضايا النحوية والصرفية، وذكر عللها، فمثال معالجته للقضايا النحوية قوله في مادة (ح ب ب): «ومنه قولهم: حبذا زيد، فحب: فعل ماض لا يتصرف، وأصله: حبب، وذا: فاعله، وهو اسم مبهم من أسماء الإشارة، جعلا شيئاً واحداً، فصار بمزلة اسم يرفع ما بعده، وموضعه رفع بالابتداء، وزيد: خبره؛ فلا يجوز أن يكن بدلاً من (ذا) لأنك تقول: حبذا المرأة، ولو كان بدلاً لقلت: حبذة المرأة».

ومثال معالجته لمسائل الصرف قوله في مادة (ح ب ب) أيضاً: «قال الأصمعي: قولهم: حب بفلان، معناه: ما أحبه إليّ، وقال الفراء: معناه: حبب – بضم الباء – ثم اسكنت وأدغمت في الثانية، وقال ابن السكيت في قول ساعدة:

هجرت غضوب وحب من يتجنب * وعدت عواد دون وليك تشعب

أراد: حبب، فأدغم، ونقل الضمة إلى الحاء لأنه مدح».

وقوله في مادة (غ ل ب): «غلبه غَلَبَةً وغَلْباً، وَغَلَباً أيضاً، وهو من مصادر المفتوح العين، مثل الطلب.

وقوله أيضاً في النسب إلى (تغلب): «والنسبة إليها: تغلبي – بفتح اللام – استيحاشاً لتوالي كسرتين مع الياء التي للنسب، وربما قالوه بالكسر، لأن فيه حرفين غير مكسورين، وفارق النسبة إلى (نمر).

٥- اهتمامه بذكر المولَّد والمعرَّب من الألفاظ والتنبيه عليه، خشية اختلاطه بالعربي الأصيل، وذلك كقوله في مادة (ح ب ب): «والحب: الخابية، وهو فارسي معرب.

٦- الاستشهاد على كل ما يثبته للمادة اللغوية أو مشتقاتها من معانٍ بالنصوص الموثقة، كاستشهاده بالقرآن الكريم كما في مادة (غ ل ب)، والأحاديث النبوية، والشعر كما هو واضح في المادتين كليهما، وبالمأثور من كلام العرب الفصحاء، كالأصمعي، والفراء، وابن السكيت، وغيرهم.

٧- الاهتمام بذكر الأضداد، للإسهام بها في توضيح معنى لفظة، نحو قوله في مادة (غ ل ب): «والمغلَّب: المغلوب مراراً، والمغلب أيضاً: من الشعراء، المحكوم له بالغلبة على قرنه، كأنه غلب عليه، وهو من الأضداد».

٨- عزو النصوص إلى قائليها من شعر ونثر، كذكر قول الكميت، والنابغة، والكَسْعِيّ، والهُذَلي، وهدبة بن خشرم، في مادة (ح ب ب)، وذكر الوليد بن عقبة، والأصمعي، والفراء، وابن السكيت، وغيرهم.

نقود ومآخذ على «الصحاح»:

عرفنا فيما تقدم أن معجم (الصحاح) قد حوى من الميزات ما لم يحوه معظم المعاجم السابقة عليه، وقد امتاز بخصائص لم تتوافر في معجم قبله، ولكن برغم هذه الميزات، وتلك الخصائص المميزة، لم يسلم من بعض النقود التي وجهت إليه، وبعض المآخذ التي أخذت عليه، وأهمها:

١- إهماله بعض المواد الصحيحة:

فبالرغم من أنه قد اقتصر على الصحيح من المواد اللغوية، كما وعد بذلك في مقدمة الكتاب، إلا أنه أهمل بعض المواد الصحيحة، والصيغ المجمع عليها، مما أدى إلى فوات الكثير من ألفاظ اللغة، وجعل الفيروزابادي يتتبعها بالنقد في مقدمة معجمه (القاموس المحيط) وينبه عليها، حتى إنه كان يكتبها بالمداد الأحمر في ثنايا معجمه لينبه القراء إليها، ومما قاله الفروزابادي: «ولما رأيت إقبال الناس على صحاح الجوهري - وهو جـدير بذلك - غير أنه فاته نصف اللغة أو أكثر، إما

بإهمال المادة، أو بترك المعاني الغريبة النادرة، .. فكتبت بالحمرة المادة المهملة لديه»[1] .

٢- التصحيف والتحريف:

فقد رَوَى عن الجوهري كثير من العلماء قدراً كبيراً من التصحيف والتحريف، وقد تصدى لتصحيح ما وقع فيه الجوهري عدد من اللغويين مثل: التبريزي، والهروي، والأزهري، وابن بري، والفيروزابادي، وإليك شيئاً من هذا القبيل:

«قال الجوهري: أحتق الفرس، أي: ضَمُر. قال التبريزي: هذا تصحيف، والصواب: أحنق الفرس - بالنون - إذا ضمُر ويبُس، ويقال ذلك أيضاً لغير الفرس، من ذوات الحافر والخف».

«قال الجوهري: الجيزر: القصير. قال الهروي: هذا تصحيف، والصواب: الجيدر - بدال غير معجمة -».

«قال الجوهري: والعانك: الأحمر، يقال: دم عانك. قال الأزهري: هذا تصحيف، وإنما هو بالتاء في صفة الحمرة».

«قال الجوهري: الذنابي: شبه المخاط يقع من أنوف الإبل. قال ابن بري: هكذا في الأصل بخط الجوهري. وهو تصحيف، والصواب: الذناني - بالنون» .

«قال الجوهري: اللُّجز: مقلوب اللَّزج، وأنشد لابن مقبل:

يَعلونَ بالمُرْدِ قَوْسَ الوَرْدِ صَاحِيَةً * عَلَى شَعَا بَيْتَ مَاءِ الضَّالَةِ اللُّجِزِ

قال في القاموس: هذا تصحيف فاضح، والصواب في البيت: اللجن - بالنون - والقصيدة نونية»[2] .

والظاهر أن هذا التصحيف من جانب الجوهري كان واضحاً ومنتشراً، حتى

---

(١) انظر: مقدمة القاموس المحيط: ٣/١ ، والمزهر: ١٠٢/١.

(٢) انظر في هذه التصحيفات: المزهر للسيوطي: ٢٤١/٢.

إن معظم علماء اللغة قد تناولوه إما بالتصحيح وإما بالتنبيه عليه، ومن ذلك ما قاله الخطيب التبريزي – بعد اطرائه الكتاب وثنائه عليه – :

« ... إلا أنه مع ذلك فيه تصحيف لا يُشَك في أنه من المصنِّف لا من الناسخ، لأن الكتاب مبني على الحروف»(١) .

وقول ياقوت الحموي – بعد بيان محاسن الكتاب – : «... هذا مع تصحيف فيه في عدة مواضع، تتبعها عليه المحققون»(٢) .

٣- أخطاء عامة :

وقد أجمل الدكتور إبراهيم نجا الإبياري في كتابه (المعاجم اللغوية)، والأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في مقدمته لتحقيق (القاموس المحيط) إلى جانب ما تقدم أخطاء تكاد تكون شائعة وعامة في (الصحاح) مثل:

«نسبة الأقوال لغير أصحابها، وغلطه في ترتيب المواد، واشتماله على أخطاء نحوية وصرفية، وعدم دقته في نقل أقوال العلماء، واضطرابه في نسبة الأحاديث النبوية إلى غير رواتها، وكذلك نسبة كلام العرب إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – على أنه حديث، وخلطه بين أجزاء الأبيات من الشعر، وخطئه في شرح معاني المفردات»(٣) .

ولا شك أن كثرة الأخطاء هذه إلى جانب التصحيفات والتحريفات هي التي أدت إلى قيام كثير من الدراسات حول (الصحاح) مما سوف نعرض له تحت عنوان «الصحاح بين التأثير والتأثر».

---

(١) المزهر: ٩٧/١.

(٢) المزهر: ٩٩/١.

(٣) انظر: مقدمة تحقيق الصحاح للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار: ١٣٤، والمعاجم اللغوية للدكتور إبراهيم نجا الإبياري: ١١٣.

بالرغم مما تناول به اللغويون الجوهري وكتابه من نقود، وما أخذه عليهما العلماء من مآخذ، إلا أنهما لم يعدما منصفاً يقف إلى جوارهما، أو مدافعاً يرد السهام عنهما، فقد انبرى غير عالم للرد على ما وجه إليهما من نقود ومآخذ.

فبالنسبة للمأخذ الأول الذي أخذه عليه اللغويون، وهو إهماله بعض المواد الصحيحة، يرد عليه الدكتور حسين نصار بقوله: «إن الجوهري ليس ملزَماً أن يدون كل ما في اللغة من مفردات، لأنه بيَّن بكل وضوح في مقدمته أنه يلتزم بالصحيح وحده؛ يضاف إلى ذلك، أنه لا يوجد أحد أحاط، باللغة، باعتراف كبار اللغويين أنفسهم»(١) .

وبالنسبة للمأخذ الثاني وهو التصحيف والتحريف، يرد عليه ياقوت الحموي بقوله: «إنه – رحمه الله – غلط وأصاب، وأخطأ المرمى وأصاب، كسائر العلماء الذين تقدموه، وتأخروا عنه؛ فإني لا أعلم كتاباً سلم إلى مؤلفه فيه، ولم يتتبعه بالتتبع مع ما يليه»(٢) .

ويقف القاضي التبريزي موقف المنصف مما وجه إلى (الصحاح) بقوله: «ولا تخلو هذه الكتب الكبار من سهو يقع فيها أو غلط، غير أن القليل من الغلط الذي يقع في الكتب إلى جنب الكثير الذي اجتهدوا فيه، وأتعبوا أنفسهم في تصحيحه وتنقيحه معفو عنه»(٣) .

أما بالنسبة للأخطاء العامة التي شاعت في (الصحاح)، فيورد جلال الدين السيوطي نصاً في سبب وقوع هذه الأخطاء في الكتاب، حيث يقول: «وقيل: إن سببه – أي الخطأ – أنه لما صنفه، – يقصد الصحاح – سُمِّع عليه إلى باب

---

(١) انظر: المعجم العربي لدكتور حسين نصار: ٢/٣٠٥.

(٢) انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي: ٦/١٦٣.

(٣) المزهر: ١/٩٧ – ٩٨.

(الضاد) المعجمة - ؛ وعرض له وسوسة، فألقى نفسه من سطح فمات[1] ، وبقي سائر الكتاب مسوَّدة غير منقح ولا مبيض، فبيضه تلميذه إبراهيم بن صالح الوراق، فغلط فيه في مواضع غلطاً فاحشاً»[2] .

«الصحاح» بين التأثير والتأثر:

لا ريب أن معجم (الصحاح) للجوهري، قد جاء صدى للنظام الذي اتبعه البندنيجي أبو بشر اليمان بن اليمان (٢٠٠ - ٢٨٤هـ) في كتابه (التقفية)، وما اتبعه بعده أبو إسحاق بن إبراهيم الفارابي - خال الجوهري - (٢٨٢ - ٣٥٠هـ) في كتابه (ديوان الأدب). فيما التزم الجوهري في ترتيب مواده اللغوية على نظام القافية، وأن الجوهري كان متأثراً بهذين المعجمين تمام التأثر، ولا سيما كتاب الفارابي (ديوان الأدب)، لكون الفارابي خاله، وأنه كان معلمه الأول.

أما من حيث المادة اللغوية التي أودعها الجوهري كتابه، فكان فيها حملاً على ما تقدمه من معاجم أساسية كاملة مثل «العين» للخليل، و«الجمهرة» لابن دريد، ولعل الجوهري يقصد بقوله: «قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة ... بعد تحصيلها بالعراق رواية، وإتقانها دراية، ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية»[3] ، أن ما حصله بالعراق رواية إنما كان ما أخذه من (العين) و(الجمهرة)، والشطر الآخر هو ما شافه به الأعراب.

وعنه يقول الدكتور حسين نصار: «يستقي من (العين) و(الجمهرة) وغيرهما، ولكنه يزيد عليهما كثيراً، في حين نقل صيغه عما في (التهذيب) كثيراً

---

(١) راجع وفاة الجوهري: صـ٥٧ من هذا البحث.

(٢) المزهر: ٩٩/١.

(٣) انظر: المزهر : ٩٧/١.

أيضاً، وجميع ما فيه موجود في (التهذيب)، إلا بعض الشواهد التي يأتي بها من عنده»[1].

وهكذا ترى أن الجوهري في تأليفه لمعجمه (الصحاح) كان متأثراً بكل من تقدمه من مؤلفي المعاجم اللغوية، كالعين، والجمهرة، وتهذيب اللغة، فيما جمعه من المادة اللغوية واشتقاقاتها؛ والتقفية، وديوان الأدب في النظام الذي سلكه في ترتيب هذه المادة، وهو نظام القافية.

أما من حيث التأثير، فقد تقدم أن كثرة ما ورد بالصحاح من الأخطاء والتصحيف والتحريف كان سبباً في قيام الدراسات المختلفة حوله، بين مكمِّل لما فاته من المواد الصحيحة، وبين منبه على الأخطاء، وبين مصحح لتحريف أو تصحيف، وبين مهذب لما ورد به من مواد لم يتفق عليها، وبين شارح لما غمض من عباراته، وما اعتاص من معانيه.

فقد ألف ابن بري المصري (ت ٥٨٢هـ) كتاب «التنبيه والإيضاح عما وقع من الوهم في كتاب «الصحاح».

وألف الصغاني (ت ٦٥٠هـ) على (الصحاح) كتاب «التكملة والذيل والصلة».

وألف خليل بن أبيك الصفدي (٧٦٤هـ) كتاب «نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم».

وألف الزنجاني (ت ٦٥٦هـ) كتاب «ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح».

وألف أبو بكر الرازي (ت ٦٩١هـ) كتاب «مختار الصحاح».

وألف أبو الحسن بن إبراهيم الشيباني القفطي (ت ٦٤٦هـ) كتاب «الإصلاح لما وقع من الخطأ في الصحاح»[2].

---

(١) انظر: المعجم العربي للدكتور حسين نصار: ٢/٢٤٩.

(٢) انظر في ذلك: دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح مبروك: ١٠٧.

كما تأثر به الصغاني في تأليف معجمه (العباب الزاخر)، حيث يقول الدكتور حسين نصار: «وخلاصة القول في (العباب) أنه صدى في معظم مواده لمعظم ما أتت به المعاجم التي قبله، وخاصة (الصحاح) و(التهذيب) و(المقاييس) و(المحيط)»[1] .

كما كان (الصحاح) ضمن خمسة معاجم صرَّح ابن منظور بأنه نقل معجمه (لسان العرب) عنها هي: (التهذيب) للأزهري، و(المحكم) لابن سيده، و(الصحاح) للجوهري، و(الحواشي على الصحاح) لابن بري، و(النهاية في غريب الحديث) لابن الأثير؛ حيث يقول بعد أن ذكر هذه الكتب الخمسة: «وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمت بها، ولا وسيلة أتمسك بسببها، سوى أني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم، وبسطت القول فيه»[2] .

هذا، وقد تُرْجم معجم (الصحاح) إلى اللغتين الفارسية والتركية[3] .

---

(١) المعجم العربي للدكتور حسين نصار: ٢/٥٠٨ .

(٢) انظر: مقدمة (لسان العرب): ١/٨ .

(٣) انظر: المعاجم العربية للدكتور عبد الله درويش: ٩٨ .

لسان العرب
لابن منظور
(٦٣٠ - ٧١١هجرية)

ما كاد القرن السابع الهجري يشرف على الانصرام، ليبدأ القرن الثامن، حتى ألف محمد بن المكرَّم المعروف بابن منظور معجماً لغوياً سماه (لسان العرب)، وكان في ساحة التأليف المعجمي أنذاك نظامان يتجاذبان هذا النوع من التأليف، الأول: نظام القافية، أو نظام الباب والفصل، الذي سبق أن عرفنا أن رائده أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٢٣-٣٩٣هجرية)، ويمثل هذا النظام معجم (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري، و(العباب الزاخر) للصغاني.

والثاني: نظام الأبجدية العادية، الذي يعد رائده محمد بن تميم البرمكي (٣٧٢-٤٣٣هـ)، ويمثل هذا النظام (المجمل) و(مقاييس اللغة) لابن فارس القزويني، و(أساس البلاغة) للزمخشري.

ولكن ابن منظور قد آثر أن يتبع في ترتيب معجمه نظام القافية، نظراً لإعجابه الشديد بمعجم الجوهري (تاج اللغة وصحاح العربية)، حيث يقول: «ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، قد أحسن ترتيب مختصرة، وشهرةُ - بسهولة وضعه - شهرة أبي دُلَفَ بين باديه ومحتضره؛ فخف على الناس أمره، فتناولوه؛ وقرُب عليهم مأخذه، فتداولوه، وتناقلوه؛ غير أنه في جو اللغة كالذُّرة، وفي بحرها كالقطرة، وإن كان في نحرها كالدُّرة .. فاستخرت الله - سبحانه وتعالى - في جمع هذا الكتاب المبارك، الذي لا يُساهَم في سعة فضله ولا يُشارَك، ولم أخرج فيه عما في هذه الأصول، ورتبته ترتيب (الصحاح) في الأبواب والفصول» (١) .

---

(١) انظر: مقدمة (لسان العرب): ٤.

ويعد معجم (لسان العرب) لابن منظور من أكبر وأعظم المعاجم العربية قاطبة، إذ جمع فيه مؤلفه كل ما اشتملت عليه المعاجم التي تقدمت عليه في الظهور من أمثال:(جمهرة اللغة) لابن دريد، و(تهذيب اللغة) للأزهري، و(المحكم) لابن سيده الأندلسي، و(النهاية في غريب الحديث) لابن الأثير الجزري، و(الصحاح) للجوهري، وأمالي ابن بري عليه، حتى لقد بلغ مجموع مواده اللغوية زهاء الثمانين ألف مادة.

طبعات الكتاب:

طُبع معجم (لسان العرب) خمس طبعات، بيانها كالآتي :

١- طبعة بولاق. طبعته المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٣٠٠هـ - ١٨٨٢م في عشرين جزءاً. تضمها عشر مجلدات، وتعرف باسم (طبعة بولاق) وهي أول طبعة تصدر له.

٢- طبعة صادر . طبعته دار صادر ببيروت سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م في خمسة وستين جزءاً، وهي طبعة لا تمتاز عن سابقتها، إلا بإضافة بعض أدوات الترقيم، ويجعل المادة فقرات. وتقسيم الصفحة إلى عمودين.

٣- طبعة القاهرة. طبعته المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، وهذه الطبعة مصورة من طبعة بولاق.

٤- طبعة لسان العرب. طبعته دار لسان العرب ببيروت في ثلاثة مجلدات، حيث إن حروفها أصغر، والصفحة ثلاثة أنهر، وهي مصورة من طبعة دار صادر.

٥- طبعة المعارف.طبعته دار المعارف بالقاهرة في أربع مجلدات، وهي طبعة مضبوطة بالشكل، ومحققة بمعرفة: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي.

إعادة ترتيب الكتاب:

ألف ابن منظور معجمه (لسان العرب)، ونهج في ترتيب مواده نهج الجوهري في ترتيب مواد معجمه (الصحاح) وهو نظام القافية، وقد صدرت طبعاته الثلاث الأُوَل على هذا النظام من الترتيب الذي ارتضاه له ابن منظور، حيث قال: «شرطنا في هذا الكتاب المبارك، أن نرتبه كما رتب الجوهري صحاحه، وقد قمنا - والمنّة لله - بما شرطناه فيه»[1].

ولكن حين همّت (دار لسان العرب) ببيروت بطبعه، صدرت طبعتها هذه مصورة من طبعة (دار صادر)، إلا أنها - كما قدمنا - تمتاز عنها بكون حروفها أصغر، ولذا جعلت الصفحة ثلاثة أنهر، ومن ثم فقد جاء الكتاب في ثلاث مجلدات فقط، كما ذُيِّل كل مجلد منها بمصطلحات علمية وفنية، وأهم ما تمتاز به هذه الطبعة الأخيرة هو أن ترتيب مواد الكتاب العلمية قد جاء على نظام الأبجدية العاديه، وليس على نظام القافية الذي وضعه عليه مؤلفه ابن منظور.

وحينما أقدمت (دار المعارف) بالقاهرة على طبع الكتاب، آثرت أن يكون ترتيب المواد العلمية فيه جارياً على نظام الأبجدية العاديه، تسهيلاً على الطلاب، وتيسيراً على الباحثين والدارسين، ومسايرة لروح العصر، حيث جاء بمقدمة تحقيقه: «ولما فكرت (دار المعارف) في إخراج هذا المعجم النفيس، حرصت على ضبطه ضبطاً كاملاً، وتنقيته من الكثير مما يشوبه، وشاءت أن تخرجه على النمط المألوف في معاجم اللغة الحديثة، ليسهل تناوله، ويضرب إلى روح العصر بسهم، وينزل بثقله الضخم إلى ميدان الثقافة، ولا يكون بعيداً عن المألوف، لتزداد به الفائدة، ويعم به النفع.

و(دار المعارف) بإخراجها هذا المعجم الثمين في صورته الجديدة، لا تحدث بدعة يعدها بعض الناس مسخاً وهدماً لعمل ابن منظور؛ فالدار صاحبة رسالة فكرية رائدة، فتتطلع دائماً إلى خدمة اللغة والثقافة العربية، والأخذ بيد أبنائها نحو التقدم والتطور»[2].

---

(١) مقدمة (لسان العرب): ١١

(٢) مقدمة تحقيق (لسان العرب): ٨.

ابن منظور

اسمه ولقبه وحياته:

جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرّم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة بن منظور، يتصل نسبه برويفع بن ثابت الأنصاري، من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، ولد بالقاهرة وقيل بطرابلس سنة ٦٣٠هـ – ١٢٣٢م، وقد أجمع المترجمون له على أنه كان محدّثاً فقيهاً، عمل في ديوان الإنشاء بالقاهرة، ثم تولى القضاء في طرابلس، ثم عاد إلى مصر حيث أقام بها بقية حياته(١) .

ثقافته وعلمه:

كانت حياة ابن منظور حياة جد وعمل موصول، فقد كان – رحمه الله – مشاركاً في علوم كثيرة، فكان في الفقه في المكانة التي أهلته لولاية القضاء، وكان في اللغة وعلومها بما يشهد له به ما خلّفه من مؤلفات لغوية، أهمها هذا المعجم النفيس (لسان العرب)، وكان في المعارف الكونية في أفضل ما كان عليه علماء عصره، فهو، بحق يعد مفخرة من المفاخر الخالدة في تاريخ اللغة العربية وعلومها.

آثاره:

حمل ابن منظور قلمه ستين عاماً خصبة، لم تفتر فيها عزيمته، فترك وراءه مكتبة نفيسة من تأليفه أو اختصاره بلغت خمسمائة مجلد، عدا ما نسخه بخطه الجميل من كتب الأقدمين، نذكر منها:

---

(١) الدرر الكامنة: ٤/٢٦٢.

١- مختار الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، حيث جرده من الأسانيد المكررة، ورتب التراجم على حروف المعجم.

٢- مختصر (تاريخ دمشق) لابن عساكر.

٣- مختصر (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي، في عشر مجلدات.

٤- مختصر (مفردات ابن البيطار).

٥- مختصر (العقد الفريد) لابن عبد ربه.

٦- مختصر (زهر الآداب) للحصري.

٧- مختصر (الحيوان) للجاحظ.

٨- مختصر (يتيمة الدهر) للثعالبي.

٩- مختصر (نشوار المحاضرة) للتنوخي.

وغير هذا مما أوردته كتب التراجم التي اهتمت بالترجمة لحياة ابن منظور[(١)] .

وفاته:

توفي ابن منظور بمصر، بعد حياة حافلة بالعلم والمعرفة، والتأليف والتصنيف، بلغت نحو سبعين سنة، حيث توفي سنة ٧١١هـ - ١٣١١م، ودفن بالقاهرة[(٢)] .

الغرض من تأليف (لسان العرب):

كان ابن منظور يهدف من وراء تأليف معجمه (لسان العرب) إلى أن يخرج للناس معجماً مبرءاً مما وجِّه إلى المعاجم التي سبقته من نقود، وما أخذ عليه من

---

(١) انظر في ترجمة ابن منظور: الأعلام: ٧/٣٢٩، بغية الوعاة: ١/٢٤٨، الدرر الكامنة: ٤/٢٦٢، سركيس: ٢٥٥، مداخل المؤلفين: ٤٤، معجم المؤلفين: ١٢/٤٦.

(٢) الدرر الكامنة: ٤/٢٦٢.

مآخذ، فقد تتبع هذه المعاجم، وأبرز ما اشتملت عليه من نقص في المادة العلمية، أو خلط، أو خطأ؛ وآلى على نفسه أن يسد النقص، ويمحو الخلط، ويصحح الخطأ، بل يزيد عليها من عنده ما يسهِّل الأمر على الطلاب، ويعبِّد الطريق، وييسر المنال على الباحثين والدارسين، حيث يقول في مقدمة معجمه :

« ... وإني لم أزل مشغوفاً بمطالعات كتب اللغات، والاطلاع على تصانيفها، وعلل تصاريفها، ورأيت علماءها بين رجلين: أما مَنْ أحسن جمعه، فإنه لم يحسن وضعه؛ وأما مَنْ أجاد وضعه، فإنه لم يُجِدْ جمعه؛ فلم يُفِد حُسْن الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع.

ولم أجد في كتب اللغة أجمل من (تهذيب اللغة) لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ولا أكمل من (المحكم) لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي – رحمهما الله – ... غير أن كلاً منهما مطلب عَسِر المهلك، ومنهل وَعِر المسلك، وكأن واضعه شرع للناس مورداًعذباً، وجلاهم عنه، وارتاد لهم مرعى مَرْبَعاً، ومنعهم منه؛ قد أخَّر وقدَّم، وقصد أن يُعرِب فأعجم، فرَّق الذهن بين الثنائي والمضاعف والمقلوب، وبدد الفكر باللفيف والمعتل والرباعي والخماسي فضاع المطلوب؛ فأهمل الناس أمرهما، وانصرفوا عنهما، وكادت البلاد – لعدم الإقبال عليهما – أن تخلو منهما، وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب، وتخليط التفصيل والتبويب.

ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، قد أحسن ترتيب مختصرة، وشهره – بسهولة وضعه – شهرة أبي دُلَفَ بين باديه ومحتضره، فخف على الناس أمره فتناولوه، وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه؛ غير أنه في جو اللغة كالذرة، وفي بحرها كالقطرة، وإن كان في نحرها كالدرة، وهو مع ذلك – قد صحَّف وحرَّف، وجزف فيما صرَّف؛ فأتيح له الشيخ أبو محمد ابن بري، فتتبع ما فيه، وأملي عليه أماليه، مُخَرِّجاً لسقطاته، مؤرخاً لغلطاته، فاستخرت الله – تعالى – في جمع هذا الكتاب المبارك، الذي لا يساهَم في سعة فضله ولا يشارَك، ولم

أخرج فيه عما في هذه الأصول، ورتبته ترتيب (الصحاح) في الأبواب والفصول.

وقصدت توشيحه بجليل الأخبار، وجميل الآثار، مضافاً إلى ما فيه من آيات القرآن الكريم، والكلام على معجزات الذكر الحكيم، ليتحلى بترصيع دررها عقده، ويكون على مدار الآيات والأخبار والآثار والأمثال والأشعار حلّه وعقده،فرأيت أبا السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري قد جاء في ذلك بالنهاية، وجاوز في الجودة حد الغاية، غير أنه لم يضع الكلمات في محلها، ولا راعى زائد حروفها من أصلها؛ فوضعت كلاً منها في مكانه ، وأظهرته مع برهانه؛ فجاء هذا الكتاب – بحمد الله – واضح المنهج سهل السلوك، آمناً – بمنّة الله – من أن يصبح مثل غيره، وهو مطروح متروك ؛ عظم كنفعه بما اشتمل من العلوم عليه، وغَنِيَ بما فيه عن غيره، وافتقر غيره إليه؛ وجمع من اللغات والشواهد والأدلة، ما لم يجمع مثلُه مثلَه، لأن كل واحد من هؤلاء العلماء، انفرد برواية رواها، وبكلمة سمعها من العرب شفاها، ولم يأت في كتابه بكل ما في كتاب أخيه؛ ولا أقول تعاظم عن نقل ما نقله، بل أقول استغنى بما فيه؛ فصارت الفوائد في كتبهم مفرقة، وسارت أنجم الفضائل في أفلاكها هذه مغرّبة وهذه مشرّقة؛ فجمعت منها في هذا الكتاب ما تفرق، وقرنت بين ما غرب منها وبين ما شرق، فانتظم شمل تلك الأصول كلها في هذا المجموع، وصار هذا بمنزلة الأصل وأولئك بمنزلة الفروع؛ فجاء – بحمد الله – وَفْقَ البغية وفوق المنية، بديع الاتقان، صحيح الأركان، سليماً من لفظة «لو كان».

حلت – بوضعه – ذروة الحفاظ، وحلت – بجمعه – عقدة الألفاظ» (١) .

---

(١) مقدمة (لسان العرب): ١١ – ١٢.

منهج ابن منظور
في لسان العرب

انتهج ابن منظور فى ترتيب المادة العلمية فى كتابه (لسان العرب) منهج الجوهرى فى تأليف معجمه (الصحاح) ، حيث التزم نظام القافية ، أى نظام الباب والفصل ، وقد صرح بذلك فى مقدمة كتابه بقوله :

«وشرطنا فى هذا الكتاب المبارك ، أن نرتبه كما رتب الجوهرى صحاحه ، وقد قمنا – والمنّة لله – بما شرطناه فيه»(١) ويمكن تفصيل منهج ابن منظور فى تأليف لسانه فى النقاط التالية :

١– يبدأ ابن منظور بإرجاع المادة العلمية إلى أصلها اللغوى ، وهو متفق فى ذلك مع جميع مؤلفى المعاجم اللغوية ، وذلك بتجريد المادة اللغوية من الحروف الزوائد ، وإثبات ما قد يكون محذوفا منها من الحروف ، ورد حروف العلة إلى الأصول التى قلبت عنها إن وجد قلب ، وإرجاع الجمع إلى مفرده ، والمؤنث إلى مذكره ، والمصغر إلى مكبره .

٢– جعل الحرف الأخير من المادة اللغوية بابا ، وبذا اشتمل (اللسان) على ثمانية وعشرين بابا ، بعدد حروف الهجاء ، فباب "الهمزة" للمواد التى تنتهى بحرف الهمزة ، وباب (الباء) للمواد التى تنتهى بحرف الباء . وهكذا حتى باب (الياء) حيث جعله للمواد التى تنتهى بحرف الياء .

ثم جعل الحرف الأول من المادة اللغوية فصلا، وبهذا اشتمل كل باب على ثمانية وعشرين فصلا، بعدد حروف الهجاء، إلا أنه قد لا تكتمل فصول أحد الأبواب ثمانية وعشرين ، وذلك لعدم وجود المادة اللغوية التى تتطلب إفراد فصل لها .

---

(١) مقدمة (لسان العرب) : ٢ .

ثم يراعى بعد ذلك الحرف الثاني من المادة اللغوية إن كانت ثلاثية ، أو الثالث إن كانت رباعية ، أو الرابع إن كانت خماسية ، وهو ما يسمى (الحشو) ونعني به الحروف المحصورة بين الحرفين الأول والأخير ، ولذا تكون كل من المواد (أبد ، وأبر ، وأبط) فى باب مختلف عن الآخرين ، وإن كانت كلها تبدأ بحرف الهمزة ، فنجد (أبد) فى باب الدال فصل الهمزة ، وهى قبل (أحد) مثلا فى الترتيب ، لأن (الباء) قبل (الحاء) فى ترتيب حروف الهجاء ، و(أبر) نجدها فى باب الراء فصل الهمزة ، وهى قبل (أثر) مثلا فى الترتيب ، لأن (الباء) ، قبل (الثاء) ، و(أبط) فى باب الطاء فصل الهمزة ، وتأتى معها فى الباب نفسه – باب الطاء – مادة (خبط) ، ولكنها تكون فى فصل (الخاء) وهكذا[1] .

٣- لا يلتزم ابن منظور فى ترتيب الألفاظ والصيغ – داخل المادة الواحدة – نظاما بعينه فغالبا ما يبدأ معالجة المادة اللغوية بذكر الاسم ، ثم يتبعه بذكر أسماء وأفعال على غير نظام دقيق ، ففى باب الهمزة فصل الخاء ، مادة (خطأ) يبدؤها بقوله : "الخطأ والخطاء: ضد الصواب" ، وفى مادة (حرب) يبدأ بقوله : "الحرب نقيض السلم ...» ، وفى مادة (خلب) يقول : "الخلب : الظفر عامة» .

ولكنه لا يلتزم هذا ، بل قد يبدأ بذكر الفعل ، كما فى مادة (ركب) حيث يبدؤها بقوله : "ركب الدابة يركب ركوبا : علا عليها ..." ، ثم يذكر فى ثناياها أسماء مثل : ركْب ، وراكب ... الخ . وكما فى مادة (رجب) حيث يبدؤها بقوله : "رجب الرجل رجبا : فزع" ، ويأتى فى ثنايا شرح المادة اسم الشهر (رجب) ، ومثل ذلك فى مادة (ثعب) حيث يبدؤها بالفعل قائلا : "ثعب الماء والدم ونحوه يثعبه ثعبا : فجره" ، رغم أن هناك فى ثنايا شرح المادة ساما هو (الثعب) وهو مسيل الماء ؛ وهكذا نرى أن ابن منظور ليس له فى معجمه بداية ملتزمة ، إلا أنه غالبا ما يبدأ بالإسم .

---

(١) المعاجم اللغوية : ٤٢ .

وينهي ابن منظور معالجته للمادة اللغوية بذكر الأعلام ، سواء كانت أعلام أشخاص ، أم قبائل ، أم بلدان ، أم غير ذلك ؛ وهو فى هذا أكثر التزاما من ابتدائه بالاسم ، ففى مادة (عرب) ينهيها بذكر الأعلام (العَربَات : طريق فى جبل بطريق مصر ، وعريب :حي من اليمن ، وابن العروبة : رجل معروف ، ويعرب : اسم وعرابة -بالفتح- : اسم رجل من الأنصار من الأوس) (١) ؛ كما ينهى مادة (صوب) بقوله : "…. والصوب : لقب رجل من العرب ، وهو أبو قبيلة منهم ، وبنو الصوب : قوم من بكر بن وائل ، وصوبة : فرس العباس بن مرداس ، وصوبة أيضا : فرس لبنى سدوس"(٢) ؛ كما ينهى مادة (ضبب) بقوله : " … وضبة : حي من العرب ، وضب : اسم رجل ، وأبو ضب : شاعر من بنى هذيل ، والضباب : اسم رجل ، وهو أبو بطن سمى بجمع الضب . وضباب والضباب : اسم رجل أيضا ، وأبو ضب : من كناهم . والضبَيّبُ : فرس معروف من خيل العرب وله حديث . وضبيب : اسم واد (٣) .

٤- يستعمل ابن منظور وسائل كثيرة للإشارة إلى صيغ الجمع ، فقد يورد المفرد ، ثم يذكر بعده لفظة (وهم) ، وقد يصرح بقوله (وجمعه) أو (والجمع) ، وقد يورد صيغة الجمع ويردفها بالمفرد ، مصرحا بأن الأولى جمع الثانية ، أو بأن الثانية واحدة الأولى : وقد يشير إلى جمع القلة وجمع الكثرة ، ومثال ذلك قوله فى مادة (طبب) : " … ورجل طَبٌّ وطبيب .. وجمع القليل : أطبة ، والكثير : أطباء"(٤) وقد يشير إلى غير ذلك مما هو من شأن الجمع أيضا كقوله : "… والضيف يكون للواحد والجمع كعدل وخصم ، وفى التنزيل العزيز «هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين»(٥) على أن (ضيفا) قدب يكون ههنا جمع (ضائف) الذى هو النازل ،

---

(١) لسان العرب : مادة (ع ر ب) .

(٢) المصدر السابق : مادة (ص و ب) .

(٣) المصدر نفسه : مادة (ض ب ب) .

(٤) لسان العرب : مادة (ط ب ب) .

(٥) سورة الذاريات : الآية ٢٤ .

فيكون من باب (زور) و (صدم) فى فهم ، وقد يكسّر فيقال : أضياف ، وضيوف ، وضيفان»[1] وقوله فى مادة (فرس) : "الفرس: واحد الخيل، والجمع : أفراس"[2] وفى مادة (عرس) يقول : "ابن عِرْس : دويبة ، والجمع : بنات عِرْس - ذكرا كان أو أنثى ، معرفة أو نكرة ؛ وكذلك ابن آوى ، وابن مخاض ، وابن لبون ، وابن ماء، تقول : بنات آوى ، وبنات مخاض ، وبنات لبون ، وبنات ماء ؛ وحكى الأخفش : بنات عرس ، وبنو عرس ، وبنات نعْش ، وبنو نعش"[3] .

٥- يستشهد على ما يقدمه من شرح للمادة اللغوية بآى من القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف دون تخريج ، كما يستشهد بأبيات من عيون الشعر العربى ، ناسبا الأشعار إلى قائليها فى غالب الأحيان ، كما يهتم بنسبة ما يرويه عن سابقيه من العلماء واللغويين إلى من أخذ منهم صراحة ، ومثال ذلك قوله فى مادة (أبق) : "الإباق : هرب العبيد ، وذهابهم من غير خوف ولا كد عمل وهذا الحكم فيه أن يرد ، فإذا كان من كد عمل أو خوف لم يرد . وفى حديث شريح : كان يُردُّ العبد من الإباق البات . أى : القاطع الذى لا شبهة فيه . وقد أبق ، أى : هرب . وفى الحديث : أن عبداً لابنِ عمر - رضى الله عنهما - أبق فلحق بالروم .

ابن سيده : أبَق يأبِق ويأبُق أبْقا وإباقا : فهو آبق ، وجمعه : أُبَّاق . وأبق وتأبَّق : استخفى ثم ذهب ، قال الأعشى :

فَذَاكَ وَلَمْ يَعْجِزْ من المَوْتِ رِبُّهُ ... ولَكِـنْ أتَـاهُ المَـوْتُ لا يَتَـأبَّقُ

الأزهرى : الإباق : هرب العبد من سيده ، قال الله - تعالى - فى يونس - عليه السلام - حين ند فى الأرض مغاضبا لقومه : "إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ"[4]

(١) لسان العرب : مادة (ض ى ف) .
(٢) لسان العرب : مادة (ف ر س) .
(٣) المصدر نفسه : مادة (ع ر س) .
(٤) سورة الصافات : الآية ١٤٠ .

وتأبق : استتر ، ويقال : احتبس ، وروى ثعلب أن ابن الأعرابى أنشده :

أَلا قَالَتْ بَهَانِ وَلَمْ تَأَبَّقْ كَبِرْتَ وَلا يَلِيقُ بِكَ النَّعِيمُ

قال : لم تأبقْ إذا لم تأثم من مقالتها ، وقيل : لم تأبق : لم تأنف ؛ قال ابن برى : البيت لعامر بن كعب بن عمرو بن سعد ، والذى فى شعره : ولا مليط – بالطاء – ، وكذلك أنشده أبو زيد ، وبعده :

بَنُونَ وَهَجْنَةٌ كَإِشَاءِ بُسٍّ صَفَايَا كثة الأدبَارِ كدُمُ

قال أبو حاتم : سألت الأصمعى عن قوله : ولم تأبق ، فقال : لا أعرفه ؛ وقال أبوزيد : لم تأبق : لم تبعد ، مأخوذ من الإباق ؛ وقبل : لم تستخف، أى : قالت علانية ؛ والتأبق : التوارى"(١) .

٦- يلجأ إلى ضبط الألفاظ والصيغ الصرفية عملا بواجب الإيضاح والإبانة وأمن اللبس ، إذ ربما نص على موضع الحركة ، كما فى مادة (أرق) حيث يقول: :".... ويقال : أرق أرقا فهو أرق ، وآرق ، وأَرِق ، وأُرُقا ، قال ذو الرمة :

* فَبِتُّ بِلَيْلِ الآرِقِ المُتَمَلْمِلِ *

فإذا كان ذلك عادته ، فبضم الهمزة والراء لا غير» وقوله فى مادة (أرك) : "وفى حديث الزهرى عن بنى اسرائيل : وعنبهم الأراك ، قال : هو شجر معروف له حمل كحمل عناقيد العنب ، إسمه (الكباث) – بفتح الكاف – وإذا نضج يسمى (المرْدْ)"(٢) .

وقد يذكر الحركة دون أن ينص على موضعها إذا كان الحرف موضع الحركة هو مظنة الخلط بين الصيغ ، وبإمعان النظر ، واستقراء (لسان العرب) يتضح لنا أن ابن منظور قد اقتفى أثر الجوهرى أيضا ، وسار على نهجه فى ضبط الألفاظ والصيغ ، حيث نجده يلتزم فى ضبط الأسماء ذكر الحركة قاصدا بها الحرف

(١) لسان العرب : ٦٤ .

(٢) لسان العرب: ٦٤.

الأول ، وإذا قال (بالتحريك) فإنما يقصد الحرفين الأول والثانى . إذ يقول فى مادة (أرق) : "وأراق – بالضم – موضع ، قال ابن أحمر :

كَأَنَّ عَلَى الجِمَالِ أَوَانَ حفَّتْ   هَجَائِنَ مِنْ نِعَاجِ أُرَاقَ عِينًا(١)

وكقوله فى مادة (جرف) :"الجرف – بالفتح – سمة من سمات الإبل ، وهى فى الفخذ بمنزلة القرمة فى الأنف ، تقطع جلدة وتجمع فى الفخذ كما تجمع على الأنف"(٢) وقوله فى مادة (جرذ) :"الجرذ – بالتحريك – : كل ما حدث فى عرقوب الغرس .

أما بالنسبة لضبط الفعل ، فإنه يلتزم فيه ذكر الحركة ويقصد بها عين الفعل حيث هى مناط التفريق بين صيغ الأفعال ، ومن ذلك قوله فى مادة (أرق) : "الأرق – بالتحريك – : السهر ، وقد أرقت – بالكسر – أى : سهرت ...."(٣) وقوله فى مادة (جرف) : «جرف الشيء يجرفه – بالضم – جرفا ، واجترفه : أخذه أخذا كثيرا"(٤)

٧– يعمد إلى الدقة فى ضبط الحركات ، فيذكر ما يعتريها من الروم والإشمام والإخفاء ، كما يعمد فى شرحها إلى الاستعانة بالتفعيلات العروضية ، والبحور الشعرية ، وذلك نحو قوله فى مادة (أرق) السابقة : "قال:

* مَتَى أَنَامُ لاَ يُؤَرِّقْنِي الكرَى *

قال سيبويه : جزمه – يعنى الفعل يؤرقنى – لأنه فى معنى : إن يكن لى نوم فى غير هذه الحال لا يؤرقنى الكرى . قال ابن جنى : هذا يدلك على مذاهب العرب . على أن الإشمام يقرب من السكون ، وأنه دون روم الحركة ، قال : وذلك لأن الشعر من الرجز ووزنه : متى أنا (مفاعلن) . مُ لايؤر (مفاعلن) . رقْنى الكرى

(١) المصدر نفسه .

(٢) لسان العرب : ٦٠٢ .

(٣) لسان العرب : ٦٣ .

(٤) لسان العرب : ٦٠٢ .

(مستفعلن) ، والقاف من (يؤرقنى) بإزاء السين من (مستفعلن) ، والسين - كما ترى - ساكنة ، قال : ولو اعتددت بما فى القاف من الإشمام حركة ، لصار الجزء إلى (متفاعلن) ، والرجز ليس فيه (متفاعلن) ، إنما يأتى فى (الكامل) ؛ قال : فهذه دلالة قاطعة على أن حركة الأشمام - لضعفها - غير معتد بها ، والحرف الذى هى فيه ساكن أو كالساكن ، وأنها أقل فى النسبة والزنة من الحركة المخفاة فى همزة بين بين وغيرها . قال سيبويه : وسمعت بعض العرب يشمها الرفع ، كأنه قال : غير مؤرَّق ، وأراد الكَرِيُّ ، فحذف إحدى الياءين"(١)

(١) لسان العرب : ٦٤ .

نماذج تطبيقية

من لسان العرب

بعد ذلك الذى تقدم من بيان النظام الذى سلكه ابن منظور فى ترتيب معجمه (لسان العرب) ، والتعريف بالنهج الذى التزمه فى شرح مواده اللغوية ، نرى لزاما علينا أن نقدم نموذجا تطبيقيا أو أكثر مما اشتمل عليه (لسان العرب) لنقف على مدى وفاء ابن منظور بما وعد به وقطعه على نفسه فى مقدمة معجمه .

أ) مادة (جبن):

يقول ابن منظور فى باب النون فصل الجيم : "الجبان من الرجال : الذى يهاب التقدم على كل شئ ، ليلا كان أو نهارا ؛ سيبويه : والجمع جبناء ، شبهوه بـ (فعيل) لأنه مثله فى العدة والزيادة ، وتكرر فى الحديث ذكر الجبن والجبان ، وهو ضد الشجاعة والشجاع ، والأنثى جبان مثل : حَصَان ، ورَزَان ؛ وجبانة ، ونساء جبانات .

وقد جَبَن يجبُن ، وجَبُن جُبْناً وجُبُناً وجَبَانَةً ؛ وأَجْبَنَهُ : وجده جبانا ، أو حسبه إياه . قال عمرو بن معد يكرب - وكان قد زار رئيس بنى سُلَيْم ، فأعطاه عشرين ألف درهم وسيفا وفرسا وغلاما خبازا وثيابا وطيبا - : لله دركم يابني سليم! قاتلتها فما أجبنتها ، وسألتها فما أبخلتها ، وهاجيتها فما أفحمتها . وحكى سيبويه وهو يُجَبَّن ، أى : يُرْمى بذلك ، ويقال له : وجَبَّنَه تجبينا : نسبة إلى الجبن .

وفى الحديث : أن النبى - صلى الله عليه وسلم - احتضن ابنى ابنته وهو يقول : والله انكم لتُجبِّنُون وتُبَخِّلُون وتجُهِّلُون ، وإنكم لمن ريحان الله . يقال : جَبَّنْتُ الرجل وبخَّلْتُه وجهَّلته إذا نسبته إلى الجبن والبخل والجهل ؛ وأجبنته

وأبخلته وأجهلته إذا وجدته جبانا بخيلا جاهلا ؛ يريد أن الولد لما صار سببا لجبن الأب عن الجهاد ، وإنفاق المال ، والافتتان به ، كان كأنه نسبة الى هذه الخلال ورماه بها .

وكانت العرب تقول : الولد مجبنة مبخلة . الجوهرى : يقال : الولد مجبنة مبخلة ، لأنه يحب البقاء والمال لأجله . وتجبَّنَ الرجل : غلُظ . ابن الأعرابى : المفضل قال : العرب تقول : فلان جبان الكلب ، إذا كان نهاية فى السخاء ، وأنشد :

وَأَجْبَنُ مِنْ صَافِرٍ كَلْبُهُمْ وَإِنْ قَذَفَتْهُ حَصَاةٌ أَضَافَا

قذفته: أصابته. أضاف أي: أشفق وفر . الليث: اجتبنته: حسبته جبانا .

والجبين : فوق الصدغ ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها ، ابن سيده : والجبينان حرفان مكتنفا الجبهة من جانبيها فيما بين الحاجبين مصعدا إلى قصاص الشعر ، وقيل : حروف الجبهة ما بين الصدغين متصلا عدا الناصية ، كل ذلك جبين واحد ، قال : وبعض العرب يقول هما جبينان ، قال الأزهرى : وعلى هذا كلام العرب ، والجبهتان : الجبينان . قال اللحياني : والجبين مذكر لاغير . والجمع أجْبُن وأجبنة وجُبُن .

والجُبْنُ والجُبُنُ والجُبُنُّ – مُثقَّل – : الذى يؤكل ، والواحدة من كل ذلك بالهاء جُبُنَّة ، وتجبَّن اللبن : صار كالجبن . قال الأزهرى : وهكذا قال أبو عبيد فى قوله: كُل الجُبُنَّ عُرْضاً – بتشديد النون – غيره : اجتبن فلان اللبن اذا اتخذه جبنا . الجوهرى : الجُبْنُ هذا الذى يؤكل ، والجُبْنَة أخص منه ، والجبن أيضا : صفة الجبان . والجُبُن – بضم الجيم والباء – لغة فيهما . وبعضهم يقول : جُبُنٌّ وجُبُنَّةٌ – بالضم والتشديد – وقد جَبُن الرجل ، فهو جبان ، وجَبُنَ أيضا – بالضم – فهو جبين .

والجَبَّان والجبّانة – بالتشديد – : الصحراء ، وتسمى بهما المقابر لأنها تكون فى الصحراء ، تسمية للشيء بموضعه .

وقال أبو حنيفه : الجبابين كرام المنابت ، وهى مستوية فى ارتفاع ، الواحدة جُبَّانَةٌ ، والجُبَّان : ما استوى من الأرض فى ارتفاع ، ويكون كريم المنبت . وقال ابن شميل : الجبّانة ما استوى من الأرض وملس ولا شجر فيه ، وفيه آكامٌ وجلاهٌ ، وقد تكون مستوية لا آكام فيها ولا جلاه ، ولا تكون الجبّانة فى الرمل ولا فى الجبل وقد تكون فى القِفاف والشقائق . وكل صحراء جبانة"(١) .

ب) مادة (بكأ) :

ويقول ابن منظور فى باب الهمزة فصل الباء : "بَكَأَتِ الناقة والشاة تَبْكَأُ بَكْأً ، وبكُؤت تَبْكُؤُ بَكَاءَةً وبُكوءًا ، وهى بَكِيءٌ ، وبكيئة : قل لبنها ، وقيل : انقطع ، وفى حديث على : دخل علىَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنا على المنامة ، فقام إلى شاة بكيء ، فحلبها ، وفى حديث عمر أنه سأل جيشا : هل ثبت لكم العدو قدر حلب شاة بكيئة ؟ قال سلامة بن جندل :

وَشَدُّ كَوْرٍ عَلَى وَجْنَاءَ نَاجِيةٍ وَشَدُّ سَرْجٍ عَلَى جَرْدَاءَ سُرْحُوبِ

يُقَالُ مَحْبِسُهَا أَدْنَى لِمَرْتَعِهَا وَلَــوْ تُنَــادِى بِبِكْءٍ كُلُّ مَحْلُوبِ

أراد بقوله : محبسها : أى محبس هذه الإبل أو الخيل على الجدب ، ومقابلة العدو على الثغر أدنى وأقرب من أن ترتع وتضيع الثغر فى إرسالها لترعى. وناقة بكيئة ، وأنيق بِكَاءٌ قال :

فَلَيَأْزِلَنَّ وَتَبْكُؤَنَّ لِقَاحُهُ وَيُعَلِّلَنَّ صَبِيَّةً بِسِمَارِ

---

(١) لسان العرب : ٥٣٩ – ٥٤٠ .

السمار : اللبن الذى رقق بالماء . قال أبو منصور : سماعنا ، فى غريب الحديث : بَكُؤَتْ تَبْكؤُ .

قال : وسمعنا فى المصنف لشمر عن أبى عبيد عن أبى عمر : بكأت الناقة تبكأ . قال أبو زيد : كل ذلك مهموز . وفى حديث طاووس "مَنْ منح منيحة لبن فله بكل حلبة عشر حسنات غزرت أو بكأت» ، وفى حديث آخر : «مَنْ منح منيحة لبن بكيئة كانت أو غزيرة" ، وأما قوله :

أَلا بكَرَتْ أُمُّ الكِلاَبِ تَلُومُني   تَقُولُ : أَلا قَدْ أَبْكَأَ الدَّرُّ حالِبُه

فزعم أبو رياش أن معناه : وجد الحالب الدر بكيئا ، كما تقول : أحمدْ وجده حميدا . قال ابن سيده : وقد يجوز عندى أن تكون الهمزة لتعدية الفعل ، أى : جعله بكيئا ؛ غير أنى لم أسمع ذلك من أحد ، وإنما عاملت الأسبق والأكثر .

وبكأ الرجل بكاءة ، فهو بكيء من قوم بكاء : قل كلامه خلقةً ، وفى الحديث : "إنا معشر النبآء بكاءٌ ، وفى رواية : "نحن معاشر الأنبياء فينا بُكْءٌ ؛ وبُكاءُ : أى قلة كلام إلا فيما نحتاج إليه ، بكؤت الناقة إذا قل لبنها ، ومعاشر : منصوب على الاختصاص ، والاسم : البُكْءُ "(١)

(١) لسان العرب : ١/٣٣١ - ٣٣٢ .

تعقيب

باستقراء المادتين اللغويتين السابقتين واللتين نقلناهما من معجم (لسان العرب) لابن منظور ، بمكن أن نخرج منها بالملاحظات التالية :

١- لا يلتزم ابن منظور نهجا مطردا فى بدء شرحه للمادة اللغوية ، حيث نجده يبدأ شرحه للمادة الأولى (جبن) بذكر الاسم ، إذ يقول : "والجبان من الرجال : الذى يهاب التقدم على كل شىء ، ليلا كان أو نهاراً".

فى حين تراه يبدأ شرحه للمادة الثانية (بكأ) بذكر الفعل حيث يقول : "بكأت الناقة والشاة تبكأ بكأ ، وبكؤت تبكؤ بكاءة وبكوءاً وهى بكيء وبكيئة : قل لبنها ، وقيل : انقطع" .

٢- لا يلتزم نظاما معيناً فى ترتيب صيغ المادة اللغوية ، وإنما يوردها كيفما اتفق له ، حيث فى مادة (جبن) يذكر الأسماء : الجبان ، جبناء ، الجبن ، جبان ، جبانة ، جبانات ؛ ثم يذكر الفعل والمصدر حيث يقول : جبن يجبن وجبن جبنا وجُبُنا وجبانة ، يجَبَّن ، وجبَّنه تجبينا ، لتجبنون ، جبَّنته، وأجبنته ، وتجبَّن الرجل: غلظ ؛ ثم يعود إلى ذكر الإسم فيقول : والجبين فوق الصدغ ، وهما جبينان ، والجينيان حرفان ، جبين واحد ، والجبين مذكر ، والجمع : أجبن وأجبنة وجُبُن ؛ ثم يعود الى ذكر الفعل فيقول: اجتبن فلان اللبن ، وتجَبَّن اللبن ، وجبَن فلان فهو جبان ، وجبُن أيضا – بالضم – فهو جبين .

أما فى مادة (بكأ) فيذكر الفعل بقوله : بكأت تبكأ ، وبكؤت تبكؤ : قل لبنها ، ثم يذكر الاسم بقوله :بكىء ، بكيئة ، بكء ، بكاء ، ثم يعود إلى ذكر الفعل فيقول : بكؤت تبكؤ ، بكأت تبكأ ، أبكأ ، ثم يرجع الى ذكر الاسم فيقول : بكيئا ؛ ثم الفعل بقوله : بكأ ، بكؤت ".

٣- يستشهد على ما يقدمه من شرح للمادة اللغوية بأى من القرآن الكريم

والحديث النبوى الشريف حيث يقول فى المادة الأولى : " وفى الحديث : أن النبى – صلى الله عليه وسلم – احتضن ابنى ابنته وهو يقول : والله إنكم لتجبنون وتبخلون وتجهلون ، وإنكم لمن ريحان الله" ، ويقول فى المادة الثانية : "وفى الحديث نحـن معاشر الأنبياء فينا بَكء " .

كما يستشهد بأبيات من عيون الشعر العربى الموثوق بروايته ، كما هو واضح فى كلا المادتين السابقتين ؛ ويستشهد أيضا بالحكم والأمثال العربية حيث يقول فى مادة (جبن) : "وكانت العرب تقول : الولد مجبنة مبخلة . يقول المفضل : العرب تقول : فلان جبان الكلب" ؛ كما يستشهد أيضا بكلام العرب الخلص الموثوق بعربيتهم ، مع ذكر الموقف الذى قيل فيه ، نحو قوله فى المادة نفسها : "قال عمرو بن معد يكرب – وكان قد زار رئيس بن سليم ، فأعطاه عشرين ألف درهم وسيفا وفرسا وغلاما خبازا وثيابا وطيبا – : لله دركم يابنى سليم ! قاتلتها فما أجبنتها وسألتها فما أبخلتها وهاجيتها فما أفحمتها " .

٤– لم يعمد الى الإيجاز والاختصار الذى التزمه الجوهرى فى صحاحه ، ومن ثم لم يلجأ إلى استخدام الرموز التى كان يستخدمها الجوهرى للدلالة على المعانى المختلفة كالجمع ، والمؤنث ، والبلد ، والقريـة ، والجبل ، وغيرها ؛ وإنما ينص على كل معنى باسمه صراحة حيث يقول فى مادة (جبن) : "الجبان من الرجال : الذى يهاب التقدم على كل شىء ... والجمع : جبناء ... والأنثى جبان وجبانة ، ونساء جبانات" وقوله أيضا : "والجبين مذكـر لاغير ، والجمع : أجبن وأجبنة وجُبُن" .

٥– يراعى ضبط الألفاظ والصيغ ضبطا دقيقا منعاً للخلط واللبس حيث يقول : "والجبن والجبُنُ والجُبُنُّ – بضم الجيم والباء – لغة فيهما ، وبعضهم يقول : جُبُنٌّ وجُبُنَّةٌ – بالضم والتشديد ... وجبُن أيضا – بالضم – فهو جبين ... والجبان والجبانة – بالتشديد – : الصحراء" .

٦– يعمد إلى ذكر الأضداد إمعانا فى إيضاح معانى الألفاظ ، إذا رأى أنها قد تكون مظنة اللبس والخلط ، حيث يقول : "وتكرر فى الحديث ذكر الجبن والجبان، وهو ضد الشجاعة والشجاع" .

٧- يذهب إلى ذكر معانى المفردات التى يرى أنه قد يصعب دركها على الدارس ، أو يند فهمها عن الباحث حيث تراه بعد أن يورد قول الشاعر :

وأجبن من صافر كلبهم   وإن قذفته حصاة أضافا

يقول : قذفته : أصابته . أضاف : أشفق وفر .

وفى مادة (بكأ) بعد أن يورد قول الشاعر :

فليأزلن وتبكؤن لقاحه   ويعللــن صبيــة بســمار

يقول : السمار : اللبن الذى رقق بالماء .

٨- يعمد إلى إعراب اللفظة إذا وجد أنه قد يلتبس إعرابها على القارئ ، مما قد يتولد عنه لبس فى فهم معناها ؛ كما فى مادة (بكأ) حيث تراه بعد أن يورد الحديث: "نحن معاشر الأنبياء فينا بكء" يقول: ومعاشر: منصوب على الاختصاص .

٩- يذكر التوجيه النحوى أو الصرفى للفظة إسهاماً منه فى إبراز المعنى المراد بها ، نحو قوله فى مادة (جبن) : "الجبان من الرجال : الذى يهاب التقدم على كل شىء ... شبهوه بـ (فعيل) لأنه مثله فى العدة والزيادة" ، وقوله فى مادة (بكأ) بعد أن يذكر قول الشاعر :

ألا بكرت أم الكلاب تلومنى   تقول : ألا قد أبكأ الدر حالبه

فزعم أبو رياش أن معناه : وجد الحالب الدر بكيئا ... وقد يجوز عندى أن تكون الهمزة لتعدية الفعل ، أى : جعله بكيئا" .

١٠- يهتم بنسبة ما ينقله من الكلام إلى قائليه ، وعزو النصوص إلى ذويها ، كما ينسب الشعر الذى يستشهد به إلى قائله ، إلا ما ندر حيث يتركه بدون نسبة ، إما اعتماد على معرفة القارئ به لشهرته ، وإما لعدم معرفته هو به ، وهذا كله ظاهر من هاتين المادتين اللتين سقناهما آنفا .

كلما أخرجت المطابع معجما جديدا ، جاء ذلك الجديد مشتملا على ما فى سابقيه من خصائص ومميزات ، خلوا مما وجه إليها من مآخذ ونقود ، حيث قد لا يفكر اللغوى فى تأليف معجم جديد ، إلا بعد أن يقف على ما فى المعاجم السابقة من أوجه النقص ومظاهر القصور ، سواء وقع عليها بنفسه ، أو أخذها من أفواه النقاد وكتاباتهم حين تقييمهم[1] لها .

وتمشيا مع هذه النظرة ، ومتابعة لهذا المبدأ ، نقف على أن ابن منظور - حين عمد إلى تصنيف معجمه (لسان العرب) - قد راعى كل ما اشتملت عليه المعاجم السابقة من ميزات وخصائص ، ووضع نصب عينيه كل ما وجه إليها من نقود ومآخذ ؛ فعمل على أن يضمن معجمه كل الميزات والخصائص التى امتدحها النقاد واللغويون ، وأن يجنبه النقود والمآخذ التى لاحظوها ، ومن ثم يمكن تحديد ما اشتمل عليه (لسان العرب) من خصائص وميزات فى النقاط التالية :

١- التزامه نظام القافية فى ترتيب المادة اللغوية ، مما جعله أيسر وأسهل لوقوع الباحث أو الدارس على المادة المرادة وشرحها ، مقارنا بنظام التقليبات بنوعيه - الصوتى والأبجدى ، كما جعله أحصر وأشمل للمواد والصيغ ، مقارنا بنظام الأبجدية العربية[2] ، كما جاء عونا للشعراء للوقوف على الألفاظ اللازمة للقوافى التى يريدونها ، وللسجاع للوقوف على الألفاظ اللازمة لتمام السجعات .

---

(١) المصدران (تقييم) و (تقويم) كلاهما صحيح ، إذ الأول مشتق من (القيمة) ، والثانى مشتق من الفعل (قوّم) ، والأغلب أن يستخدم الأول فى مجال بيان القيمة والثمن ، ويستخدم الثانى فى مجال التعديل والرد إلى الطريق القويم .

(٢) حيث تقدمه فى التأليف على نظام الأبجدية العربية أبو عمرو الشيبانى وابن فارس القزوينى . والزمخشرى.

٢- وفرة المواد اللغوية التى اشتمل عليها ، نظرا لما جمعه فيه مؤلفه مما ورد فيما تقدمه من المعاجم مثل : الجمهرة لابن دريد ، والتهذيب للأزهرى ، والمحكم لابن سيده ، والصحاح للجوهرى ، والنهاية فى غريب الحديث لابن الأثير الجرزى ، وأمالى ابن برى على صحاح الجوهرى ، بحيث بلغ مجموع موادة اللغوية زهاء الثمانين ألف مادة .

٣- اشتماله على الكثرة الوافرة من القواعد النحوية والقضايا الصرفية ، مع شرحها شرحا وافيا مستفيضا ، ضمانا لإجلاء معنى المادة العلمية ، وبيان أوجه استخدامها فى اللغة ، نحو قوله فى مادة (أرم) : «... وقيل : الأُرَّمُ : أطراف الأصابع . ابن سيده : وقالوا : هو يعلك عليه الأُرَّمَ ، أى : يصرف بأنيابه عليه حنقا ، قال :

أُنْبِئْتُ أَحْمَاءَ سلْمَى إِنَّمَا[1]
أَضموا غِضَاباً ويَحْرُقُونَ الأُرَّمَا
أنْ قُلتُ : أسْقَى الحرَّتَيْنِ الدِّيما

قال ابن برى : لا يصح فتح (إنما) إلا على أن تجعل (أحماء) مفعولا ثانيا ، بإسقاط حرف الجر ، تقديره : نبئت عن أحماء سلمى أنهم فعلوا ذلك ؛ فإن جعلت (أحماء) مفعولا ثانيا ، من غير إسقاط حرف الجر ، كسرت (إنما) لاغير ، لأنها المفعول الثالث»[2] ..

وقوله أيضا فى مادة (أرك) : «... وهى إبل أرَاكَى وأَرِكة ، وكذلك طَلاحَى وَطلحة ، وقَتَادَى وقَتِدة ، ورَمَاثَى ورَمِثَة .. وقال بعض الرواة : أرِكت الناقة أرَكًا

(١) يروى البيت بلفظة (نبئت) ، وبفتح همزة (إنما).
(٢) لسان العرب : ٦٥ .

فهى أرِكة ، مقصور ، من إبل أرُك وأوارِك ، أكلت الأراك ، وجمع (فَعِلَةٌ) على (فُعُلٍ) و (فَوَاعِلٍ) شاذ .»[1] ..

٤- اهتمامه بالنص على اللغات الواردة فى شرح المادة اللغوية ، ثم نسبتها إلى أصحابها ، وذلك نحو قوله فى مادة (جزى) :«ويقال : جزت عنك شاة ، أى : قضت ، وبنوتميم يقولون : أجزأت عنك شاة – بالهمز– أى : قضت»[2] وقوله أيضا فى مادة (تبة) :«التابوه : لغة فى التابوت ، أنصارية[3] ، قاله ابن جنى : وقد قرئ بها ، قال : وأراهم غلطوا بالتاء الأصلية ؛ فإنه سمع بعضهم يقول : قعدنا على الفرأه ، يريدون : على الفرات»[4] .

وقوله أيضا فى مادة (أنن) :« قال أبو اسحق : والحجة فى (إن هذان لساحران)[5] – بالتشديد والرفع – أن أبا عبيدة روى عن أبى الخطاب أنه لغة لكنانة ، يجعلون (ألف) الاثنين فى الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد ، يقولون : رأيت الزيدان ؛ وروى أهل الكوفة والكسائى والفراء : أنها لغة لبنى الحارث بن كعب»[6] .

٥- العناية بذكر وجوه القراءات للآيات القرآنية التى ترد فى شرح المادة اللغوية ، مع نسبة كل قراءة لقارئها ، نحو قوله فى مادة (أنن) أيضا :« قرأ المدنيون والكوفيون إلا عاصما (إنَّ هذان لساحران). وروى عن عاصم أنه قرأ (إنْ هذان) بتخفيف (إن) ، وروى عن الخليل (إن هذان لساحران) . وقرأ أبو عمرو (إنَّ هذين لساحران) بتشديد (إن) ونصب (هذين) »[7] .

---

(١) لسان العرب : ١/٦٤ .

(٢) المصدر السابق : ١/٦٢١ .

(٣) لعل المصنف يقصد بلفظة (أنصارية) إلى أن هذه العبارة مما روى عن أبى زيد الأنصارى .

(٤) لسان العرب : ١/٤٢٠ .

(٥) سورة طه : من الآية ٦٣ .

(٦) لسان العرب : ١/١٥٦ .

(٧) المصدر السابق .

وقوله كذلك فى مادة (أنّ) : «قال سيبوية : وليس (أنّ) كـ (إنّ) ، (إنّ) كالفعل و (أنّ) كالاسم ، ولا تدخل (اللام) مع المفتوحة ، فأما قراءة سعيد بن جبير (إلا أنهم ليأكلون الطعام)[1] – بالفتح – فإن (اللام) زائدة كزيادتها فى قوله :

* لَهِنَّك فِى الدُّنْيَا كَبَاقِيَّةِ العُمْرِ *

٦- شرح النصوص التى يستشهد بها فى شرح المادة اللغوية – من شعرٍ أو نثر – حتى يتضح معنى المادة من خلال السياق الذى ترد فيه ، وهذا أبين وأظهر للمعنى ، كما فى قوله فى مادة (أرك) : «... الإبل الأوارك : التى اعتادت أكل الأراك .. وقد أَرَكَتْ أُرُوكا : إذ الزمت مكانها فلم تبرح ، وقيل : إنما يقال أركت إذا أقامت فى الأراك ، وهو الحمض ... قال كثير:

وَإِنَّ الَّذِي يَنْوِي مِنَ المَالِ أَهْلُهَا ... أَوارِكُ لَمَّا تَأْتَلِفْ وَعَوَادِي

يقول : إن أهل عزة ينوون ألا يجتمع هو وهي ، ويكونان كالأوارك من الإبل والعوادى فى ترك الاجتماع فى مكان . وقيل : العوادى : المقيمات فى العضاة لا تفارقها ، يقول : أهل هذه المرأة يطلبون من مهرها ما لا يمكن أن تأتلف الأوارك والعوادى وتجتمع فى مكان واحد»[2] ..

٧- مراعاة الأمانة العلمية ، ويبرز ذلك فى عزو النصوص إلى قائليها ، إما بذكر اسم القائل ، أو بذكر المصنف الذى نقل منه ، إذا كان من الشهرة بحيث يغنى عن ذكر صاحبه ، وذلك نحو قوله فى مادة (جوح) : «.... الأزهرى عن أبى عبيد : الجائحة : المصيبة تحل بالرجل فى ماله فتجتاحه كله . قال ابن شميل : أصابتهم جائحة : أى سنة شديدة اجتاحت أموالهم فلم تترك لهم وجاجا . ابن الأعرابى : جاح يجوح جوحا إذا هلك مال أقربائه ، وجاح يجوح إذا عدل عن الحجة إلى غيرها ، وترك بفلان جائحة من الجوائح ؛ وروى الأزهرى عن الشافعى

---

(١) المصدر نفسه : ١٥٧ .

(٢) لسان العرب : ١/٦٤ .

قال : جماع الجوائح كل ما أذهب الثمر ، أو بعضها من أمر سماوى بغير خباية آدمى ... وقال أبو منصور : والجائحة تكون بالبَرَدِ يقع من السماء إذا كبر حجمه فكثر ضرره ، وتكون بالبرد المحرق أو الحر المفرط ؛ قال شمر ، وقال اسحق : الجائحة إنما هى آفة تجتاح الثمر سماوية ... أبو عمرو : الجوح : الهلاك . الأزهرى فى ترجمة جَحَا : الجائح : الجراد (عن ابن الأعرانى) »[1] ..

وأما الاكتفاء بذكر المصنف فمثل قوله فى مادة (بهم) : «الجوهرى : وبُهْمَى نبت ، وفى المحكم : والبهمى نبت ، قال أبو حنيفة : هى خير أحرار البقول رطبا ويابسا »[2] وقوله فى مادة (بهن) : «البهنانة : الضحاكة المتهللة ... وقيل : البهنانة : الطيبة الريح ، وقيل : الطيبة الرائحة ، الحسنة الخلق ، السمحة لزوجها وفى الصحاح : الطيبة النفس والأرج ، وقيل : هى اللينة فى عملها ومنطقها »(١) وقوله كذلك فى مادة (بهوز) : «التهذيب فى الرباعى : البهاويز من النوق والنخيل الجسام : الصفايا . الواحدة : بهوازة»[3] ..

٨- تصديره بموضوعين هامين لكل مشتغل باللغة وعلومها ، وهما على صلة أكيدة بموضوع الكتاب أيضاً ، بل يعدان توطئة وتمهيد له :

أولهما : تفسير الحروف المقطعة فى أوائل سور القرآن الكريم[4] ..

الثانى : ألقاب الحروف ، وطبائعها ، وخواصها[5] ..

حيث عالج فى الموضوع الأول معانى هذه المفتتحات للسور القرآنية ، وسرد ما قيل حولها من آراء ، فضلا على كونه نوعاً من التبرك أن يصدر به هذا العمل العظيم . أما فى الثانى فقد بين أن الحروف منها المجهور والمهموس ، والشديد والرخو ، وبيان مخرج كل حرف ومنتهاه ، وما يختص به من الأصوات .

---

(١) المصدر السابق : ٧١٩/١ .

(٢) لسان العرب : ٣٧٨/١ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٧٤/١ .

(٤) لسان العرب : ١٤/١ .

(٥) المصدر السابق : ١٧/١ .

نقود ومآخذ

على لسان العرب

على الرغم من أن كل لغوى يعمد إلى تأليف معجم من المعاجم ، يضع نصب عينيه أن ينقيه مما وجه إلى سابقه من نقود ، وأن يجعله مبرءا مما أخذ على سابقه من مآخذ ، ولاسيما أن (لسان العرب) لابن منظور يعد من المعاجم المتأخرة التى راعى فيه مؤلفه أن يجيء خلوا من كل نقاط الضعف التى اشتمل عليها كل المعاجم السابقة ؛ إلا أنه لا يعدم أن يجد نقدا يوجه إليه ، أو مأخذا يؤخذ عليه ، ومن أمثلة ذلك :

١- عدم التزامه نظاما معينا فى ترتيب الصيغ والمشتقات التى ترد فى شرح المادة اللغوية ، أدى إلى إهمال كثير من الصيغ ، وسقوط كثير من المشتقات ، مما يدفع بالباحث أو الدارس إلى البحث عنها فى المعاجم الأخرى .

٢- وفرة المادة اللغوية ، والإسهاب فى شرحها ، مع عدم سلوك نهج معين فى عرضها ، يجعل الباحث مضطرا إلى قراءة المادة برمتها التى قد تستغرق عدة صفحات ، للعثور على اللفظة المرادة . ولا يخفى ما فى ذلك من ضياع للجهد والوقت .

٣- عدم تخريج الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وبعض الأشعار ، مما يضطر الباحث إلى الرجوع إليها فى مكانها ، وإن كان هذا يدخل فى عمل المحققين ، ولكن ياحبذا لو اكتمل المعجم باستيفائه هذه التخريجات .

٤- عدم إيراد تراجم موجزة لكل من ورد اسمه بالمتن، من الأعلام والعلماء واللغويين ذوى الشأن والمكانة العلمية والاجتماعية ، حتى يمكن التعرف عليهم من خلال المعجم نفسه .

٥- عدم التقديم للمعجم بمقدمة نحوية صرفية مبسطة ، تكون بمثابة توطئة وتمهيد لما سوف يرد بالمعجم من قضايا نحوية وصرفية ولغوية ، كما تكون معينا للباحثين والدارسين على فهم هذه القضايا .

لسان العرب

بين التأثير والتأثر

لم تزل السمة البارزة فى مجال التأليف المعجمى ماثلة ، واعتماد اللاحق على السابق فيه قائماً ، وقد وضح ذلك جليا مفصلاً فى مبحث (طبيعة التأليف فى المعاجم)[1] ، حتى إن ابن منظور ليصرح فى مقدمة معجمه (لسان العرب) بذلك فى صراحة تامة ، واعتراف لا تشوبه مواربة أو تمحل ، حيث يحدد بنفسه المعاجم التى اعتمد عليها فى تأليفه ، وهى : تهذيب اللغة للأزهرى ، والمحكم لابن سيده ، والنهاية فى غريب الحديث لابن الأثير الجزرى ، والصحاح للجوهرى ، وأمالى ابن برى على الصحاح ، فضلا على أن كلا من هذه المعاجم المذكورة كان حملا على سابقه ، وكان مؤلفه مقلدا أو ناقلا عمن تقدم عليه ، إذ يقول ابن منظور : «ولم أجد فى كتب اللغة أجمل من (تهذيب اللغة) لأبى منصور محمد بن احمد الأزهرى ولا أكمل من (المحكم) لأبى الحسن على ابن اسماعيل بن سيده الأندلسى – رحمهما الله – ... فأهمل الناس أمرهما ، وانصرفوا عنهما ، وكادت البلاد – لعدم الاقبال عليهما – أن تخلو منهما ، وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب، وتخليط التفصيل والتبويب . ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، قد أحسن ترتيب مختصره ، وشهره – بسهولة وضعه – شهرة أبى دلف بين باديه .. وهو مع ذلك قد صحف وحرف ، وجزف فيما صرف ، فأتيح له الشيخ أبو محمد بن برى ، فتتبع ما فيه ، وأملى عليه أماليه ، مخرجا لسقطاته ، مؤرخا لغلطاته ؛ فاستخرت الله – سبحانه وتعالى – فى جمع هذا الكتاب المبارك ... ولم أخرج فيه عما فى هذه الأصول ، ورتبته ترتيب (الصحاح) فى الأبواب والفصول»[2] .

---

(١) راجع ص٣٤ من كتابنا هذا .

(٢) مقدمة (لسان العرب) : ١١ ، ١٢ .

مما تقدم يتضح لنا أن ابن منظور – حين عمد إلى تأليف معجمه (لسان العرب) – كان متأثرا بترتيب (الصحاح) لأبى نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى فى ترتيبه لمعجمه (لسان العرب) ، كما تأثر بما اشتمل عليه التهذيب ، المحكم ، والنهاية ، والصحاح ، وأمالى ابن برى ، حين عمد إلى حشو (اللسان) بالمواد اللغوية وشرحها ؛ ثم إنه ليجرد نفسه من كل فضيلة للابتكار أو الابتداع فى معجمه ؛ بل يعزو الفضل إلى ذويه حيث يقول :

« وليس لى فى هذا الكتاب فضيلة أمت بها ، ولا وسيلة أتمسك بسببها ، سوى أننى جمعت فيه ما تفرق فى تلك الكتب من العلوم ؛ وبسطت القول فيه ، ولم أشبع باليسير ، فطالب العلم منهوم ؛ فمن وقف فيه على صواب أو زلل ، أو صحة أو خلل ، فعهدته على المصنف الأول ، وحمده وذمه لأصله الذى عليه المعول ؛ لأننى نقلت من كل أصل مضمونه ، ولم أبدل منه شيئا ، فيقال : فإنما إثمه على الذين يبدلونه ؛ بل أديت الأمانة فى نقل الأصول بالنص ، وما تصرفت فيه بكلام غير مافيها من النص ؛ فليعتد مَنْ ينقل عن كتابى هذا أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة »[1] ..

هذا من حيث تأثر ابن منظور بمن تقدمه من اللغويين فى تأليفه (لسان العرب) أما من حيث تأثيره فيمن أتى بعده ممن تعرض للتأليف فى المعاجم ، فتأسيسا على مبدأ اعتماد اللاحق على السابق فى هذا النوع من التأليف ، يمكن القطع بأن كل من ألف فى المعجم بعد ابن منظور كان عالة عليه ، معتمدا على ما اشتمل عليه معجمه (لسان العرب) ، إما من حيث الترتيب بالنسبة لمن ألفوا على نظام القافية ، أو من حيث المادة اللغوية وشرحها ، أيا كان النظام الذى سلكوه فى ترتيب معاجمهم ؛ فقد ألف مجد الدين الفيروزابادى بعده معجم ، (القاموس المحيط) ثم ألفت كتب على (القاموس) مثل (الجاسوس على القاموس) لأحمد

---

(١) مقدمة (لسان العرب) : ١٢ .

فارس الشدياق ، و(محيط المحيط) للمعلم بطرس البستانى ، و(تاج العروس فى جواهر القاموس) للزبيدى .

أما من حيث المادة اللغوية وشرحها ، فلا ريب أن كل من ألف معجما بعد ابن منظور قد استقى مادة معجمه من (لسان العرب) ، حيث هو منتهى المعاجم المتقدمة ، التى أفرغت مادتها العلمية فيه ، حتى إن الفيروزابادى ليصرح فى مقدمة معجمه (القاموس المحيط) ، أنه أخذ مادة معجمه من كل المعاجم السابقة عليه ، وكان آخر المعاجم وأقربها إليه عهدا هو (لسان العرب) لابن منظور ؛ إذ يقول الفيروزابادى فى مقدمة قاموسه أنه «صريح ألفى مصنف من الكتب الفاخرة وسنيح ألفى قلمّس[1] من العيالم الزاخرة»[2] .

وفى هذا الصدد يقول الدكتور حسين نصار عن مؤلف (القاموس المحيط) : «كان يرجع إلى التهذيب والعباب ، والصحاح ، والمحكم ، والجمهرة ، والعين ؛ ولكن هل رجع إلى هذه المعاجم كلها مباشرة ، أو استقى منها عن طريق المعاجم الأخرى؟

أما (العين) فالأرجح أنه استقى منه عن طريق غير مباشر ، وهذا الطريق هو : العباب ، والتهذيب، والمحكم ، وخاصة أن أكثر الصيغ والمعانى الواردة عن (العين) لا ترد عنه وحده ، بل لابد أن توجد فى أحد هذه الكتب أيضا . ويغلب على الظن أنه أخذ (الجمهرة) أيضا عن طريق المحكم ، وقد عرفنا منذ زمن أن هذا المعجم أفرغ العين والجمهرة فيه على وجه التقريب ؛ أما التهذيب والصحاح ، فكان من اليسير عليه الرجوع إليهما ، ولكن يبدو أنه كان يأخذهما عن طريق العباب والتكملة»[3] .

---

(١) القَلَمّس : السيد . وهذا مما زيدت فيه اللام ، وهو من القَمْس والقاموس ، وهو معظم الماء (المقاييس : ٥/١١٦)

(٢) مقدمة (القاموس المحيط) : ١/٧ .

(٣) المعجم العربى : ٢/٥٤٧ – ٥٤٨ .

ثم يعقب عليه الدكتور محمد أحمد أبو الفرج بقوله : «وهذا النص ، ولو أنه أساسا عن (القاموس المحيط) فإنه تعبير واضح عن مقدار اعتماد المعاجم العربية - لاحقها على سابقها - حتى إنها لتنقل نصا من كثير من الأحيان» [١] ..

(١) المعاجم العربية : ٢٩

القاموس المحيط
للفيروزآبادى

ومن المعاجم اللغوية التى صنفت فى العربية على نظام القافية ، أو مايلذ لبعض اللغويين المحدثين أن تسمية : نظام الباب والفصل ، معجم (القاموس المحيط) للفيروزآبادى .

وقد ثبت فيما تقدم أن أول من أطلق مصطلح (القاموس) على معجمه هو الفيروزآبادى ، وأن لفظة (القاموس) تعنى فى اللغة : البحر الواسع ، أو المحيط الأعظم .

كما أوضحنا أن غالبية اللغويين من مؤلفى المعاجم ، كانوا يعمدون إلى تسمية معاجمهم بما يرادف لفظ (البحر) من الأسماء ، فضلا عما يزيدونه عليه الاتساع ، والإحاطة ، والعمق ، والعِظم ، إيحاء بما يشتمل عليه من الجواهر والدرر والأصداف وكثير الفائدة ، وعظيم النفع ؛ وقدمنا الأمثلة على ذلك بمعجم (المحيط) للصاحب بن عباد ، ومعجم (العباب الزاخر) للصاغانى ، ومعجم (المحكم والمحيط الأعظم) لابن سيده ، حتى إن أبا حيان الأندلسى قد ذهب إلى تسمية تفسيره (البحر المحيط) ، ثم سمى مختصره (النهر الماد من البحر)[1] ..

ونظرا لشهرة (القاموس المحيط) بين اللغويين ، وسعة انتشاره بين الباحثين والدارسين ، أصبح مصطلح (القاموس) مرادفا لمصطلح (المعجم) ، بل تقدم عليه واحتل مكانة ، وأصبح مصطلح (القاموس) علماً على كل معجم لغوى مهما كان نوعه وتخصصه .

---

(١) انظر كتابنا هذا : ص ٢٣ .

ونظرا لما توفر للقاموس المحيط من ميزات ، خلت فيها المعاجم الأخرى ، كالإيجاز فى معالجة المواد اللغوية ، والدقة فى تخير الألفاظ وترتيبها ، ومراعاة الضبط الدقيق للصيغ والمترادفات ، فقد نال ثقة الجمهور من اللغويين ، وذاع صيته بين العلماء ، وزاد انتشاره وكثر تداوله بين الباحثين والدارسين . حتى مدحه أحد الأدباء بقوله :

مُذْ مَدَّ مجد الدين في أيامه من بعض بحر علومه القاموسا

ذهبت (صحاح) ، الجوهرى وكأنها سحر المدائن حين ألقى موسى[1]

الفيروزآبادى:

الإمام أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم بن عمر الشيرازى ، اللغوى المعروف بالفيروزابادى ، نسبة إلى قرية (فيروزآباد) إحدى قرى فارس التى منها والده وجده[2] ، وقيل : إن (فيروزاباد) كانت تطلق على إقليم (شيراز) كله فى ذلك الوقت[3] .

ولد الفيروزابادى فى قرية (كازرين) من أعمال (شيراز) ببلاد فارس سنة ٧٢٩ هجرية ، بعد وفاة ابن منظور مؤلف معجم (لسان العرب) بثمانى عشرة سنة وقد عرف منذ نعومة أظفاره بقوة الحفظ والاستظهار ، وتوقد الذهن ، وحدة الذكاء ، فقد روى أنه حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين ، كما كان يقول عن نفسه : «ما كنت أنام حتى أحفظ مائة سطر»[4] ..

وقد تلقى الفيروزابادى علومه الأولى عن والده ، وعن شيوخ مشهود لهم بالعلم

---

(١) المزهر : ١/١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) دراسات فى المعجمات العربية للدكتور ناجح عبدالحافظ : ١٠٨ .

(٣) دراسات فى المعاجم العربية للدكتور أمين فاخر : ٧٤ .

(٤) بغية الوعاة : ١/٢٧٣ .

الغزير ، والفضل الوفير في شيراز ، منهم : القوام عبدالله بن محمود ، الشريف عبدالله بن بكتاش ، كما أخذ عن قاض بغداد ، وسمع صحيح البخاري من محمد بن يوسف الرندي ، كما أخذ علوم اللغة من ابن الخباز ، وابن القيم ، وابن الحموي ، وغيرهم[1] .

رحيله في سبيل العلم:

بعد أن نهل الفيروزابادى من العلم في (شيراز) ما شاء له أن ينهل ، أخذ في التنقل والترحال إلى مختلف البلدان سعيا وراء التزود بالعلم ، حيث انتقل إلى (واسط) ، ثم غادرها إلى (بغداد) ، كما ارتحل إلى مصر ، والشام ، وتركيا ، واليمن ، ثم انتهى به المطاف إلى الهند ، حيث تلقاه ملكها الأشرف (اسماعيل بالبشر والترحاب ، وأكرم وفادته ، وزوجه ابنته ، فأقام بها حتى وافاه الأجل سنة ٨١٧هجرية[2] .

مكانته العلمية :

كان الفيروزآبادى على علم تام بعلوم الفقه ، والحديث ، والتفسير ، والتراجم كما كان بحرا لا يسبر غوره ، وفارسا لا يشق له غبار في علوم اللغة ، حتى كان يعد من كبار علماء القرنين الثامن والتاسع الهجريين ، وأرسخهم قدما في العلوم اللغوية والدينية .

---

(١) الضوء اللامع : ١٠/٨٦ .

(٢) دراسات في المعاجم العربية : ٧٤ .

آثاره :

روى أن الفيروزآبادى كان إذا سافر يصطحب معه عدة أحمال من الكتب ، يخرج أكثرها فى كل منزلة وينظر فيها ، ثم يعيدها إذا رحل[1] وقد ذكر السيوطى أنه ألف واحدا وعشرين مؤلفا - بين موجود ومفقود - منها معجمه المشهور (القاموس المحيط) ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١- بصائر ذوى التمييز فى لطائف كتاب الله العزيز .

٢- المقياس فى تفسير ابن عباس .

٣- الروض المسلوف فيما له اسمان إلى الألوف .

٤- الجليس الأنيس فى أسماء الخندريس . (ألفه لخزانة السلطان الأشرف شعبان) .

٥- تحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين .

٦- البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة .

٧- المثلث المتفق المعنى .

٨- الإشارات إلى ما فى كتب الفقه من الأسماء والأماكن واللغات[2] .

الهدف من تأليف (القاموس المحيط):

يحدد الفيروزآبادى الهدف الذى من أجله قام بتأليف معجمه (القاموس المحيط) فى مقدمته ، حيث يقول : «وكنت برهة من الدهر ألتمس كتابا جامعا صحيحا بسيطا ، ومصنفا على الفُصَح والشوارد[3] محيطا ؛ ولما أعياني الطلاب،

---

(١) الضوء اللامع : ١٠/٨٧ .

(٢) بغية الوعاة : ١/٢٧٣ .

(٣) الفُصَح : جمع فصيح ، والشوارد : اللغات الحوشية الغريبة الشاذة .

شرعت فى كتابى الموسوم بـ (اللامع المُعْلَم العُجَاب الجامع بين المحكم والعباب)[1] فهما غرتا الكتب المصنفة فى هذا الباب ، ونَيْرا[2] براقع الفضل والآداب ، وضممْت إليهما زيادات امتلأ بها الوطاب[3] واعتلى منها الخطاب ؛ ففاق كل مؤلف فى هذا الفن هذا الكتاب ، غير أنى خمنته فى ستين سفراً ، يعجز تحصيله الطلاب ؛ وسئلت تقديم كتاب وجيز على ذلك النظام ، وعمل مفرغ فى قالب الإيجاز والإحكام ، مع التزام إتمام المعانى ، وإبرام المبانى ؛ فصرفت صوب هذا القصد عنانى ، وألفت هذا الكتاب محذوف الشواهد ، مطروح الزوائد ، معربا عن الفُصَح والشوارد ، وجعلت – بتوفيق الله – زُفَراً فى زِفر[4] ، ولخصت كل ثلاثين سطرا فى سطر ، وضمنته خلاصة ما فى العباب والمحكم ، وأضفت إليه زيادات مَنَّ الله تعالى بها وأنعم» .

---

(١) المُعْلَم : الثوب النفيس ، والبرد المخطط . المحكم : معجم لابن سيده ، العباب الزاخر : معجم للصاغانى .

(٢) النِّيران : خيطان قويان تشد بينهما خيوط الثوب عند نسجه . والمعنى : أن المحكم والعباب هما الأساسان اللذان قامت عليهما دعائم الفضل والآداب . وقد وهم محققوا كتاب (المزهر) للسيوطى فضبطوا لفظة (نيرا) بتشديد (النون) ، ثم تمحلوا لذلك ، فذهبوا إلى تفسير لفظة (براقع) بالسماء حتى تناسب لفظة (النيران) ، ومن ثم قالوا فى تفسير عبارة الفيروزابادى : «والمعنى : أنهما – أى المحكم والعباب – النيران المشرقان الطالعان فى سماء الفضل والآداب» ، ولا يخفى ما فى هذا من تمحل وإيهام وخلط ، حيث إن السماء التى يقال لها (بِرْقِع) – بكر الباء والقاف ، بينهما راء ساكنة – إنما هى السماء السابعة فقط ، على ما قاله أبو على الفارسى ؛ أو هى السماء الرابعة فقط ، على ما رواه الأزهرى عن الليث ، وأما سماء الدنيا فيقال لها (الرَّقيع) وهى التى فيها المجرة بما فيها النيران : الشمس والقمر .

ومما رواه الأزهرى أيضا عن الليث قوله : «(بِرْقَع) – بكسر الباء وفتح القاف – اسم من أسماء السماء جاء على (فِعْلَلٍ) . وهو غريب نادر» .

ولم يقل أحد (براقع) جمعاً لـ (بِرْقَع) ، إذ ليس هنا أكثر من سماء سابعة ، ولا أكثر من رابعة .

(راجع فى ذلك : لسان العرب : ١/٢٦٤ ، ٢٦٥ «مادة – برقع») .

(٣) الوطاب – بكسر الواو – جمع (وطب) وهو : الظرف أو الخُرْج .

(٤) الزفر – كعدد – : البحر ، والزفر – بكسر الزاى – القربة .

ثم قال : «ولما رأيت إقبال الناس على صحاح الجوهرى ، وهو جدير بذلك ، غير أنه فاته ثلثا اللغة أو أكثر ، إما بإهمال المادة ، أو بترك المعانى الغريبة النادة[1] ؛ أردت أن يظهر للناظر – بادئ ذي بدء – فضل كتابى عليه ، ونبهت فيه على أشياء ركب الجوهرى – رحمه الله – فيها خلاف الصواب ، غير طاعن فيه ، ولا قاصداً بذلك تنديداً له ، وازدراء عليه ، وغضا منه ؛ بل استيضاحا للصواب ، واسترباحا للثواب ، وتحذرا وحذارا من أن ينمي إلى التصحيف ، أو يعزى إلى الغلط والتحريف ؛ واختصصت كتاب الجوهرى من بين الكتب اللغوية – مع ما فى غالبها من الأوهام الواضحة ، والأغلاط الفاضحة – لتداوله واشتهاره بخصوصه ، واعتماد المدرسين على نقوله ونصوصه»[2] ..

مما تقدم هذا الذى ساقه الفيروزابادى فى مقدمة معجمه (القاموس المحيط) نستشف الهدف الذى كان يرمي إليه من تأليفه لهذا المعجم ، والذى يتبلور فيما يلى :

١– أنه أراد أن يخرج للناس معجماً صحيحاً شاملاً ، يجمع اللغة ويستقصيها بطريقة حاصرة ، سواء فى ذلك الألفاظ الفصيحة ، والألفاظ الشاذة الغريبة .

٢– يكون من البساطة واليسر بحيث يسهل على الطلاب والباحثين الوقوع على المادة اللغوية وشرحها من أقرب طريق ، بعد أن رأى أن الناس قد انصرفوا عن أمهات الكتب كالتهذيب والمحكم والعباب ، إما لسوء الترتيب ، وإما للإفاضة فى الشرح ، مما يسبب للباحث والدارس صعوبة ، فلا يصل إلى ما يريد بسهولة ويسر .

٣– يكون صغير الحجم سهل التناول مختصر ، مضمنا خلاصة ما فى

---

(٧) النادة : الشاردة النافرة .

(٧) انظر : مقدمة (القاموس المحيط) ، والمزهر : ١/١٠١ ، ١٠٢ .

معجمى المحكم لابن سيده ، والعباب الزاخر للصاغانى ، بعد حذف شواهدهما ، وطرح زوائدهما .

٤- تتبع (صحاح) الجوهرى بالنقد والاستدراك ، لما رأى اقبال الناس عليه ، مع أنه فاته ثلثا اللغة أو أكثر ، والتنبيه على المواطن التى جانب الجوهرى فيها الصواب .

وقد ورد بشرح ديباجة (القاموس المحيط) ، ما نقله الأستاذ نصر الهورينى عن المناوى ، ومرتضى الحسينى ، من أن بعضهم نقل عن خط الفيروزابادى نفسه أنه كتب على ظهر كتابه : «أنه لو قدِّر له تمامه لكان فى مائة مجلدة» [١].

---

(١) انظر : شرح ديباجة القاموس : ١٤ .

منهج الفيروزآبادى
فى القاموس المحيط

نزل الفيروزابادى إلى ميدان التأليف المعجمى ، والساحة يتنازعها نظامان من التأليف :

أ) نظام التقليبات – بنوعيه – الصوتية . ويمثلها (العين) للخليل بن أحمد ، و (البارع) لأبى على القالي ، و(تهذيب اللغة) لأبى منصور الأزهرى ، و(المحيط) للصاحب بن عباد ، و(المحكم والمحيط الأعظم) لابن سيده الأندلسى ؛ والهجائية ، ويمثلها (جمهرة اللغة) لأبى بكر بن دريد .

ب) نظام القافية ، أو نظام الباب والفصل ، ويمثلها (ديوان الأدب) للفارابي و(تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهرى ، و(العباب) و (التكملة والصلة والذيل) للصاغانى ، و (لسان العرب) لابن منظور .

ونظرالما وجه لمدرسة التقليبات – بنوعيها – من نقود ومآخذ تتعلق بصعوبة البحث فيه ، ومشقة الوقوع على المادة اللغوية المرادة ، فقد ارتضى الفيروزابادى أن يلتزم فى تأليف معجمه نظام القافية ، أو ما يعبر عنه البعض باسم (نظام الباب والفصل) ، مقتفيا فى ذلك أثر الجوهرى فى معجمه (تاج اللغة وصحاح العربية) ، ويتبلور هذا المنهج الذى التزمه الفيروزابادى فيما يلى :

١– راعى الفيروزابادى الرجوع باللفظة إلى حروفها الأصلية ، سواء من حيث التجرد والزيادة ، أو من حيث الصحة والعتلال .

٢– التزم نظام القافية فى ترتيب المواد اللغوية ، بأن جعل الحرف الأخير بابا ، والحرف الأول فصلا ، ثم رتب الألفاظ داخل الفصل الواحد بحسب الحرف الثانى إذا كانت المادة ثلاثية ، ثم بحسب الحرفين الثالث والرابع إن كانت رباعية أو خماسية ، فمثلا لفظة (جاء) نجدها فى باب الهمزة فصل الجيم ، ولفظة (اتقى) نجدها فى باب الياء فصل الواو ، إذ أصلها (وقى) ، ولفظة (جعفر)

نجدها فى باب الراء ، فصل الجيم ، ولفظة (سفرجل) نجدها فى باب اللام فصل السين ، ولفظة (سمرقند) نجدها فى باب الدال فصل السين .. الخ .

٣- وبناء على ما تقدم فقد قسم الفيروزابادى معجمه إلى ثمانية وعشرين بابا بحسب الحرف الأخير من المادة الأصلية ، ثم قسم كل باب إلى ثمانية وعشرين فصلا بحسب الحرف الأول ، إلا أنه قد لا يكتمل عدد الفصول الثمانية والعشرين فى باب من الأبواب ، بل قد يسقط فصل أو أكثر بحسب ما هو موجود فى اللغة من المواد .

٤- راعى الفيروزابادى التركيز والاختصار فى معجمه ماوجد إلى ذلك سبيلا ، وذلك لتسهيل البحث فيه ، وتيسير الوقوع على المادة المرادة وشرحها ، وقد تبلور هذا الاختصار فى مظاهر بعينها ، نذكر منها :

أ) وضع رموزا تشير إلى المعانى المختلفة ، فالرمز (م) يشير به إلى أن الشئ معروف لا يحتاج الى مزيد بيان وتوضيح ؛ والرمز (ع) يشير به إلى الموضع ، والرمز (ج) يشير به الى الجمع ، والرمز (جج) يشير به إلى جمع الجمع ؛ والرمز (ججج) يشير به إلى جمع جمع الجمع ؛ والرمز (ة) يشير به إلى القرية ؛ والرمز (د) يشير به إلى البلد ، والرمز (خ) يشير به إلى البخارى المحدث ، والرمز (خ م) يشير به إلى البخارى ومسلم ؛ والرمز (ل) يشير به إلى الجبل .

ب) إذا ذكر صيغة للمذكر ، وكان له مواقف من لفظه ، أشار إليه بقوله (وبالهاء) أى : وأنثى هذا المذكر بالهاء ، دون إعادة صيغة المذكر نحو قوله فى باب (الباء) فصل (الهمزة) : «والأرنب : جرز قصير الذنب كاليرنب ، وضرب من الحلى ، وامرأة ؛ و (بهاء) طرف الأنف[1]» ، وقد لا يلتزم بذلك فى بعض الأحيان إذ قد ينص على المؤنث نحو قوله فى باب (الباء) فصل (الثاء) : ثعلب ، الأنثى ثعلبة[2].

---

(١) انظر : القاموس المحيط : باب الباء ، فصل الهمزة (مادة : أرنب) .

(٢) القاموس المحيط : باب الباء فصل الثاء (مادة : ثعلب) .

حـ) عند عرضه للجمع ، لا يذكر ما يجمع من وزن (فاعل) المعتل العين على (فُعَلة) ، إلا ما تصح عينه نحو : جُوَلَة ، وخُوَلة[1] ؛ وأما ما تعل عينه ، فلا يذكره نظرا لاطراده .

د) اتبع نظاما معينا فى ضبط الألفاظ – أسماء كانت أو أفعالا – فالأسماء يجردها من الحركات للدلالة على أنها مفتوحة (الفاء) ساكنة (العين) ، وإن كانت (العين) مفتوحة ، قال : محركة .

أما الأفعال فإنه إذا ذكر الماضى أو المصدر دون المستقبل ، كان الفعل من باب (كتب) ؛ وإذا ذكر المستقبل دون تقييد ، كان من باب (ضرب) ؛ كما أنه ترك النص على (عين) المضارع إذا كان الفعل من باب (فعَل – يفعُل) بفتح فضم ، واكتفى بذكر الماضى .

هـ) عمد إلى حذف الشواهد وطرح الزوائد ، كما التزم حذف أسماء الرواة واللغويين .

٥– يذكر المشهور أو المقيس من الصيغ أولا ، ثم يتبعه بالغريب أو غير المقيس ، كأن يكون فيها لغات أخرى ، وكذلك إذا ذكر المصادر أو الجموع ، فإنه يقدم المقيس منها – غالبا – ثم يذكر غير المقيس منها بعد ذلك .

٦– خلص الفيروزابادى (الواو) من (الياء) فى ترتيب الفصول داخل الباب ، فعلى الرغم من أنه قد جعل الواو والياء فى باب واحد ، سماه باب (الواو والياء) وجاء ترتيبه فى آخر المعجم قبل الألف اللينة ؛ إلا أنه فى ترتيب الفصول ، جعل فصلا للواو ، وفصلا فى للياء ، وقدم الواو على الهاء ، ثم الياء هكذا : فصل النون يليه مباشرة فصل الواو ، يليه فصل الهاء ، ثم فصل الياء .

وقد ذكر الفيروزابادى أنه فعل ذلك من باب الاحتياط ، وذلك لإحكام الفصل بين ما أوله (واو) وما أوله (ياء) ، وعدم ترك أية فرصة للخلط بينهما .

٧– وقد عنى الفيروزابادى عناية فائقة بالتنبيه على المواد الواوية واليائية الآخر ، خشية اختلاط الأمر على النساخ بالنسبة لحرفى الواو والياء ؛ فقد وسم

---

(١) جُوَلَة : جمع (جائل) ، وخُوَلَة : جمع (خائل) .

عند ذكر هذه المواد حرفى الواو والياء تنبيها عليها ، ومثال ذلك ما أورده فى مادة (رسا) بقوله : «و(رسا) رَسْواً ، رُسُوًّا ..» بفتح الراء وسكون السين فى الأولى ، وبضم الراء والسين وتشديد الواو فى الثانية ؛ وقوله فى مادة (رأى) : «ى (الرؤية) : النظر بالعين وبالقلب ...» .

وإذا وردت المادة الواحدة بالواو وبالياء ، نبه عليها كذلك .

٨- اهتم الفيروزابادى اهتماما كبيرا بضبط الألفاظ والصيغ ، وقد يلجأ إلى الضبط بالحركات ، وقد يكون بذكر المثال نحو قوله : «رأب الصدع كمنع : أصلحه » .

٩- لا يلتزم الفيروزابادى ترتيبا معينا فى شرح ألفاظ المادة اللغوية ، فقد يأتى بالمزيد قبل المجرد ، أو بالاسم قبل الفعل ، أو العكس ، ذلك أنه لم يلتزم بوضع رسم معين للمادة كما تفعل سائر المعاجم ، بل يبدأ المادة أحيانا بالفعل المجرد من الزوائد واللواحق ، وأحياناً يبدأ بما فيه ذلك ، وأحيانا يبدأ باسم الذات ، وأحياناً بالمصدر ، وهكذا .

نماذج تطبيقية
على القاموس المحيط

وبعد أن وقفنا على منهج الفيروزابادى فى تأليف معجمه (القاموس المحيط)، وما ألزم نفسه باتباعه والسير عليه فى ترتيب مواده اللغوية ، يجدر بنا أن نسوق بعض الأمثلة التطبيقية على ماورد بهذا المعجم ، حتى يتضح لنا مدى تطبيق مؤلفه لهذا المنهج الذى أخذ نفسه به .

أ) مادة (ق د م):

فى باب (الميم) فصل (القاف) يقول الفيروزابادى :

«القدم – محركة – : السابقة فى الأمر كالقدمة – بالضم – وكعنب . والرجل له مرتبة فى الخير ، وهى بهاء . والرجل مؤنثة ؛ وقول الجوهرى : واحد الأقدام سهو ، صوابه : واحدة . (ج) أقدام ، وحى ، و (ع) ؛ والشجاع كالقدم – بالضم ، وبضمتين . ورجل قدمة – محركة – وامرأة قدم من رجال ونساء قدم أيضا . وهم ذوو القدم ، وفى الحديث : «حتى يضع رب العزة فيها قدمه» أى الذين قدمهم من الأشرار ، فهم قدم الله للنار ، كما أن الأخيار قدمه فى الجنة ، أو وضع القدم ، مثل للردع والقمع . أى : يأتيها أمر يكفها عن طلب المزيد .

وقدم القوم – كنصر – قدما وقدوما ، وقومهم واستقدمهم : تقدمهم . وقدم – ككرم – قدامة وقدما – كعنب – تقادم فهو قديم ، وقدام – كغراب – (ج) قدماء وقدامى – بالضم – وقدائم .. »(١) .

ب) مادة (ح م د):

وفى باب (الدال) فصل (الحاء) يقول الفيروزابادى :

«الحمد : الشكر ، والرضا ، والجزاء ، وقضاء الحق ؛ حمده – كسمعه –

---

(١) القاموس المحيط : ٤ / ١٦٣ .

حمدا، ومحمِدا، ومحمَدا، ومحمِدةً، ومحمَدة، فهو حمود، وحميد، وهى حميدة .

وأحمد : صار أمره إلى الحمد ، أو فعل ما يحمد عليه ؛ والأرض : صادفها حميدة ، كحمدها ؛ وفلانا : رضى فعله ، ومذهبه ولم ينشره للناس ؛ وأمره : صار عنده محمودا .

ورجل حمْد ، وامرأه حمْدة محمودة . والتحميد : حمد الله مرة بعد مرة ، وإنه لحمَّاد لله – عز وجل –، ومنه محمد، كأنه حمد مرة بعد مرة. وأحمد إليك الله: أشكره، وحماد له – كقطام –: أى حمدا وشكرا، ويحمد –كيمنع– ويُعلم آتى أعلم: أبو قبيلة (ج) اليحامد. وحمدة النار – محركة –: صوت التهابها ...

والمحمدة (ة) بنواحى بغداد ، و (د) بيرقة من نواحى الاسكندرية . والعود أحمد : أى أكثر حمدا ، لأنك لا تعود إلى الشئ غالبا إلا بعد خبرته ، أو معناه أنه إذا ابتدأ المعروف ، جاب الحمد لنفسه ، فإذا عاد كان أحمد ، أى : أكسب للحمد له ، أوهو أفعل من المفعول ، أى : الابتداء محمود ، والعود أحق بأن يحمدوه ، قاله خداش بن حابس فى الرباب ، لما خطبها فرده أبوها فأضرب عنها زمانا ، ثم أقبل حتى انتهى إلى حلتهم متغنيا بأبيات منها :

ألا ليت شعرى يارباب متى أرى   لنا منك نجحا أو شفاء فأشتفى

فسمعت، وحفظت، وبعثت إليه: «أن قد عرفت حاجتك ، فاغْدُ خاطبا»[1] .

حـ) مادة (هـ ج ع) :

وفى باب (العين) فصل (الهاء) يقول الفيروزابادى :

«الهجوع –بالضم– والتَّهجاع: النوم ليلا، أو التهْجاع: النومة الخفيفة. هجع كمنع ، وهم هُجَّعٌ . والهجيع من الليل : الطائفة . والهجع والهجعة بكسرهما ، وكعدد وكتف؛ والمهجع –كمنبر–: الغافل الأحمق ، ومهجع بن صالح، وهجيع بن قيس – كزبير – : صحابيان . وهجع جوعه : كسره ، كأهجعه فهجع ، لازم متعد وطريق تهجع : واسع . وركب هجاع تصحيف ، صوابه هجاج »[2] .

---

(١) القاموس المحيط : باب (الدال) فصل (الحاء) مادة : حمد .

(٢) القاموس المحيط : باب (العين) فصل (الهاء) مادة : هجع .

تعقيب

بعد استعراضنا لهذه المواد الثلاث التى نقلناها من (القاموس المحيط) نلحظ: (أ) أن الفيروزابادى لا يلتزم فى معالجته للمادة اللغوية طريقة بعينها ، فقد يبدأها بذكر الاسم ، وقد يبدأها بذكر الفعل ، وقد يبدأها بذكر المصدر ، ولكنه يحاول أن يتعقبها ، ويتعقب مشتقاتها بالشرح والتفسير والتوضيح.

فمادة (ق د م) قد صدَّرها بالاسم، فقال: «القدم: السابقة فى الأمر»، ثم تلاه بذكر الفعل والمصدر، كما ذكر صيغا أخرى حيث قال: «وقدم -كنصر- قدماً وقدوماً، وقدمهم، واستقدمهم: تقدمهم، وقدم -ككرم- قدامة وقدما -كعنب- تقادم».

أما المادتان الأخريان ، فقد صدرهما بالمصدر. حيث قال في مادة (ح م د): «الحمد: الشكر والرضا ..» ثم ذكر صيغاً أخرى للمصدر فقال : «حمدا ، ومحمِدا ، ومحمَدا ، ومحمِدة ، ومحمَدَة » .

وقال فى مادة (هـ ج ع) : «الهجوع والتهجاع : النوم ليلا ، والهجوع والهجعة » ، ثم تلاه بذكر الفعل حيث قال : «حمده - كسمعه - ، وأحمد ، وحمد الله ، ويحمد ، ويحمد ، ويحمدوه » ، كما قال : «هجع - كمنع - ، وأهجعه فهجع» .

كما نلحظ أنه بعد أن يورد الاسم والفعل والمصدر ، قد يذكر الوصف ، نحو قوله فى المادة الأولى : قديم ؛ وقوله فى المادة الثانية : حمود ، وحميد ، وحميدة ؛ وقوله فى المادة الثالثة : تهجع ، وهجاع .

(ب) تلاحظ أن الفيروزابادى كان يقدم المشهور الفصيح غالبا ، ثم يتبعه اللغات الأخرى، كما يهتم بضبط الألفاظ كثيرا، وقد يكون ضبطه بالحركة كقوله: «القدم محركة ، كقدمة بالضم ، والضمتين ، وقدماء ، وقدامى بالضم » . وقوله: «وحمدة النار محركة». وقوله: «الهجوع بالضم، والهجع والهجعة بكسرهما» .

وقد يكون الضبط بذكر المثال كقوله : «وقدما كعنب ، وقدم كنصر ، وقدم ككرم ، وقدام كغراب». وقوله : «حمد كسمع ، وحماد كقطام ، ويحمد كيمنع » . وقوله : «هجع كمنع ، والمهجع كمنبر» .

(حـ) كثيرا ما يستعمل الرموز للدلالة على المعانى المختلفة ، فقد أشار للجمع بالرمز (ج) كقوله : ج أقدام ، ج قدماء وقدامى وقدائم ، ج اليحامد . كما أشار بالرمز (ة) إلى القرية كقوله : المحمدية (ة) بنواحى بغداد . كما أشار بالرمز (ع) إلى الموضع كقوله: و حي ع. كما أشار بالرمز (د) إلى البلد كقوله : والمحمدية (د) ببرقة من ناحية الاسكندرية . إلى غير ذلك مما أشرنا إليه فى الحديث عن منهجه .

(د) يعرف بالأعلام وبالأماكن ، ولكن فى عبارة موجزة كقوله : ويحمد : أبو قبيلة ، ومهجع بين صالح ، وهجيع بن قيس : صحابيان .

(هـ) قليلا بل نادرا ما يستشهد بالأحاديث النبوية . أو الأشعار ، أو النصوص الأدبية ، على ما يسوقه من شرح للمواد اللغوية .

خصائص (القاموس المحيط) ومميزاته

لا ريب أن معجم (القاموس المحيط) للفيروزابادي ، قد نال من الشهرة وذيوع الصيت ، وسعة الانتشار ، قدرا لم ينله معجم سواه ، وذلك لما توفر فيه من خصائص ، وما اشتمل عليه من مميزات لم يشتمل عليها غيره من المعاجم ، كسهولة حمله ، وغزارة مادته ، ورقة ترتيب مواده ، وتنظيم أبوابه وفصوله ؛ فقد جمع فيه الفروزابادى – على صغر حجمه – ماجمعه غيره من اللغويين في أضخم المعاجم وأكبرها . ويمكن أن نحصر ما اشتمل عليه من الخصائص الفنية ، والميزات المميزة فيما يلي :

أ) احتوائه على مواد لغوية ، وصيغ صرفية كثيرة ، كان قد أهملها مؤلفو المعاجم من أعلام مدرسة القافية ، ونخص بالذكر أبونصر الجوهرى معجمه (تاج اللغة وصحاح العربية) ، حيث يعد رأس هذه المدرسة والذى على يديه اكتملت ، واتضح منهجها ، حيث يقول الفيروزابادى فى ذلك : «لما رأيت إقبال الناس على (صحاح) الجوهرى – وهو جدير بذلك – غير أنه قد فاته نصف اللغة[1] أو أكثر إما بإهمال المادة ، أو بترك المعانى الغريبة النادة ، أردت أن يظهر للناس بادئ ذي بدء – فضل كتابى هذا عليه ، فكتبت بالحمرة المادة المهملة لدية .. »[2] .

ومثال الزيادة التى ضمنها الفيرزابادى (القاموس المحيط) مما فات الجوهرى وغيره ، ما جاء فى باب (النون) فصل (الدال) من مادة (د ع ن) حيث يقول فيها : «الدعن : سعف يضم بعضه إلى بعض ، ويرمل بالشريط ، ويبسط عليه التمر ، وككتف : السئ الخلق ، والغذاء . والمدعن كمكرم ...» [3] ومن يطلع على (القاموس المحيط) يقف – لأول نظرة – على الكثرة الوافرة من هذه الزيادات التى زادها الفيروزابادى ، حيث قد استعاضت المطبعة عن الحمرة التى

---

(١) ورد فى (المزهر) : «قد فاته ثلثا اللغة» . انظر المزهر : ١٠٢/١ .

(٢) انظر : مقدمة (القاموس المحيط) .

(٣) القاموس المحيط : ٢٢٤/٤ .

ميز بها هذه الزيادات ، بخط أفقى يمتد فوق المادة المزيدة ، إذ شملت معظم الصفحات ، وتكررت فى كثير منها[1] وقد أحصى شراح (القاموس المحيط) هذه الزيادات ، فبلغت بالعد والحصر عشرين ألف مادة ؛ وهذا - بلا شك - جهد كبير ، يستحق الفيروزابادى عليه الثناء والتقدير[2] .

ب) عنايته الفائقة بالأعلام من الصحابة والمحدثين والعلماء ، وذوى الشأن فى المجتمع ، وكذا الأماكن والبلدان ، وإن كان يورد ذلك فى ايجاز شديد ، واختصار ملحوظ ، ومثال ذلك ما ورد فى مادة (هـ ج ع) من قوله : «مهجع بن صالح ، وهجيع بن قيس: صحا بيان». وقوله فى مادة (ح ر ث) : «وبنو حارثة : قبيلة ، والحارثيون منهم كثيرون ، وذحرث - كزفر - : ابن حجر ، أو ابن الحرث الرعينى : جاهلى ، وكابر : محمد بن احمد بن حريث البخارى المحدث ... »[3] وقوله فى مادة (م ى س) : « ... وميسون : اسم الزباء الملكة ، وبنت بحدل أم يزيد بن معاوية .. وكدرة (م) بين البصرة وواسط، والنسبة: ميسانى، وميسنانى .. الخ»[4] . وقوله فى مادة (ث و ب) : «.. ومحمد بن عمر الثيبانى المحدث ، وكان يحفظ الثياب فى الحمام ، وثوب بن شحمة : أسر حاتم طيء ؛ وابن النار : شاعر جاهلى ؛ وابن تلدة : معمر ، له شعر يوم القادسية ، وله ثوباه .. ؛ وتثوب - كمقعد - (د) باليمن ؛ وثوب - كزفر - : ابن معين الطائى ، وزرعة بن ثوب المقرئ قاضى دمشق . وعبدالله ابن ثوب : أبو مسلم الخولانى ، وجميح ، أو جميع بن ثوب ، وزيد بن ثوب : محدثون ، والحرث ابن ثوب أيضا .. الخ »[5] .

حـ - اهتمامه الشديد بالنواحى الطبية ، وبيان أثر الحيوان والنبات فى

---

(١) البحث اللغوى عند العرب للدكتور احمد مختار عمر : ١٦٦ ، ودراسات فى المعجمات العربية : ١١٨ .

(٢) انظر : المعاجم العربية للدكتور عبدالسميع محمد احمد : ١٢٤ .

(٣) القاموس المحيط : ١/١٧٠ .

(٤) انظر : القاموس المحيط : ٢/٢٥٣ .

(٥) المصدر السابق : ١/٤٢ .

علاج بعض الأمراض ؛ حيث نجده ما يكاد يذكر اسم حيوان أو نبات ، إلا ويردف بذكر فوائده الطبية ، ومنافعه الصحية . فى دقة تامة ، وتحرٍّ شديد ؛ ومثال ذلك ما أورده فى مادة (م ق ل) من قوله :

«المقل – بالضم – صمغ شجرة ، ومنه هندى وعربى وصقلى ، والكل نافع للسعال ، ونهن الهوام ، والبواسير ، وتنقية الرحم ، وتسهيل الولادة ، وإنزال المشيمة وحصاة الكلية ، والرياح الغليظة ، مدر ، مسمن ، محلل للأورام . والمقل المكى : ثمر شجر الدوم ، ينضج ويؤكل، خشن قابض بارد مقوٍّ للمعدة »[1] .

د) إيثاره الاختصار والإيجاز، مما جعل من أبرز ميزات معجمه (القاموس المحيط) استخدامه الرموز الخاصة للتعبير عن المعانى المختلفة .

هـ) عنايته الشديدة بضبط الألفاظ اللغوية والصيغ الصرفية ضمانا للإيضاح والإبانة ، وأمنا للبس بين المعانى الجزئية الحقيقية منها والمجازية .

و) الاحتياط والاحتراز من فطنة الخلط بين المواد اللغوية مما أوله (واو) وما أوله (ياء) ، وذلك بإحكام الفصل بينهما ، بأن خصص فصلا للواو ، وآخر للياء ، بالرغم من وضعهما تحت باب واحد أسماه : باب الواو والياء[2] .

النقود والمآخذ على «القاموس المحيط»

على الرغم مما تقدم من أن (القاموس المحيط) قد اختص بخصائص معينة ، وامتاز بميزات وافرة ، لم تتوفر لأى معجم سواه ، إلا أنه لا يعدم من يتناوله بالنقد ، ويحصى عليه المآخذ ؛ فقد ألف أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ – ١٨٨٧م) كتابا أسماه (الجاسوس على القاموس) . ساق فيه الكثير من النقود ، وأخذ فيه الجم الغفير من المآخذ على (القاموس المحيط) ، بالرغم من اعترافه بأنه

---

(١) القاموس المحيط : ٥٢/٤ .

(٢) القاموس المحيط : باب (الواو والياء) .

صاحب الفضل عليه فى دراسه اللغة العربية والتبحر فيها . ولكن الأمانة العلميه هى التى دفعته لإبراز ما فى هذا المعجم من مآخذ بعد دراسته دراسة متأنية . ويمكن حصر هذه النقود والمآخذ فيما يلى :

أ) غموض عبارة (القاموس) وإبهامها فى كثير من المواضع ، وخاصة فى المصدر والفعل ، فالفيروزابادى كثيرا ما يستغنى عن ذكر الفصل بذكر المصدر . ويعطف عليه أسماء جامدة ، فلا يستطيع القارئ أن يميز بينهما ، فيظن أنه اسم، والاسم لا يستلزم أن يكون له فعل ، بخلاف المصدر ، فكان الأولى أن يعبر بالفعل ، لأنه لا يلتبس بصيغة أخرى ، وهو الذى غالبا ما يعبر به أئمة اللغة ، فجاء الفيرزابادى مخالفا لجمهور اللغويين .

ب) إغفاله التنبيه على الفصيح والضعيف من اللغات ، كما أغفل التنبيه على أصحاب اللغات واللهجات ، ولعل الذى أوقعه فى ذلك لجوءه إلى الاختصار الشديد ، وإن كان اختصاره هذا يعد حسنة وميزة له ، إلا أنه قد أوقعه فى هذا الأغفال ، ومثال ذلك ما أورده فى باب (الباء) من قوله : «الخزب: الخذف . الخلعية : الهنة المتدلية من وسط الشفة العليا . العشجب : الرجل المسترخى»(١) هكذا دون عزو إلى قبيلة أو بطن من قبيلة ، وكقوله فى باب (الخاء) فصل (الهاء): «الهبيخة: الجارية الفارة الناعمة، والهبيج – كعلمي –: الغلام الناعم » ، وهى لغة حمير ، كما نبه عليه ابن سيده .

حـ) لم يتبع الفيروزابادى نظاما صحيحا فى ذكر معانى المواد اللغوية ، وذلك أن أصحاب المعاجم يقدمون المعانى الحقيقية على المعانى المجازية غالبا ، أو يعدلون عن تفسير الألفاظ بحسب وضعها الأصلى ، ولكنه زاد عليهم كثيرا فى هذا النوع ، فضلا على عدم تمييزه المعانى الحقيقية من المجازية ، وعدم تقييده الأشياء المطلقة ، وتعريفه اللفظ بالمعنى المجهول دون الواضح الصريح ، ومن ذلك قوله فى باب (الهمزة) فصل (الفاء) : «فاء يفيء : ما كان شمسا منينسخه الظل ، والغنيمة ، والخراج ، والقطعة من الطير ، والرجوع ..» ، وحق التعبير أن

---

(١) انظر : الجاسوس على القاموس : ١٣٠ .

يبدأ بالرجوع ، لأن الظل مأخوذ منه ، وقد ابتدأ به الجوهرى تفسير هذه المادة فى (الصحاح) .

د) وقوعه فى أخطاء صرفية ولغوية ، لا تليق بمكانته ، وقد أشار الشدياق إلى بعض منها حين قال : «من المآخذ اللغوية : تعريفه (الحمد) بما لا يتفق مع وجهة نظر الجمهور ، لأنه قال : الحمد : الشكر ، وبينهما فرق ، فقد حكى الشارح عن ثعلب : أن الحمد يكون عن يد ، وعن غير يد ، والشكر لا يكون إلا عن يد ، وقال : قال الأزهرى : الشكر لا يكون إلا ثناء ليد أديتها . والحمد يكون شكرا للصنيعة ، ويكون ابتداء للثناء على الرجل ..» (١)

هـ) إكثاره من الأمور التى لا تتصل باللغة . كذكر الألفاظ الأجنبية ، والمعلومات الطبية ، ومصطلحاتها .

و) عدم الترتيب فى ذكر المشتقات ، إذ يخلط بين الأسماء والأفعال ، ولا يفصل بين المجرد والمزيد .

ز) إغفاله ذكر الأضداد ، وإهماله ذكر القلب والإبدال ، خلافا لما عليه العباب والمحكم والصحاح .

وهذا ما دفع العديد من العلماء واللغويين إلى تناول (القاموس المحيط) بالشرح والتعليق والاستدراك ، على النحو الذى سنتناوله بالتفصيل فى الجزئية التالية .

---

(١) الجاسوس على القاموس : ٧٦ ، والمعاجم اللغوية للدكتور ابراهيم نجا : ١٦٥ .

القاموس المحيط
بين التأثير والتأثر

علمنا – فيما تقدم – أن السمة البارزة التى كانت سائدة بين اللغويين من مؤلفى المعاجم هى : التقليد ، إقتفاء كلٌ أثر سابقه ، وترسم اللاحق خطى السابق ، فقد كان كل من يتصدى للتأليف فى المعاجم حملا على مَنْ تقدمه من المؤلفين ، وقد سبق أن عرضنا تصريح مؤلفى المعاجم بالأخذ عن سابقيهم فى صراحة تامة (١) وقد سار الفيروزابادى – فى تأليفه للقاموس المحيط – على نهج سابقيه من اللغويين مؤلفى المعاجم ، ولم يخرج على إجماعهم ؛ فقد صرح فى مقدمة معجمه ، بأنه أخذ مادته مما اشتمل عليه كل من (المحكم والمحيط الأعظم) لابن سيده . و(العباب الزاخر) للصاغانى كما صرح أيضا باعتماده اعتمادا كليا على معجم (تاج اللغة وصحاح العربية) لأبى نصر الجوهرى ، حيث يقول :

« .. ولما أعيانى الطلاب ، شرعت فى كتابى الموسوم باللامع المعلَم العجاب، الجامع بين المحكم والعباب، فهما غرتا الكتب المصنفة في هذا الباب، ونيْرا براقع الفضل والآداب .. ولما رأيت إقبال الناس على صحاح الجوهرى .. أردت أن يظهر للناظر – بادئ بدء – فضل كتابى عليه ، ونبهت على أشياء ركب الجوهرى – رحمه الله – فيها خلاف الصواب .. استيضاحا للصواب ، واسترباحا للثواب وتحرزا وحذارا من أن ينمى إلىّ التصحيف ، أو يعزى إلىّ الغلط والتحريف.

أما من حيث تأثير (القاموس المحيط) فيما ظهر بعده من المعاجم اللغوية ، فقد كان ذا أثر لا ينكر فى عالم اللغة ، حيث لم يزل من أبرز المعاجم اللغوية العربية المتداولة بين أيدى الطلاب من الباحثين والدارسين ، فضلا على اعتماد

---

(١) المزهر : ١/١٠١ ، ١٠٢ .

كثير من اللغويين – قدامى ومحدثين – على نصوصه ونقوله ، وما ذلك إلا نتيجة لثقة العلماء فيه ، واطمئنان اللغويين إليه .

ولعل من أبرز من اعتمد على (القاموس المحيط) اعتمادا خالصا ، اللغوى الفرنسى اليهودى البولونى الأصل (كازيمرسكى) – ١٧٨٠ – ١٨٦٥ . – فى تأليف معجمه العربى الفرنسى الكبير ، كما اعتمد عليه أيضا فى ترجمته القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية[١] .

وممن اعتمد أيضا على (القاموس المحيط) اللغوى اللبنانى المعلم بطرس البستانى (١٨١٩–١٨٨٣م) حيث اعتمد عليه فى تأليف معجمه المشهد (محيط المحيط) .

هذا فضلا على الدراسات التى قامت حول (القاموس المحيط) ، والمؤلفات التى صدرت بشأنه ، حيث كان بعضها يتناوله بالشرح والتعقيب عليه ، وبعضها يجلى غامضه ، ويصحح ما وقع فيه من أخطاء ، وبعضها يتناوله بالنقد والتفنيد واستكمال ما فاته ، وقد بلغ ما ألف حول القاموس أكثر من أربعة وأربعين مؤلفا[٢]، وعنها يقول الدكتور حسين نصار: «ونستطيع أن نجعل هذه الدراسات فى الأصناف التالية : شرح مصطلحات القاموس ، شرح مقدمته ، تهذيبه ، الاستدراك عليه ، نقده ، حواش ، شروح ، مختصرات ؛ ويضاف إليها كثير من الكتب التى ترجمته إلى الفارسية أو التركية» [٣] .

ولعل من أهم الدراسات التى قامت حول (القاموس المحيط) :

١– «تاج العروس من جواهر القاموس» . للإمام اللغوى محب الدين أبو الغيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطى الزبيدى اليمنى ثم المصرى (١١٤٥ – ١٢٠٥ هـ)[٤] ، وقد ألفه صاحبه شرحا على القاموس ، وتجلية

(١) كلام العرب من قضايا اللغة للدكتور حسن ظاظا : ١٣٧ .

(٢) المعجم العربى للدكتور حسين نصار : ٦٠١/٢ – ٦٣٨ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المعجم العربي بين الماضى والحاضر للدكتور عدنان الخطيب : ٤٣ .

لغامضه ، وإثباتا للمواد اللغوية التى أهملها الفيروزابادى ، وتحقيق ذلك كله تحقيقا علميا ، حيث يقول الزبيدى فى مقدمة كتابه :

«كتاب (القاموس المحيط) للإمام مجد الدين الشيرازى ، أجل ما ألف فى هذا الفن لاشتماله على كل مستحسن من قصارى فصاحة العرب العرباء ، وبيضة منطقها ، وزبدة حوارها .. ولما كان إبرازه فى غاية الإيجاز ، وإيجازه عن حد الاعجاز ، تصدى لكشف غوامضه ودقائقه رجال من أهل العلم ، شكر الله سعيهم ، وأدام نفعهم ...

فلما آنست من تناهى فاتقة الأفاضل إلى استكشاف غوامضه ، والغوص على مشكلاته ، قرعت ظنبوب اجتهادى ، واستسعيت يعبوب اعتنائى فى وضع شرح عليه ممزوج العبارة ، جامع لمواده بالتصريح فى بعض ، وفى البعض بالإشارة ، واف ببيان ما اختلف من نسخه ، والتصويب لما صح منها من صحيح الأصول ، حاو لذكر نكته ونوادره ، والكشف عن معانيه والإنباه عن مضاربه ومآخذه بصريح النقول ، والتقّاط أبيات الشواهد له ، مستمدا ذلك من الكتب التى يسر الله تعالى بفضله وتوفى عليها ، وحصل الاستمداد عليه منها» [1] .

٢- «الجاسوس على القاموس» . للغوى اللبنانى احمد فارس بن منصور الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٨٧م) ، وقد ألفه صاحبه نقد للمعاجم العربية بصفة عامة، حيث وصفها بأنها وراء رمى اللغة العربية بالانحطاط والتأخر ، وعدم ملاءمتها للعصر الحديث ، وتفضيل اللغات الأجنبية عليها ؛ ولما كان (القاموس المحيط) أشهر معجم بين يدى أهل العصر ، فقد صب الشدياق هجومه عليه ، متخذا منه مثالا لعيوب المعجمات العربية عامة ، ليبين أن العيب منه ومن أمثاله ، لا من اللغة واتخذ من هذا الهجوم الشرس وسيلة للمطالبة بحاجتنا الى معجم حديث، يسهل البحث فيه ، ويسير على نمط جديد من التأليف[2] وقد أهدى الشدياق كتابه إلى

---

(١) انظر : مقدمة (تاج العروس من جواهر القاموس) للزبيدى .

(٢) انظر : دراسات فى المعجمات العربية للدكتور ناجح عبدالحافظ مبروك : ١٢٥ .

احمد صديق خان بهادر ، ملك بهوبال الذي عني بالكتاب وطبعه على نفقته الخاصة في مطبعة الجوائب بالأستانة حيث كان الشدياق يتولى إدارتها سنة ١٢٩٩ هـ-١٨٨١م.

وقد بلغ من تحامل الشدياق على (القاموس المحيط) ، وتتبعه بالنقد والتفنيد، إلى حد أنه لم يقصر نقده للقاموس، على الجاسوس فحسب . بل عمد إلى نقده أيضا فى مقدمة كتابه المسمى (سر الليال فى القلب والإبدال) . وهذا شأن كل المستغربين الذين نصبوا من أنفسهم معاول هدم بغية النيل من لغتهم القومية - لغة القرآن الكريم - وتفضيل اللغات الأجنبية عليها ، تنفيذا لاتجاهاتهم المعادية للعرب والمسلمين .

عيوب
مدرسة القافية

على الرغم من أن مدرسة القافية في تأليف المعاجم ، قد قامت بهدف تسهيل العثور على المادة العلمية بين دفتي المعجم ، وتيسير الوقوع على المعاني الأصلية والفرعية للفظة ومشتقاتها، مما كان يمثل جانب الصعوبة في مدرسة التقليبات بنوعيها: الصوتية، والهجائية.

إلا أن هذه المدرسة الثانية لم تعدم نقدا يوجه إليها ، أو مآخذ يؤخذ عليها ، ممايمكن حصره في جانبين :

أ) من حيث المنهج :

مما يؤخذ على مدرسة القافية من جهة المنهج ، أنها تجعل الباحث ينظر إلى اللفظة من عدة أوجه ، إذ ينظر إلي الحرف الأخير ليقف على الباب الذي تندرج تحته ، ثم ينظر ثانيا إلى الحرف الأول ليقف على الفصل الذي تسلك فيه ، ثم يتجه ثالثا إلى حروف الحشو في وسط الكلمة ، ليصرف ترتيبها في الفصل : وفي ذلك تشتيت لذهن الباحث ، وضياع لوقت الدارس ؛ وكان أيسر من ذلك لو جاء الترتيب من جهة واحدة ، كأن يكون الحرف الأول بابا، والحرف الثاني فصلا ، ثم يتدرج الباحث مع حروف اللفظة إلى الحرف الأخير منها ، أو العكس وإن كان الأول أيسر وأسهل لأن النفس تألفه وترتاح إليه.

ب) من حيث ترتيب المادة:

حيث لم يستطع أصحاب مدرسة القافية التخلص من مشكلة الترتيب علي أساس الحروف الأصلية أي بعد الرجوع باللفظة إلى أصلها اللغوي ، بتجريدها

من الزوائد ، ورد المحذوف منها ، ورد الجمع إلى مفرده ، والمؤنث إلى مذكره .
وكذلك نجدهم كثيرا ما يخطئون ، بل يخطئ بعضهم بعضا ، بسبب اختلاف وجهات النظر في أصالة كثير من الحروف . وزيادتها ، فنتج عن ذلك التوهم ، والتخليط ، والتجني ، أحيانا ؛ بل وضع الكلمة في أكثر من موضع ؛ وهذا – بلا شك – يجعل الباحث غير عارف بموضعها في المعجم ، ويصعب عليه الوصول إليها أحيانا[1] .

(١) راجع في ذلك : المعجم العربي للدكتور حسين نصار : ٢/ ٦٨٦– ٦٨٧، ودراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح مبروك : ١٢٧ – ١٢٨.

سعد الباحثون والدارسون أيما سعادة ، بما أعده اللغويون من المعاجم التي اتبعوا في ترتيب موادها اللغوية نظام القافية ، لما وفرته لهم من الوقت والجهد الذي كان يضيع هباء في سبيل الوصول إلى المادة المرادة في المعاجم المرتبة على نظام الأبجدية الصوتية والتقليبات ؛ فقد أقبل الناس علي صحاح الجوهري ، وقاموس الفيروزابادي ينهلون من معينها ، ويعكفون على الاستعانة بها في كل ما يحتاجونه من معاني الألفاظ ومشتقاتها ومرادفاتها.

وكان من نتيجة ذلك أن لقيت مدرسة القافية من الشهرة والذيوع والانتشار مالم تبلغة أية من مدارس المعجمات الأخرى.

ولكن مع كثرة تداول معاجم القافية وتزايد استخدامها ؛ أخذ الناس يلحظون فيها نقصا ، تبلور فيما ساقه اللغويون إليها من نقد . وما أخذوه عليها من مآخذ ، ذلك الذي سبق إيضاحه وتقدم بيانه في «عيوب مدرسة القافية».

فقد أخذوا عليها أنها تؤدي إلى تشتيت ذهن الباحث ، نظرا لانتقاله من الحرف الأخير الذي يمثل (الباب) إلى الحرف الأول الذي يمثل (الفصل) ، ثم إلى الحروف الثاني والثالث والرابع بحسب نوع اللفظة ، مما يسمي بحشو الكلمة.

ومن ثم فقد أصبح الباحثون والدارسون يتطلبون ، ويأملون في أن يخرج لهم اللغوين معجما ، يوفر لهم الوقت والمجهود المبذولين نتيجة تشتيت الذهن بين الحروف هذا . فكان ذلك لافتا لأنظار العلماء واللغويين إلى ابتكار طريقة جديدة ، يسهل معها على الباحث الوصول إلى ما يريد من أقرب طريق ؛ فكانت هذه الطريقة التي عرفت باسم (الهجائية العادية) أو (الألفبائية) وهي ما آثرنا تسميتها باسم (الأبجدية العربية)(١) .

---

(١) راجع صـ ٣٩ (هامش) من هذا البحث.

يقوم نظام الأبجدية العربية على ترتيب المادة اللغوية داخل المعجم تبعا لترتيب حروف الهجاء الذي وضعه نصر بن عاصم الليثي، أو يحيي بن يعمر العدواني وهو (أ ب ت ث ج .. الخ) حيث يقسم المعجم إلى أبواب بحسب هذه الحروف ، فهناك باب (الهمزة) ثم باب (الباء) ثم باب (التاء) ثم باب (الثاء) ثم باب (الجيم) وهكذا إلى باب (الياء).

ثم ترتب في باب (الهمزة) كل المواد اللغوية التي تبدأ بحرف (الهمزة) ؛ وترتب في باب (الباء) كل المواد اللغوية التي تبدأ بحرف (الباء)؛ والتي تبدأ بحرف (الجيم) مثلا، ترتب في باب الجيم ... وهكذا؛

ثم يتم ترتيب المواد داخل كل باب بحسب الحرف الثاني ، إن كانت المادة ثلاثية ، فمثلا لفظة (كتب) ترتب في باب (الكاف) قبل لفظ (كرب) لأن (التاء) سابقة في التريب الهجائي على (الراء) ولفظة (كرب) نفسها مقدمة على لفظة (كعب) لأن (الراء) مقدمة على (العين) في الترتيب الهجائي .

ثم يتم ترتيب المواد داخل كل باب أيضا بحسب الحرفين الثاني والثالث، إن كانت المادة رباعية ، فمثلا لفظة (معشر) ترتب في باب (الميم) قبل لفظة (معصر) لأن (الشين) سابقة في الترتيب الهجائي على (الصاد) ، وترتب لفظة (معمر) بعد لفظة (معصر) حيث إن (الميم) متأخرة على (الصاد) في الترتيب الهجائي.

وترتب المادة داخل الباب بحسب الحروف الثاني والثالث والرابع، إن كانت المادة خماسية، فمثلا لفظة (سفرجل) ترتب في باب (السين) قبل لفظة (سفرعل) لأن (الجيم) سابقة على (العين) في الترتيب الهجائي ، ولفظة (سفرنل) ترتيب بعد لفظة (سفرعل) لأن (النون) متأخرة في الترتيب الهجائي عن (العين) وهكذا إلى آخر المعجم.

وهذا مما جعل الباحثين والدارسين يجمعون على [illegible] هذه الطريقة وأنها تحقق الوصول إلى اللفظة المرادة في سهولة ويسر ، كما تضمن الوقوع على المعنى الموضوع بإزاء المادة اللغوية من أقرب طريق وأخصره ، ويوفر للباحث والدارس الوقت والمجهود اللذين كانا يضيعان سدى بالتزام طريقة الأبجدية الصوتية والتقليبات ، وطريقة القافية.

الأبجدية .. أهي عربية أم ماذا ؟!!

دأب المصنفون في دراسة المعاجم اللغوية العربية – عن بكرة أبيهم – حينما يعرضون لهذه المدرسة المعجمية الثالثة فيما يكتبون ويصنفون ، على أن يطلقوا عليها اسم «مدرسة الأبجدية العادية» .ثم يبدون وكأنهم غير مقتنعين بهذه التسمية أو أن في نفوسهم شيء منها . فيعمدون إلى أن يقرنوها بلفظة (الألفبائية) ، أو أنهم قد أزالوا مايمكن أن يكتنفها من غموض أو لبس.

ولو أمعنوا النظر ، وأذكوا الفكر ، وأجهدوا أنفسهم بعض الاجهاد ، ورجعوا إلي المصادر العربية الأصيلة ، لوقفوا على أن هذه الأبجدية ، عربية سداة ولحمة ، ولاكتفوا بقولهم « مدرسة الأبجدية العربية» ولكان في هذه التسمية من الوضوح والإبانة ما يجنبهم مغبة الايضاح والاحتراز بإضافة كلمة (الألفائية) مما ترتاح له النفس ، ويطمئن معه الفؤاد.

فمعلوم أنه كانت هناك أبجدية لدى الفينيقيين الذين كانوا يقطنون غربي الشام ، وهو لبنان الحالية ، وتنحصر أبجدية الفينيقيين هذه في كلمات أربعة هي: أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، وكان هذا مبلغ حروف اللغة المستخدمة عندهم.

ثم أخذ العرب هذه الأبجدية بكلماتها الأربع ، وزادوا عليها بقية حروف العربية الثمانية والعشرين متمثلة في الكلمات الأربعة : سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ ، فأصبحت الأبجدية متمثلة ومشتملة على كل حروف اللغة العربية هكذا:

أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ.

بهذا الترتيب عند علماء اللغة الشرقيين ، أما المغاربة فيختلفون في ترتيبهم لهذه الأربعة الأخيره اختلافا هينا ، قد يقع في حرف واحد أو حرفين ، إذ نجده

كما يلي : سعفض ، قرصت ، ثخذ ، ظغن ؛ كماشاع في الأندلس ترتيب آخر لهذه الحروف ، ولكنه لا يختلف كثيرا عن الترتيب المشرقي[1] .

ثم لما شاع اللحن في زمن الحجاج ين يوسف الثقفي ، طلب من يحيى بن يعمر العدواني ، وقيل: نصر بن عاصم الليثي[2] ، نقط حروف اللغة ، لتمييز الحروف المتشابهة بعضها من بعض ، فيما سمى بعد ذلك باسم « نقط الاعجام» في مقابلة نقط أبي الأسود الدؤلي المعروف باسم (نقط الاعراب): وبعد أن تمايزت الحروف ، رؤي أن يقرن كل حرف بشبيهه ، بهدف تحقيق المشاكلة بين الحروف حيث انتفت بهذا النقط مظنة الخلط بينها ، فأصبحت على النحو الذي نراها عليه الآن : أ ب ت ث ج ح خ ... إلى الياء.

ألا يحق بعد كل هذا أن تنسب الأبجدية إلى العرب فيطلق عليها اسم «الأبجديةالعربية»؟!!.

بقيت كلمة أخيرة . حول هذه الكلمات التي تجمع حروف العربية ، أهي مجرد كلمات ارتجلها الفينيقيون .ثم نسج العرب على منوالها بقية حروف العربية ، أم أن لهم مرجع قد رجعوا إليه في نقل هذه الكلمات ؟

يقول الإمام مرتضي الزبيدي في كتابه « تاج العروس في شرح القاموس» أن (أبجد) و (هوز) و(حطي) و(قرشت) كانوا من ملوك مدين ، وكان (كلمن) رئيسهم[3] .

---

(١) انظر : المعجم العربي بين الماضي والحاضر للدكتور عدنان الخطيب، بحث نشر بمجلة المجمع العلمي بدمشق جـ٢ م٠٤ ص ١٩٤.

(٢) أرجح أن يكون يحيى بن يعمر العدواني هو الذي قام بنقط الحروف ، لأن الثابت أن نصر بن عاصم أخذ اللغة عن يحيي بن يعمر ، فضلا علي مارواه خالد الحذاء بقوله : « كان لابن سيرين مصحف منقوط ، نقطه يحيي بن يعمر » (انظر طبقات الزبيدي: ٢٩).

(٣) تاج العروس : مادة (بجد).

يقال الزمخشري في كتابه (ربيع الأبرار) أن (أبجد) ويقال: أبا جاد مكان ملك مكة و (هوز) و (حطي) على الطائف ، والباقون كانوا بمدين.

نخلص من ذلك أن هذه الكلمات التي أطلقت لتشمل حروف اللغة ، كا وراءها هدف سام نبيل وهو تخليد أسماء الملوك والرؤساء ، الذين لا ريب أنهم كانوا يسيرون في شعوبهم سيرة حسنة ، وإلا لما آثر العلماء أن يخلدوا ذكراهم على جبين لغتهم التي هي عماد حياتهم وتاريخهم[1] .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل،،

(١) راجع : أخبار النحويين البصريين للسيرافي : ٥٨.

يعد العالم اللغوي أبو المعالى محمد بن تميم البرمكي (٣٧٢-٤٣٣هـ) رائد مدرسة الأبجدية العربية ، وإن لم يكن مبتكرها ؛ حيث يعزي ابتكارها إلى العالم اللغوي أبي عمرو الشيباني ، بتأليفة معجم (الجيم) ، ولكن البرمكي هو الذي دبجها ، وأكملها ، وأخرجها للناس في صورتها النهائية كمدرسة متميزة بين مدارس التأليف المعجمي ، وذلك بتأليفه معجمه المسمي (المنتهي في اللغة).

ولقد سبق أن قلنا أن علماء الحديث كانوا هم رواد الترتيب على حروف الهجاء ، فيما يؤلفون من كتب تتناول أسماء الصحابة وأعلام الرواة ، وذكرنا أن الإمام محمد بن اسماعيل البخاري كان له فضل السبق في هذا المضمار بتأليف كتابه (أسماء الرواة) ، وقيل : أبو يعلي التميمي بتأليف كتابه (معجم الصحابة) ، وقيل : أبو القاسم البغوي بتأليف كتابيه (المعجم الكبير) و (المعجم الصغير) ، وقيل : الإمام الطبراني بتأليفه معاجمه الثلاثة (الكبير) و(الصغير) و (الأوسط)[١] وكذا ابن قتيبة بكتابه (غريب الحديث)[٢] .

ويذهب فريق من اللغويين إلي أن مبتكر هذه الطريقة هو أحمد بن فارس القزويني في كتابيه (المجمل) و (مقاييس اللغة)[٣] .

(١) راجع ص ١١ من هذا البحث.

(٢) دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناحج عبد الحافظ: ١٣٠.

(٣) انظر (في علم اللغة العام) للدكتور عبد الصبور شاهين: ٢٢٠ ، والبحث اللغوي عند العرب للدكتور أحمد مختار عمر :١٣٧.

ويذهب فريق آخر إلى أن صاحب هذه الطريقة هو أبو عمرو الشيباني في كتابه(الجيم)[1] .

ويذهب فريق ثالث إلى أن صاحبها هو الإمام محمود بن جار الله الزمخشري في كتابه (أساس البلاغة)[2] .

وقيل : أنها تنسب إلى محمد بن تميم البرمكي بكتابه (المنتهى في اللغة)[3] .

ونحن نرى صواب الرأي الأخير ، ذلك الذي ارتآه كل من الدكتور عبد السميع محمد عبد السميع ، والدكتور العزازي[4] ؛ من أن هذه الطريقة- الأبجدية العربية- تنسب إلي العالم اللغوي محمد بن تميم البرمكي ، فهو رائدها ، حيث ظهرت متسقة مكتملة على يده في كتابه (المنتهى في اللغة) وإن لم يكن مبتكرها .

فقد ابتكر أبو عمرو الشيباني هذه الطريقة – الأبجدية العربية – باستخدامها في ترتيب المواد اللغوية في معجمه (الجيم) . وليس علماء الحديث – كما هو مشهور- لأنهم متأخرون زمنيا عن أبي عمرو ، فأبو عمرو ولد سنة ٩٤هـ ، وتوفي سنة ٢٠٦هـ وتوفي سنة ٣٠٧هـ . أما البخاري فقد ولد سنة ١٩٤هـ وتوفي سنة ٢٥٦هـ بينما ولد أبو يعلى التميمي سنة ٢١٠هـ وتوفي سنة ٣٠٧هـ، كما توفي البغوي سنة ٣١٥هـ، أما ابن قتيبة فولد سنة ٢١٣هـ وتوفي سنة ٢٧٦هـ. ومعنى هذا أن أبا عمرو الشيباني قد سبق كل علماء الحديث في التزام طريقة الأبجدية العربية في ترتيب المادة اللغوية في معجمه (الجيم) ؛ ومن ثم هو أول من استخدم هذه الطريقة ، وهو مبتكرها . وإليه تنسب ، ولا تنسب إلى أحد سواه ، لا من اللغويين ، ولا من علماء الحديث.

---

(١) المرجعان السابقان ، والمعاجم اللغوية للدكتور إبراهيم نجا :١٧٤ .

(٢) المعجم العربي للدكتور حسين نصار : ٢/ ٦٩٠.

(٣) المعاجم العربية للدكتور عبد السميع محمد أحمد : ١٣٤. والمعاجم للدكتور العزازي: ٤٦.

(٤) المصدران السابقان.

أما رائدهما الحقيقـي الذي التزمها ، وخرجت على يديـه منهجا مستقلا ، وسـبيلا ممهدا لمن أتوا بعده من مؤلفي المعاجـم فهو اللغـوي محمد بن تميم البرمكي ، بما انتهجه في معجمه (المنتهي في اللغة)؛ وليس أبا عمر الشيباني ، لأنه وإن كان يرجع إليه الفضل في ابتكارها ، بما التزمه من ترتيب المواد اللغوية في كتابه (الجيم) على نظام الأبجدية العربية، إلا أنه لم يراعِ سوى الحرف الأول من اللفظة ، دون بقية حروفها ، ففي (الألف) الذي بدأ به كتابه ، صدره بكلمة (الأوق) بمعنى: الثقل، ثم تلاها بكلمة (المأفول) من الرجال ، بمعنى: الذي لا يجدونه على ما ظنوا به، ثم اتبعها بكلمة (الأزوح) بمعنى : الكاره لوجهة ، البطيء السيئ المقادة ... وهكذا[1] .

فالحرف الثاني في الكلمة الأولى (واو) ، والحرف الثاني في الكملة الثانية (فاء) ، والحرف الثالث في الكلمة الثالثة (زاي) فلو راعى أبو عمرو الترتيب الهجائي في الحرف الثاني، لقدمت الكلمة الثالثة على الكلمة الأولى ، ولأخرت الأولى إلى مابعد الثانية ، لأن (الزاي) أسبق من (الفاء) و (الواو)[2] .

وليس رائدها أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني أيضا ، لأنه وإن اتبع الترتيب الهجائي في ترتيب الأبواب ، إلا أنه لم يبدأ ترتيب الحرف الثاني من أول الهجائية ، ولكن كان يبدؤه من الحرف الذي يلي حرف الباب ، فمثلا الكلمات التي ترتب في باب (العين) ، لا تبدأ في الترتيب بما الحرف الثاني فيها (همزة) ، وإنما تبدأ بما حرفها الثاني (غيْن) ثم بما حرفها الثاني (فاء) ، (قاف) ثم (كاف) وهكذا إلي (الياء) ثم (الهمزة) و (الباء) و (التاء) .. وهكذا ؛ وقد شرح الدكتور عبدالله درويش فكرة ابن فارس هذه قائلا : « فإذا تصورنا أن الأبجدية منتظمة في شكل دائرة ، فإن الترتيب يبدأ من الحرف المعين ، مبتدئا بتآليفه مع ما يليه في الدائرة ثم ينتقل إلى الحرف الثاني .. وهكذا ، حتى تعود الدائرة من حيث بدأت وهكذا ، وفعل مثل ذلك في الحرف الثالث»[3] .

---

(١) انظر: معجم (الجيم) : ١/٥٣.

(٢) راجع: دراسات في العجمات العربية للدكتور ناجح عبد الحافظ: ١٣٢.

(٣) انظر :المعاجم العربية للدكتور عبدالله درويش: ١٢٤.

وليس الزمخشري كذلك رائد الأبجدية العربية ، بالرغم من أنه التزمها في معجمه (أساس البلاغة) حيث ذكر في مقدمته أن هذه الطريقة ليست من ابتكاره ، وانما كانت شائعة في عصره ، إذ قال: « وقد رتبت الكتاب على أشهر ترتيب متداولا ، وأسهله متناولا؛ يهجم فيه الطالب علي طلبته ، موضوعة على طرف التمام وحبل الأذراع.. »[1] ممايدل علي أن هذا الترتيب كان متداولاً في عصره ، قبل أن يقدم على تأليف كتابه.

وترتيبا على ما تقدم . تسلم ريادة مدرسة الأبجدية العربية للعالم اللغوي أبو المعالي محمد بن تميم البرمكي (٣٧٢ - ٤٣٣هـ) بتأليفه معجمه المسمى (المنتهى في اللغة) ، الذي يعد إعادة لصحاح الجوهري على طريقة الأبجدية العربية ، مع إضافات قليلة عليه ، والذي انتهى من تصنيفه في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة[2] .

حيث رتب البرمكي معجمه على أساس الحرف الأول من المادة اللغوية ، ثم جعله بابا ، ثم راعي الحرف الثاني ، فالحرف الثالث ، فالحرف الرابع .. وهكذا من حروف المادة الأصلية، ولذا جاء ترتيب معجمه موافقا لما عليه ترتيب المعجمات الحديثة ، مما جعل معظم الباحثين يقول : إن البرمكي أسبق الناس إلى هذا الترتيب الجديد[3] .

وقد تابع البرمكي على هذا الترتيب الجديد عدد غير قليل من مؤلفي المعاجم في العصر الحديث ، ولعل أشهر هؤلاء المؤلفين : أبو القاسم محمود بن جار الله بن عمر الزمخشري في كتابه (أساس البلاغة) لكونه أكثر هؤلاء المؤلفين التزما بمنهج البرمكي ، وأشدهم ترسما لطريقته، ولذا فسوف نقدمه على غيره وإن كان متأخرا عنه زمنيا.

---

(١) انظر : مقدمة (أساس البلاغة) للزمخشري: ١/د.

(٢) انظر : معجم الأدباء : ١٨/ ٣٤.

(٣) انظر : المعاجم العربية للدكتور عبد السميع محمد أحمد: ١٣٥.

أساس البلاغة

للزمخشري(٤٦٧-٥٣٨هـ)

تمهيد :

كان المفروض أن نتخذ معجم (المُنْتَهى في اللغة) للبرمكي ، نموذجاً تطبيقياً للمدرسة الثالثة من المدارس المعجمية، ونعني بها «مدرسة الأبجدية العربية»، نظرا لما ثبت - بما لا يدع مجالا للشك - أن البرمكي هو رائد هذه المدرسة، وإن لم يكن مبتكرها ، وإنما هو صاحب أول معجم كامل شامل رتب على هذه الطريقة[١] .

ولكن نظرا لأن معجم (المنتهي في اللغة) للبرمكي ، لم يخرج إلى النور بعد ، ولم يقم أحد بتحقيقه حتى الآن ، نظرا لعدم العثور بعد على مخطوطة كاملة له ، يمكن أن تقوم عليها دراسة مستقلة ، وتحقيقها ؛ حيث يقول الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في مقدمة تحقيقه لمعجم (الصحاح) للجوهري: وقد شاهدت بنفسي قطعة من كتاب البرمكي ، في مائة ورقة ، بالمكتبة الخاصة بإبراهيم الخربوطلي ، أمين مكتبة شيخ الإسلام عارف رحمه الله ، بالمدينة المنورة، ووجدته مرتبا على الترتيب الهجائي العادي ، مثل ترتيب المعجمات الحديثة[٢] .

وكان الأصل في تعريف الناس بالمنتهى ، ما قاله ياقوت الحموي عنه : «أنه منقول من كتاب (الصحاح) للجوهري ، وزاد فيه أشياء قليلة ، وأغرب ترتيبه»[٣] .

وقال ياقوت أيضا : « إن البرمكي قد انتهى من تصنيف كتابه هذا الذي غير فيه ترتيب الصحاح في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة »[٤] كما ذكر أن مستنده في

---

(١) راجع صـ ١٩٦ من هذا البحث.

(٢) انظر : مقدمة تحقيق الصحاح لأحمد عبد الغفور عطار: ٨٩-٩٠.

(٣) معجم الأدباء والياقوف الحموي ٣٤/١٨.

(٤) المصدر السابق.

فإنه نظير ما نقرأه في مقدمة (كتاب المنتهى في اللغة) للبرمكي»[1] .

ومن ثم فقد وقع اختيارنا على أقرب المعاجم إلى معجم البرمكي ، من حيث التزامه نظام الأبجدية العربية في ترتيب مواده اللغوية ، والسير عليه في ترتيب أبوابه ، ومراعاة الحروف الثواني والثوالث والروابع .. وهذا بحسب عدد حروف اللغظ المرادة ، وترتيبها على الأبجدية العربية أيضا.

أساس البلاغة.

يعد معجم (أساس البلاغة) هو المثال المجسد والحقيقي لمدرسة (الأبجدية العربية) ، كما يعد خطوة موفقه على سبيل التأليف المتطور للمعاجم العربية ، حيث لم يقتصر على إيراد المعاني الأصلية للألفاظ ، كغيره من المعاجم الأخرى بل تعدى ذلك إلى ذكر المعاني القديمة ، والمولدة ، والمحدثة.

كما عنى مؤلفه بإيراد المعاني الحقيقة ، ثم يردفها بالمعاني المجازية للمادة اللغوية؛ فضلا على اهتمامه بالعبارة المركبة الممثلة للبلاغة والفصاحة ، خلافا لما كان يهتم به غيره من مؤلفي المعاجم من الاهتمام باللفظة المفردة في بيان معنى المادة اللغوية ، حيث صرح بذلك الزمخشري في مقدمة كتابه بقوله:

« ومن خصائص هذا الكتاب تخير ما وقع في عبارات المبدعين ، وانطوى تحت استعمالات المغلقين ، أو ما جاز وقوعه فيها ، وانطواؤه تحتها من التراكيب التي تلمح وتحسن ، ولا تنقبض عنها الألسن ، لجريها على رسلات الأسلاف ، مع الاستكثار من نوابغ الكلم ، الهادية إلى مراشد حر النطق ، الدالة على ضالة المنطيق المغلق»[2] ثم يقول أيضا:

« ومن خصائصه للتوقيف على مناهج التركيب والتأليف وتعريف مدارج

(١) انظر : دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح مبروك :١٣٧.
(٢) انظر : مقدمة (أساس البلاغة) للزمخشري : ك ، ل .

الترتيب والترصيف، بسرد الكلمات متناسقة لا مرسلة بدداً ، ومتناظمة لا طرائق قددا»[1] .

مؤلفه

الإمام اللغوي المفسر ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري ، ولد في (زمخشر) إحدى قرى (خوارزم) سنة ٤٦٧هـ. تردد على بغداد أكثر من مرة ، وجاور بمكة ، ولذا لقب (جار الله).

وتلقي الزمخشري العلم والأدب على أيدي شيوخ أجلاء ، وعلماء أفاضل مثل أبو منصور محمود بن جرير الطبري الأصبهاني ، وأبي الحسن على بن المظفر النيسابوري ، كما أخذ عن شيخ الإسلام أبي منصور نصر الحارثي ، وأبي سعيد الشتاني ، وغيرهم من كبار علماء اللغة والأدب في عصره.

وكان الزمخشري معتزلي المذهب وقد نبغ في علوم كثيرة .وصارت له منزلة كبيرة عند معاصرية في شتي العلوم والمعارف ، حتى عُدَّ من أكبر علماء القرنين الخامس والسادس الهجريين ؛ وأثر عنه أنه كان يقول الشعر في بعض الأحيان، وإن كان كما يقول بعض الباحثين – قريبا من النظم[2] .

آثاره

توفي الزمخشري ، وترك خلفه نحو خمسين مؤلفا ومصنفا في علوم كثيرة وأمهات التفسير واللغة إذ يعد بحق إماما فيها ، حيث ألف تفسير (الكشاف) الذي يعد من أعظم كتب التفسير ؛ أما في اللغة فقد ألف كتبا كثيرة أهمها وأشهرها معجم (أساس البلاغة) وله أيضا في اللغة : المفصل في النحو ، ونكت الإعراب

---

(١) المصدر السابق.

(٢) دراسات في المعاجم العربية للدكتور أمين فاخر: ١٢٥.

ي غريب إعراب القرآن . والأمالي في النحو ، وجواهر اللغة ، ومقدمة الأدب في اللغة ، وشرح كتاب سيبويه، والمفرد والمركب في العربية، وأعجب العجب في شرح لامية العرب ، والأنموذج في النحو ، وغير ذلك من كتب اللغة ، والتفسير ، والحديث والمواعظ ، والتراجم ، التي ذكرتها الكتب التي ترجمت لحياة الزمخشري.

وفاته :

توفي الزمخشري بخوارزم بعد حياة حافلة بالتأليف والتصنيف في شتى العلوم والمعارف سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة هجرية ، رحمه الله رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته[1] .

الهدف من تأليف «أساس البلاغة»:

إن المستقرئ لمعجم (أساس البلاغة) للزمخشري ، يتبدي له — لأول وهلة — أن الهدف الذي رسمه الزمخشري لتأليف معجمه ، هو الوصول منه إلى إبراز إعجاز القرآن الكريم ، وذلك عن طريق تنمية المدارك البلاغية والتذوق الأدبي لدي القارئ . حتي إذا قرأ الكتاب المنزل ، أمكنه التوصل إلى ما فيه من أوجه البلاغة والفصاحة العربية بنفسه ، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف الأسمى ، تتحق أهداف جانبية هي :

١– التمييز بين المعاني الحقيقة والمعاني المجازية في الأساليب العربية.

٢– معرفة وجوه الإعجاز بعد تتبع طرق البلاغة المختلفة.

٣– تخريج الفحول من الأدباء والشعراء ، بعد دراستهم لما في التعبير اللغوي العربي من مجاز واستعارة .. الخ.

---

(١) راجع في ترجمة الزمخشري : معجم الأدباء لياقوت الحموي :١٨/ ٣٤، بغية الوعاة للسيوطي : ٦/١.

منهج الزمخشري
في (أساس البلاغة)

لما كان الزمخشري يهدف من تأليف معجمه (أساس البلاغة) إلى الارتقاء بأذواق الناس ، وتنمية مداركهم البلاغية حتى يتبينوا ما عليه القرآن الكريم من إعجاز في البلاغة والفصاحة ، كما كان من أهداف تخريج طائفة من علماء العربية وأعلام البلاغة بفروعها : المعاني ، والبيان والبديع ، فقد أفرغ في معجمه هذا كل ما اجتمع لديه من علم باحوال الكلمة العربية - حقيقة ومجازا - وساق عليها الكثير من عيون الشعر ، والنصوص الموثقة من النثر؛ وقد ساعده على ذلك ما اطلع عليه من المصادر والمراجع ، وما شافه به العرب الخلص وبلغائهم في باديتهم ونواديهم ، حيث يقول في مقدمة (الأساس):

« .. فلّيت له العربية ، ومافصح من لغاتها ، وملح من بلاغتها وما سمع من الأعراب في بواديها ، ومن خطباء الملل في نواديها ، ومن قراضبة[1] نجد في أكلائها ومراتعها ، ومن سماسرة تهامة في أسواقها ومجامعها ، وما تراجزت به السقاة على أفواه قلبها[2] وتساجعت به الرعاة على شفاه عُلَبها[3] . وما تقارضته شعراء قيس وتميم في ساعات الماتنة[4] ، وما تزاملت[5] به سفراء ثقيف وهذيل في أيام المفاتنة؛ وما طولع في بطون الكتب ، وفنون الدفاتر من روائع ألفاظ مفتنة وجوامع الكلم في أحشائها مجتنة»[6]

---

(١) قراضبة: جمع (قرضوب) ، وهو الصعلوك ، أو اللص، أو قاطع الطريق.

(٢) قُلُب - بضمتين - جمع (قليب) ، وهو البئر الواسعة.

(٣) العُلَب - بضمة ففتحة -: جمع (علبة) وهي إناء ضخم من جلد أو خشب يحلب فيه اللبن.

(٤) الماتنة: محاولة الشاعر إظهار متانة شعره.

(٥) تزاملت : تزاجرت والزَّمل - بفتحتين - : الرجز.

(٦) انظر : مقدمة (أساس البلاغة) : ١/د.

ولذلك لم تنصرف عنايته إلى تتبع معاني مفردات المادة ، ولا إلى تتبع مشتقات وتعريفات أصلها ، بقدر ما انصرفت إلي تخير العبارات المركبة الفصيحة وبيان ما استعمل منها على وجه الحقيقة ، وما استخدم منها على وجه المجاز(١) .

وعلى ذلك يمكن تحديد منهج الزمخشري في (أساس البلاغة) في النقاط الآتية:

١- تجريد المادة من حروف الزيادة ، والرجوع بها إلى حروفها الأصلية ، وهذا نظام متبع لدي كل مؤلفي المعاجم فكلمة (استغفر) مثلا ، نجدها في مادة (غفر) ، وكلمة (علا) أو (عالي) نجدها في مادة (علو) ، حيث حرف العلة أصله (الواو).

٢- اتبع في ترتيب المواد في معجمه ، الترتيب الهجائي العادي ، بادئا بـ (الهمزة) ثم (الباء) ثم (التاء) ، (الثاء) ..... وهكذا إلى (الياء) ، جاعلا كل حرف منها (بابا) ، ومن ثم جاء معجمه في ثمانية وعشرين باب بعدد حروف الهجاء ، إلا أنه قدم باب (الواو) على باب (الهاء).

٣- راعى في ترتيب المواد داخل الباب ، الحرف الثاني ، فالثالث ، فالرابع ... ورتبه كذلك على الترتيب الهجائي العادي نفسه ؛ فمثلا الكلمات أبد ، أبر ، أبط ، نجدها كلها في باب (الهمزة) كما نجدها مرتبة داخل باب (الهمزة) بنفس هذا الترتيب ، حيث روعى فيها الحرف الثالث ، فالدال قبل الراء ، وبعدها الطاء ؛ كما نجد الكلمات بحر ، نجر ، بدر ، بذر ، بشر ، جميعها تحت باب (الباء) وبنفس الترتيب ، حيث روعى فيها الحرف الثاني ، فرتبت تبعا له ، وهو مرتب في الأبجدية هكذا ح ، خ ، د ، ذ ، ر .

٤- يشرح المادة اللغوية التي يعرض لها شرحا دقيقا، وذلك بعرضها في

---

(١) راجع : دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح مبروك : ١٤٦.

عبارات وجمل فصيحة ومن امثلة ذلك في مادة (ع ر ب) قوله : عرّب عن صاحبه تعريباً إذا تكلم عنه ، وعرّب عليه : قبح عليه كلامه . وعرب لسانه عرابة . وما سمعت أعرب من كلامه ولا أغرب . وهو من العرب العرباء والعاربة وهم الصرحاء الخلص . وفيه لوثه أعربية»(1) .

وفي مادة (ر ش ق) يقول : « رشقة بالسهم : رماه رشقاً . وخرجوا يتراشقون: يتناضلون وسمعت رشق قلمه ورشقه: وهو صوته ، وغلام رشيق ، وجارية رشيقة إذا كانا في اعتدال ودقة ، وقد رشقا رشاقة»(2) .

وقليلاً مايذكر الزمخشري كلمات مفردة في وسط التراكيب والعبارات . فمن ذلك قوله في مادة (ع ر ج) « .. وهم بمنعرج الوادي ، ومنه : العرجون ، وهو أصل الكباسة (3) ، سمي لانعراجه .﴿حتَّى عَادَ كَالعُرجُونِ القَدِيم ﴾(4) .

ويقول في مادة (ع ر ص) : « والعَرص : النشاط .. والعرصة : أرض الدار حيث بنيت »(5) .

٥- يفرق بين المعاني الحقيقية للمادة . والمعاني المجازية ، وقد نبه على ذلك إبان حديثه عن خصائص الكتاب بقوله : «ومنها تأسيس قوانين فصل الخطاب ، والكلام الفصيح ، بإقرار المجاز عن الحقيقة والكفاية عن التصريح»(6) .

حيث يذكر ما جاء على سبيل الحقيقة أولاً ، ثم يتبعه بما جاء على سبيل المجاز ؛ وله في بيان ما جاء على سبيل المجاز عبارات ثلاثة ، ليعدد بها ما يأتي على سبيل المجاز مباشرة:

---

(١) انظر : أساس البلاغة : مادة (ع ر ب)

(٢) المصدر السابق مادة (ر ش ق).

(٣) الكباسة : العذق ، وهو من النخل كالعنقود من العنب.

(٤) سورة يس من الآية ٣٩.

(٥) أساس البلاغة : مادة (ع ر ص) .

(٦) مقدمة (أساس البلاغة) : ١/ل .

أ) « ومن المجاز» وهذه العبارة أكثر العبارات الثلاث استعمالاً في (أساس البلاغة ، ففي مادة (س ح ب) مثلاً يقول: «سحب ذيله فانسحب ، وأسحبه الذيل. ومن المجاز : سحبت الريح أذيالها .. واسحب ذيلك على ما كان مني ؛ وتقول: ما استبقى الرجل ود صاحبه بمثل سحب الذيل على معايبه»[١] .

ويقول في مادة (ص د ع) : يقول في العود ونحوه من الأشياء : صدع ، وصدوع .. ومن المجاز صدع البين شملهم . وصدع الظعائن يوم بنَّ فؤاده.. »[٢] .

ب) «ومن المستعار» . وهذه العبارة أقل من سابقتها استعمالا. ومن أمثلتها ، وقوله في مادة (ع ذ ر) : «قد أعذر من أنذر» أي : بالغ في العذر ، أي : في كونه معذورا .. ومن المستعار : وصلوا إلى عذار الرمل . وهو حبل مستطيل منه .. «وهو أبو عذرها » .. »[٣] .

ويقول في مادة (ع ر ف) : « لأعرفن ذلك ما صنعت » أي : لا جازينك ... ومن المستعار : أعراف الريح ، والسحاب ، والضباب لأوائلها . .. »[٤] .

جـ) «ومن الكناية» . وهذه العبارة أقل العبارات الثلاثة استعمالا ومن أمثلتها قوله في مادة (أ خ ر): «جاءوا عن آخرهم .. ومن الكناية : أبعد الله الآخر ، أي من غاب عنا وبعد ، والغرض الدعاء للحضور»[٥] .

ويقول في مادة (ص د ف) : « صدف عن الشيء صدوفا: أعرض عنه .. ومن الكناية: رجل صدوف : أبحز ، لأنه كلما حدَّث ، صدف بوجهه لئلا يوجد بحزه »[٦]

---

(١) أساس البلاغة : مادة (س ح ب) .
(٢) أساس البلاغة : مادة (ص د ع)
(٣) أساس البلاغة : مادة (ع ذ ر)
(٤) أساس البلاغة : مادة (ع ر ف)
(٥) أساس البلاغة : مادة (أ خ ر)
(٦) أساس البلاغة : مادة (ص د ف)

وقد يستخدم الزمخشري أكثر من عبارة واحدة من العبارات الثلاث في شرح معنى مادة واحدة ، نحو قوله في مادة (ج م ع) : « ..... ومن الكناية: فلانة قد جمعت الثياب: أي كبرت، لأنها تلبس الدرع ، والخمار ، والملحفة . ومن المجاز : أمر بني فلان بجمع ، أي : مكتوم ، أستعير من قولهم : فلانة بجمع ، يقال : أمركم بجمع فلا تفشوه»[1] .

٦- لا يلتزم الزمخشري في ترتيب مشتقات المادة اللغوية نظاما معيناً. فقد يبدأ بذكر الفعل ، ثم يثني بذكر الاسم قبل أن يستوفي صيغ الفعل المختلفة ، ثم يعـود مرة أخرى إلى ذكر الفعل ، دون أن يستوفي كل أنواع الاسم ، ففي مـادة (ع ر ب) مثلا ، يجده يبدأ بالفعل اللازم (عَرَبَ) ثم يتبعه بذكر بعـض الأسماء ، قبل أن يستوفي صيغ الفعل ، (العرب ، العرباء ، العاربة ، المستعربة اعرابية) ثم يعود إلى الفعل (تعرّب) ، فالاسم مرة ثانية (الأعراب) ، ثم الفعل (عـرّب)[2] .

فليس للزمخشري ترتيب يلتزمه في وضع مشتقاته تحت المادة اللغوية ، ولا نستطيع أن نقول أنه يبدأ مشتقات المادة بذكر الفعل - مثلاً - فذلك غير مطرد في كل المواد ، ففي مادة (ص ر ر) مثلا يبدأ بالاسم ، ثم الفعل : « ريح صرٌّ ، وصرر ، وأقبل في صرة : في صياح شديد». وبعد ذلك يذكر الفعل « وصر الجندب ، والباب ، والقلم صريرا ، وصرت الآذان ؛ سمع لها طنين»[3] .

---

(١) أساس البلاغة : مـادة (ج م ع) وراجع في كل ذلك المعاجم اللغوية للدكتور محمد أحمد أبو الفرج : ٤٤- ٤٦.

(٢) أساس البلاغة : مادة (ع ر ب).

(٣) أساس البلاغة : مادة (ص ر ب).

نماذج تطبيقية

من « أساس البلاغة »

بعد أن تعرفنا علي معجم (أساس البلاغة) ووقفنا على منهج الزمخشري الذي اتبعه في تأليفه نرى أنه من الأجدى والأجدر أن نسوق نموذجاً أو أكثر مما ورد به من معالجته للمواد اللغوية ليكون تطبيقاً عملياً ما سقناه آنفاً في دراستنا النظرية للمعجم.

أ) مادة (ع ر ب):

يقول الزمخشري : عَرُبَ لسانه عرابة . وما سمعت أعرب من لسانه ، ولا أغرب . وهو من العرب العَرباء والعاربة وهم الصرحاء الخلّص . وفلان من المستعربة ، وهم الدخلاء فيهم وقد قال جندل بن المثني الطهوي :

* جَـعْدُ الثَّرىَ مُسْتَعْرِب التُّـراب *

أي : بعيد من أرض الأعاجم . وفيه لوثة أعرابية . قال :

وإنيّ عَلَـى ما فـيَّ مِنْ عَنْجَهِيَّتي * ولـوْثَةِ أعْـرابيتِـي لأدِيـبُ

وتعرَّب فلان بعد الهجرة . وقال الكميت :

لاينقُضِ الأمـرَ إلاَّ رَيْثَ يُبْرِمُه * ولا تَعَرَّبُ إلاَّ حوْلَهُ العَرَبُ

أي : لا تعز وتمنع عزة الأعراب في باديتها إلا عنده . وعرَّب عن صاحبه تعريبا: إذا تكلم عنه ، واحتج له. وعرَّب عليه : قبَّح عليه كلامه ، كما تقول : احتج عليه ، أو من العرب وهو الفساد . وقد أعرب فرسك : إذا صهل فعرف بصهيله أنه عربي ، وهذه خيل وإبل عراب . وفلان معرب مجيد : صاحب عراب وجياد . وخير

النساء اللعوب العروب . وقد تعربت لزوجها إذا تغزلت له وتحببت إليه(١) .

(ب) مادة (ك ت ب):

يقول الزمخشري : « كتب الكتاب يكتبه كتابة، وكتابا وكتابة وكتبا . واكتتبه لنفسه: انتسخه .واكتتب فلان ضمنا ، وفلانٌ مُكتِب، ومُكتِّب يكتِّب الناس ، يعلمهم الكتابة ، أو عنده كتب يكتبها الناس ، ينسخهم.

ويقال: كتبت الغلام ، واكتبته . وأكتبني هذه القصيدة : أملَّها عليَّ. وأكتبتُ فلانا وجدته كاتبا ، وآستكتبته شيئا فكتبه لي . وسلَّم ولده في المكتب والكتاب ، وذهب الصبيان إلي المكاتب والكتاتيب.

وقيل : الكتاب : الصبيان لا المكان . وكاتب صديقه وتكاتبا ، ومن المجاز : كتب عليه كذا : قضى عليه . وكتب الله الأجل والرزق ، وكتب على عباده الطاعة، وعلي نفسه الرحمة . وهذا كتاب الله : قدره ، وقال الجعدي:

يا بِنْتَ عَمِّى كتابُ اللّهِ أخْرَني * عنْكُمْ، وهَلْ أمنعنَّ اللهَ ما فَعَلا؟!

وأحصيت الشيء وكتبته :إذا حصرته ، قال :

* لا يُكتَبونَ ولايُكتُّ عَديدهُمْ *

وكتب البغلة . وكتب عليها: إذا جمع بين شفريها بحلقة . وبغلة مكتوبة : ومكتوب عليها . واكتب بغلتك لا يُنْزَ عليها ، وقال:

لا تأمنَنَّ فَزارِيًّا خلَوْتَ بِهِ * علـى قَلُوصِكَ ، واكْتُبْها بأسْيَارِ

وكتب النعل ، والقربة : خرزها بسيرين . وقارب بين الكُتْبِ وهي الخرز .وأكتب سقاءه: أوكاه . واكتتب بطنه :إذا حصر . وكتب الكتيبة : جمعها . وكتب الجيش :

(١) راجع : أساس البلاغة: ١٠٦/٢ مادة (ع ر ب).

جعله كتائب . وتكتب الجيش . وتكتب الرجل :تحزم وجمع عليه ثيابه وكاتب عبده. وأدى كتابةً (١) .

ج) مادة (خ ز ن):

يقول الزمخشري : « خزن المال في الخزانة : أحرزه . واختزنه لنفسه ، واستخزنه المال ، وله مخزن حريز وهو صاحب مخزن الأمير.

ومن المجاز : اطلب من خزائن رحمة الله تعالى ، واخزن لسانك وسرك ، قال أمرؤ القيس :

إذا المرْءُ لَمْ يَخْزنْ عَلَيْهِ لسانَهُ * فلَيْس على شيءٍ سواهُ بِخَزّانِ.

وقال السمهري بن أسد العكلي:

وبادرْ بلِيْلَى أوْبَةَ الرَّكْبِ إنَّهُم * متى يَرْجعُوا يَخْزَنْ عَلَيْكَ كَلامُهَا

واجعله في خزانتك ، أي : في قلبك ، إذا لقنته علما ، أو أودعته سرا . وفي حكمة لقمان : « إذا كان خازنك حفيظا ، وخزانتك أمينة ، رشدت في دنياك وآخرتك » وقولهم : خزن اللحم : إذا تغير معناه ، خزنه فخزن ، أي : ادخره ، فأيف بسبب الادخار . ألا ترى إلى قوله:

ثـمَّ لا يَخْـزَنُ فينـا لحمُـهَا * إنمـا يَخْـزنُ لَحْـمُ المدَّخرِ» (٢) .

تعقيب:

من استقرائنا للمواد الثلاث التي سقناها كتطبيق عملي على ما جاء في معجم الزمخشري «اساس البلاغة» . فضلا عما اشتمل عليه من مواد أخرى هذه

---

(١) راجع : أساس البلاغة: ٢/ ٢٩٤ – ٢٩٥. مادة (ك ت ب).

(١) راجع : أساس البلاغة ٢٠٩/١ . مادة (خ ز ن) .

الثلاثة . نلحظ على المنهج الذي سلكه الزمخشري في معالجة المواد اللغوية في كتابه بعض الملاحظات ، نذكر منها :

١- ليس للزمخشري نظام معين في ترتيب الصيغ الممكنة للمادة اللغوية ، فتارة يبدأ شرحه للمادة بذكرالفعل – كما في المواد الثلاثة السابقة – ، وتارة يبدؤها بالاسم ؛ وهو حين يبدأ بالفعل ، لا يستقصي جميع صيغة المختلفة ؛ وحين يذكر الاسم ، لا يستوفي جميع المشتقات ومن ثم فهو لم يلتزم ترتيبا معينا في وضع المادة وفروعها ومشتقاتها تحت الباب المعين؛

ففي المادة الأولى (ع ر ب) ، بدأ الشرح بالفعل اللازم في قوله (عَرُبَ لسانُهُ)؛ وفي المادة الثانية (ك ت ب) ، بدأ بالفعل المتعدي في قوله (كتب الكتاب) ؛ وفي المادة الثالثه (خ ز ن) بدأ أسماء وصفات ومصادر ، دون الالتزام بترتيب معين ؛ ففي المادة الأولى ، ذكر الأسماء : العرب ، والعرباء ، والعاربة ، والمستعربة، وأعرابية ؛ ثم انتقل إلى ذكر صيغ للفعل : تعرّب ، وعرب عن صاحبه، وعرب عليه ثم عاد إلى الإسم ، فذكر : الأعراب ؛ ثم رجع إلى الفعل : أعرب.

وفي المادة الثانية ، فعل مثل ذلك ، فذكر الفعل : كتب يكتب ، ثم انتقل إلى الاسم والمصدر : كتبة ، وكتابا وكتابة ، وكتبا ؛ ثم عاد إلى الفعل : اكتبه ، واكتب؛ ثم رجع إلى الإسم : مكتب ومكتّب ؛ ثم الفعل : يكتب ، وكتب ، وأكتب ، وأكتبني، واستكتب ... وهكذا.

وفي المادة الثالثة . ذكر الفعل (خزن) ، ثم الاسم (الخزانة) ، ثم الفعل في (اختزن واستخزن) ثم الاسم (مخزن وخزائن) ... وهكذا .

أما مثال بدئه المادة اللغوية عند شرحها بالاسم ، ما جاء في شرح مادة (أ ب ر) من قوله : « شاة مأبورة : أكلت الإبرة في علفها »[(١)] ؛ وقوله في مادة (ص د ح) : « ديك صدوح وصداح: رفيع الصوت » [(٢)] .

(١) أساس البلاغة : ١ / ١٢٩.

(٢) أساس البلاغة : ٢/٨ .

٢- كان الزمخشرس مقلاً في إيراد الصيغ الممكنة للمادة عند شرحها حيث لم يستقص كل الصيغ الممكن مجيئها من المادة اللغوية ،بل يتخير منها الصيغ الأكثر شهرة ، والتي وردت في نصوص بليغة ، وتراكيب أنيقه ؛ ولذا كان نصيب الصيغ التي ذكرت في كتابه محدودا »[١]

٣- لم ينبه الزمخشري على أنواع الصيغ والمشتقات التي يأتي بها ؛ وإنما كان يترك ذلك يمكن أن تفيده هذه الصيغ من تلون في المعنى الأصلي للمادة ؛ وإنما كان يترك ذلك للقارئ ، كي يدركه بنفسه من خلال ما يسوقه من عبارات مختارة ، وتراكيب بليغة ، مما يستلزم أن يكون القارئ على علم ودراية بما يقصد من وراء هذه العبارات وتلك التراكيب.

٤- لا يلجأ الزمخشري في شرحه للمادة إلى ذكر اللفظة وشرحها ، وإنما يعمد إلى اختيار عبارات بليغة ، وتراكيب منمقة ، وذلك حتى تحقق الهدف الذي حدده في مقدمة كتابه بقوله : :« .. ومنها التوقيف على مناهج التراكيب والتأليف وتعريف مدارج الترتيب والترصيف، بسوق الكلمات متناسقة لا مرسلة بددا ، ومتناظمة لا طرائق قددا ، مع الاستكثار من نوابغ الكلم الهادية إلى مراشد حر المنطق ، الدالة علي ضالة المنطبق المغلق»[٢] .

ففي المادة الأولى يعبر الزمخشري بالعبارات المنتقاة ، والتراكيب المختارة فيقول: «عرُب لسانه عرابة ، وما سمعت أعرب من كلامه ولا أغرب ... وخير النساء اللعوب الغروب» وفي المادة الثانية يقول: «كتب الكتاب يكتبه كتبة ... وكتب الله الأجل والرزق ، وكتب على عباده الطاعة ، وعلى نفسه الرحمة» .

وفي المادة الثالثة يقول: «خزن المال في الخزانة .. وهو صاحب مخزن الأمير».

٥- يقتصرالزمخشري - غالبا - علي ذكر المواد الثلاثية وشرحها ، أما المواد الرباعية ، والخماسية وغيرها ، فلا يكاد يتعرض لها إلا نادرا.

---

(١) دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح مبروك :١٥١.

(٢) راجع : مقدمة (أساس البلاغة) .

وقد قام أحد الباحثين المعاصرين بإحصاء المواد غير الثلاثية التي وردت بمعجم (أساس البلاغة) فوجدها كالآتي:

المواد الرباعية: اثنتان وستون مادة.

منها ست وثلاثون مادة رباعية الأصول .

وست وعشرون مادة رباعية مصنفة ذات أصلين مكررين.

المواد الخماسية : ثنتان فقط(١) .

٦- لم يعن الزمخشري بضبط المواد، وصيغها ، ومشتقاتها ، بل لم يول ذلك أي اهتمام يذكر ، وربما كان متأكداً أن ذلك يستبان من سياق الجمل والتراكيب التي تكتنف المواد والصيغ والمشتقات : ونادرا ما كان يلجأ إلى ضبط بعض الألفاظ إذا شعر بضرورة ذلك.

٧- يستشهد الزمخشري على المعاني التي يأتي بها بآي من القرآن الكريم ، أو الحديث النبوي الشريف ، كما يستشهد بالشعر العربي المتفق عليه ، وبالمأثور من كلام العرب وحكمهم . وأمثالهم .

٨- لم يهتم الزمخشري بالعصر الذي قيل فيه الشعر، ولم يعتبر بعصر الاستشهاد ، وإنما كان يستشهد بشعر الموالي والمولدين ، ومن هم بعد عصر الاستشهاد كالمتنبي ، ولما سئل في استشهاده بشعر المتنبي ، قال : «إنه وإن لم يستشهد بشعره إلا أنه في العربية ثقة».

٩- أحيانا ينسب الزمخشري الأشعار إلى قائليها ، وكذا النثر ، وأحيانا يغفل هذه النسبة ، فجاء ذلك في معجمه سجالا.

١٠- يبدأ الزمخشري شرحه للمادة بذكر المعاني الحقيقية لها ، ولصيغها ، ومشتقاتها ، ثم يتبع ذلك بذكر المعاني المجازية ، كما كان في بعض الأحيان لا يوضح ألوان المجاز ، من استعارة أو كناية أو نحوهما .

---

(١) انظر : المعاجم العربية للدكتور عبد السميع محمد أحمد : ١٤١ - ١٤٤ ، عن دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح عبد الحافظ: ١٥٢.

من مميزات أساس البلاغة

يمتاز (أساس البلاغة) للزمخشري بأمور لم تتحقق في غيره من المعاجم السابقة عليه . كما ينطوي على ميزات لم تتوافر لأي معجم آخر ، نذكر منها:

١- التزامه الترتيب الهجائي التزاما محكما ، وطريقته في التأليف التي عدت خطوة في سبيل تأليف المعجم التطوري ، الذي يعرض اللفظ ومعانيه القديمة والمولدة والمحدثة في صورة المجاز

٢- اهتمامه بتأسيس قوانين فصل الخطاب ، والكلام الفصيح ، بإفراد عن الحقيقة ، والكناية عن التصريح ، مما يفيد منه قارئ المعجم في تعلم الأساليب البليغة ، والتراكيب البارعة.

٣- خلوه من الألفاظ الغريبة ، والحوشية والمستهجنة ، والمبتذلة ، نظراً لتخيره الأساليب البليغة والتراكيب المنتقاة ، المشتملة على الفصيح من الألفاظ ، والصحيح من المعاني الموحية ليمثل بها لألوان البيان.

المآخذ

على (أساس البلاغة)

بالرغم مما امتاز به (أساس البلاغة) من ميزات لم تتوفر لغيره من المعاجم السابقة عليه ، وما تضمنه من حسنات تحسب له في ميزان التفاضل بين كتب المعاجم قاطبة ؛ إلا أنه لم يعدم أن يجد ناقدا يتعقبه بالنقد والتفنيد ، ومؤاخذا يعد عليه هناته وهفواته ؛ ومما وجه إليه من نقود ومآخذ:

١- إيجازه الشديد ، واختصاره الملحوظ ، مما أدي في بعض الأحيان إلى إغفال بعض المواد ولا سيما مازاد على ثلاثة أحرف ، كما أغفل كثيراً من الألفاظ المتفرعة من المادة الأصلية ، ولم يتعرض لشرحها ، أو الإشارة إليها .

٢- عدم اهتمامه بالضبط للمادة وفروعها . مما قد يوقع القارئ في كثير من الصيغ والمشتقات، ولكن قد تم تدارك ذلك الأمر علي أيدي بعض العلماء ممن قاموا على تحقيق الكتاب أو نشره.

٣- إطلاقه اسم (المجاز) على كل الأساليب التي لم تسلك طريق الحقيقة ، دون التفريق بين أنواعها من مجاز مرسل أو مجاز عقلي ،أو مجاز لغوي ؛ لما لم يظهر الفرق بين ما يذكره من : المجاز، و الكناية ، والاستعارة ، وإنما كان يذكرها وكأنها ألفاظ مترادفة ، على الرغم من أن ذلك الأمر كان من السهولة على الزمخشري بمكان ، إذ يعد من فحول علماء البلاغة.

٤- لم يهتم بنسبة الأقوال إلى قائليها - سواء في الشعر أو في النثر بأنواعه المختلفة ، من الأمثال والحكم والسجاع ، حتي إنه يأتي بالآية من القرآن الكريم دون أين ينبه عليها .

٥- خلطه في المعتل بين الواوي ، واليائي كقوله في باب (الهمزة) مادة (أ ب ى) : « أبى الله أن يكون كذا . وأبى عليّ ، وتأبى : امتنع .. ويقال : لعمر أبيك ،

ولعمر أبى سواك .. وهو أبو الأضياف . ومَنْ أبو متواك ؟ وهو أبو الرؤيس ، وأبو العمامة ؛ الكبير الرأس والعمامة».

والملاحظ أنه في هذه المادة ، قد وضع بعض الصيغ المشتقة من مادة (أ ب و)

٦- اضطرابه في بعض المواد. وذلك وضعه المضاعف الثنائي من الهمزة والياء (أ ي ي) من باب (الهمزة) في أول الهمزة مع الياء .قبل (أي د) و (أ ي ض) و (أ ي ك) وقبل (أ ي م) و (أ ي ن) و (أ ي هـ). وكان الأولى به أن يؤخره إلى ما بعد هذه المواد ، حسب المنهج الذي رسمه لنفسه.

وكذلك وصفه مادة (ج هـ ج هـ) بعد مادتي (ج و ب) و (ج هـ د) وكان الأول به أن يضعها قبلهما ثم تليها مادة (ج هـ و) ثم مادة (ج و ب) لأن نظام (الأساس) - كما تقدم - تقديم (الهاء) (على الواو) دائما بالنسبة لثاني الكلمة أو ثالثها ، أو مافوق ذلك إن وجد . هذا فضلا على الحرف الأول (الباب) فباب (الواو) يقدم علي باب (الهاء)[1] .

(١) راجع : دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناجح مبروك : ١٥٥.

أساس البلاغة

بين التأثير والتأثر

عرفنا – فيما تقدم – أن كل معجم لغوي يخرج إلى النور ، يكون حملا على ما سبقة من معاجم من حيث تخير المواد اللغوية وصيغها ، ومشتقاتها ، ومعانيها ؛ فكل مصنف لمعجم ما ، يستمد مادته من المعاجم السابقة عليه ، بل يلجأ أكثر المؤلفين والمصنفين للمعاجم إلى التصريح بأسماء المعاجم التي استقى منها مادته، كما فعل ابن منظور في مقدمة معجمه (لسان العرب)[1] وكما نبه على ذلك الدكتور حسين نصار بالنسبة لمعجم (الصحاح) ومعجم (العباب) للصاغاني[2] .

وبناء علي ذلك ، يتسنى لنا القول بأن الزمخشري قد تأثر في تأليف معجمه (أساس البلاغة) بكل ما تقدمه من معاجم ، إلا أنه قد خطى خطوة جديدة على طريق تأليف المعاجم تتمثل في اختياره للعبارات البليغة . والتراكيب الممتازة ، وأقوال المبدعين، وأحاديث المغلقين في تبيان معاني المادة اللغوية : إلا أنه لم يعد متأثرا بهؤلاء البلغاء والمبدعين ، والمغلقين ، فيما نقله من أقوالهم ، وما أقتبسه من أحاديثهم ، وليس أدل على ذلك مما ذكره الزمخشري نفسه في مقدمة معجمه بقوله:

« ومن خصائص هذا الكتاب تخير ما وقع في عبارات المبدعين ، وانطوى تحت استعمالات المغلقين ، أو ما جاز وقوعه فيها ، وانطواؤها تحتها ، من التراكيب التي تلمح وتحسن ولا تنقبض عنها الألسن ، كجريها على رسلات الأسلات، ومرورها عذبات على العذبات .. مع الاستكثار من نوابغ الكلم الهادية إلى مراشد حر المنطق ، الدالة على ضالة المنطيق المغلق»[3] .

---

(١) راجع صـ١٣٢م هذا البحث.

(٢) راجع صـ ١٢٩ من هذا البحث.

(٣) انظر : مقدمة (لسان العرب) :١/ د.

كما تأثر الزمخشري في ترتيب المواد اللغوية في معجمه ، بكل من أبي عمر الشيباني ، مبتكر نظام الأبجدية العربية وأبي الحسين أحمد بن فارس القزويني الذي ظهرت طريقة الأبجدية العربية على يديه نظاما متكاملا لترتيب المواد اللغوية في المعجم . وذلك في معجمه (المنتهى في اللغة) وعن هذا يقول الزمخشري : « قد رتبت الكتاب على أشهر ترتيب متداولاً ، وأسهله متناولا ، يهجم فيه الطالب على طلبته موضوعا على طرف التمام ، وحبل الذراع ، من غير أن يحتاج التنقير عنها إلى الايجاف والإيضاح »[1] .

أما من حيث التأثير الذي أحدثه (أساس البلاغة) فيما صدر بعده من معاجم؛ فكما سبق أن أوضحنا أن ما اتبعه الزمخشري في معجمه ، يعد خطوة جديدة على طريق تأليف المعاجم العربية ، بما استحدثه من الكشف عن معاني المادة الحقيقية والمجازية ، ومعاني صينها ومشتقاتها ، عن طريق تخير العبارات البلاغية والتراكيب الفصيحة ، التي أثرت عن العرب مشتملة على هذه المادة؛

ومن ثم فقد حزى حزو الزمخشري ، وانتهج نهجه جل البلاغيين الذين ألفوا وصنفوا معاجمهم بعد معجم الزمخشري ، إن لم يكونوا كلهم ، حيث انفرد الفيروزابادي بتأليف معجمه المسمى (القاموس المحيط) على نظام القافية ، كما فعل الجوهري في (الصحاح) ، والصاغاني في (العباب) .

فمن تأثر بالزمخشري ، في ترتيب المادة اللغوية ، واختيار العبارات الرصينة والتراكيب البليغة . والأساليب المنتقاة ، أحمد بن محمد المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ) في تأليف معجمه (المصباح المنير) الذي يعد من أيسر المعاجم وأخفها حملا . وأكثر إقبالا للناس عليه من الباحثين والدارسين .

كما تأثر بالأساس أيضا اللغوي محمود خاطر الذي عمد إلى إعادة ترتيب (مختار الصحاح) الذي ألفه زين الدين محمد بن محمد الرازي (ت٦٦٦هـ) علي نظام القافية ، فأعاد محمود خاطر ترتيبه علي نظام الأبجدية العربية المتبع في (أساس البلاغة).

---

(١) المرجع السابق.

كما تأثر بالأساس كل مؤلفي معاجم العصر الحديث مثل المعلم بطرس الشيباني في معجمه (محيط المحيط) ، والشرتوني في معجمه (أقرب الموارد) ، والشيخ عبدالله البستاني في معجمه (البستاني). والأب إلياس معلوف في معجمه (المنجد) ، وسعيد البعلبكي في معجمه (المورد).

ولعل أشهر المعاجم الحديثة التي صدرت متأثرة بمعجم (أساس البلاغة) للزمخشري هو (المعجم الوسيط) الذي تضافرت علي إخراجه لجنة مشكلة من مجمع اللغة العربية القاهري ، ومكونه من : إبراهيم مصطفي ، أحمد حسن الزيات حامد عبد القادر ، محمد علي النجار؛ وأشرف على طبعه عبد السلام هارون.

المُجْمَلُ، والمَقَاييسُ
لابن فارس

إبان القرن الرابع الهجري، كان يدور في فلك التأليف المعجمي العربي ثلاثة مناهج، تمثل مدارس معجمية ثلاثة هي:

أ) منهج الأبجدية العربية، ويمثله كتاب (الجيم) لأبي الشيباني .

ب) منهج التقليبات الصوتية، ويمثله كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي .

ج) منهج التقليبات الهجائية، ويمثله كتاب (جمهرة اللغة) لأبي بكر بن دريد.

وخلال هذا القرن عاش ابن فارس القزويني الإمام المعروف، الذي ألف معجمين عدّهما اللغويون من أهم المعاجم اللغوية أنذاك، هما معجما (المجمل) و (مقاييس اللغة).

ابن فارس

الإمام اللغوي أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا بن محمد بن حبيب الرازي القزويني، أحد أئمة اللغة العربية البارزين في القرن الرابع الهجري، الذي يعد العصر الذهبي للتاليف المعجمي . ولد سنة ٣٢٩ هـ .ألف في اللغة : (الصاحبي في فقة اللغة وسنن العرب في كلامها) الذي حوى الكثير من مسائل فقه اللغة العربية، ومعجم (مجمل اللغة) و (مقاييس اللغة) اللذان يعدان من أهم المعاجم العربية اللغوية، وتوفى ابن فارس سنة ٣٩٥ هجرية(١) .

---

(١) دراسات في المعجمات العربية : ١٣٣.

أ) المُجملُ في اللغةِ

يعد معجم (المجمل) لابن فارس القزويني من أشهر المعاجم اللغوية العربية ، فضلا على كونه من أشهر مؤلفات ابن فارس علي الاطلاق . وقد التزم فيه ذكر الواضح والصحيح من كلام العرب . حيث يقول في أوله : « فقد ذكرنا من كلام العرب الصحيح منه ، دون الوحشي المستنكر، ولم نأل في اجتبام المشهور الدال على عزر ، وتفسير حديث أو شعر»[1] .

ثم يقول في آخره :« قد توخيت فيه الاختصار . وآثرت فيه الإيجاز ؛ واقتصرت على ما صح عندي سماعا. ومن كتاب مشهور النسب صحيحه ؛ ولولا توخي ما لم أشكله فيه من كلام العرب لوجدت مقالا»[2] .

الهدف من تأليف (المجمل)

كان الهدف الذي يسعى إليه ابن فارس من وراء تأليف (المجمل) ، هو جمع ألفاظ اللغة ، وترتيبها على نظام سهل ميسور يساعد الباحث والدارس على الوقوع على المادة اللغوية المطلوبة من أقرب طريق وأيسره ، ثم الاقتصـــار علـى ذكر ماصح واشتهر من كلام العرب دون الغريب والمستنكر . حيث يقول : «والمقصود في كتابنا هذا من أوله إلي آخره التقريب والإبانة عما أئتلف من حروف العربية ، فكان كلاما وذكر ماصح من ذلك سماعا ، أو من كتاب لا يشك في صحة نسبه ، لأن من علم أن الله تعالى عند مقال كل قائل ، فهو حرى بالتحرج من تطويل المؤلفات وتكثيرها بمستنكر الأقاويل، وشنيع الحكايات وبنيات الطرق ، فقد كان يقال : من تتبع غرائب الأحاديث كذب ، ونحن نعوذ بالله من ذلك »[3] .

(١) المزهر: ٩٩.

(١) المزهر : ١٠٠.

(٢) المزهر : ١/١٠٠.

منهج ابن فارس
في (المجمل)

عاش ابن فارس القزويني العصر الذهبي للتأليف المعجمي ، فقد ولد ومات خلال القرن الرابع الهجري ، الذي لم يكد يشرف علي الانتهاء ، حتى كانت المادة اللغوية اللازمة لحشو المعاجم تكاد تكون مجموعة ومطروحة أمام اللغويين الذين يستشعرون في أنفسهم ملكة التأليف في هذا الفن ؛ فكان هذا مغريا لهم على التفكير في ابتكار نظم جديدة ووضع أسس مستحدثة يؤلفون عليها معاجمهم بما يبرز شخصياتهم ، وينبئ عن فكرهم المستقل عمن سبقهم ممن ألفوا في هذا الصدد.

فيذهب أبو نصر الجوهري إلى إطراح نظام الترتيب الأبجدي للمادة الذي التزمه أبو عمرو الشيباني ، كما أطرح نظام التقليبات بنوعيه : الصوتي الذي انتهجه الخليل بن أحمد ، والأبجدي الذي انتهجه أبوبكر بن دريد وآثر ترتب المواد اللغوية في كتابه (الصحاح) على نظام القافية .

كما أطرح ابن فارس نظام التقليبات بنوعيه ، والتزم نظام الترتيب الأبجدي الذي انتهجه أبو عمرو الشيباني إلا أنه ابتكر طريقة جديدة من خلال هذا الترتيب الأبجدي لم يكن فيها متبعا ولم يتابعه أحد عليها من بعده ، وذلك علي النحو الذي سوف يتضح فيما يلي.

١- انتهج ابن فارس - في ترتيب المواد اللغوية في (المجمل) - نظام الأبجدية العربية (الألفبائي) الذي يبدأ بحرف الهمزة ، وينتهي بحرف الياء.

٢- قسم معجمه إلى ثمانية وعشرين كتابا ، بعدد حروف الهجاء ، مطلقاعلي كل حرف اسم (كتاب) فكتاب الهمزة ، وكتاب الباء ... وهكذا حتى كتاب الياء .

٣- قسم كل كتاب من الكتب الثمانية والعشرين إلى ثلاثة أبواب . بحسب

الأبنية ، فالباب الأول للثنائي المضاعف والمطابق ، والباب الثاني للثلاثي ، والباب الثالث لما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف.

٤- استحدث ابن فارس طريقة جديدة ، تفرد بها ، إذ لم يسبقه إليها أحد ، ولم يشأ أحد أن يقلده فيها ، وذلك في ترتيب الكتب والأبواب ، حيث ابتكر في ترتيب كل منها نظاما دائريا يبدأ بالحرف المعين ، مؤلفا إياه مع ما يليه في الترتيب الأبجدي ثم الذي يليه .. وهكذا حتي حرف الياء .ثم يتلوه بحرف الهمزة وهكذا حتى يصل إلي الحرف الذي قبل الذي بدأ به .. وهكذا ؛ فمثلا كتاب (العين) لا يبدؤه بالعين والهمزة ، ثم العين والباء ، ثم العين والتاء ... وهكذا ، وإنما يثنى بما بعد العين ، فيقول : العين والغين ، ثم العين والتاء ، ثم العين والقاف .. وهكذا حتى العين والياء ، ثم يبدأ من أول الأبجدية فيقول : العين والهمزة ..إلى العين والظاء ثم ينتقل إلى حرف (الغين) ، فيلتزم في ما التزمه في (العين) وهكذا حتي آخر المعجم .

٥- اقتصر ابن فارس في شرحه للمواد اللغوية على ذكر الواضح المشهور من الألفاظ ، والصحيح المتواتر من اللغات وقد استعان علي ذلك بكل ماورد في الكتب والمعاجم التي تقدمت عليه ، وبخاصة كتاب (العين) للخليل بن أحمد . وكتاب (الجمهرة) لابن دريد وكتب غريب القرآن والحديث التي قد كثر التأليف فيها في عصره .

ب- مقاييس اللغة

ألف ابن فارس القزويني معجمه (مقاييس اللغة) بعد فترة من تأليف معجمه (مجمل اللغة) وقد التزم فيه المنهج الذي اختطه لنفسه في (المجمل) ، من حيث تقسيم المعجم إلى كتب بعدد حروف الهجاء والنظام الدائري الذي ابتكره لترتيب الكتب ، والنظام الكمي الذي التزمه في ترتيب الأبواب إلا أنه قد زاد علي ذلك دقه

في اشتقاق المادة اللغوية وصراحة في نقد ما لا يرى صحته مما ذهب إليه سابقوه من اللغويين مما جعل معجم (مقاييس اللغة) ينفرد بخصائص معينة ، ويمتاز بميزات يمكن بلورتها فيما يلي:

١- اتبع في شرح المواد اللغوية منهجا دقيقا حيث حاول أن يوجد معنى عاما مشتركا لكل مادة لغوية تجتمع حوله ، وتندرج تحته كل المعاني الفرعية – الحقيقة والمجازية – لها وهو ما يعرف عند اللغويين باسم : (دوران المادة حول معني واحد) ومثال ذلك ما أورد في مادة (جَنّ) فقد ردها إلي معنى : الستر والتستر، وفرع علي ذلك : الجنة ، لأنها ثواب مستور عنهم اليوم ؛ والجنة بمعنى البستان ، لأن الشجر بورقه بستر ؛ والجنين : المولد في بطن أمه ؛ والجنان : القلب؛ والمجن الترس وكل ما استتر به من السلاح فهو جُنَّة ؛ والجِنة : الجنون وذلك لأنه يغطي العقل ؛ وجنان الليل : سواده ، وستره الأشياء والجِن : سموا بذلك لأنهم مستترون .. الخ[١] .

وقد اتبع هذا المنهج خاصة في الثنائي والثلاثي ، وقد أطلق علي الثنائي : المضاعف أو المطابق وكان يقصد من ذلك ما يسميه الصرفيون : الثلاثي المضعف وهو ما كانت عينه ولامه من جنس واحد ، ومضعف الرباعي ، وهو ما كانت فاؤه ولامه الأولي من جنس ، وعينه ولامه الثانية من جنس آخر[٢] .

٢- تفرد ابن فارس في (مقاييس اللغة) بمذهب خاص لم يذهب إليه غيره ، في كل من الرباعي والخماسي حيث يرى أن أكثرهما متحدث ، أي مكون من أكثر من كلمة واحدة .

٣- يهتم (مقاييس اللغة) بمعالجة القواعد الصرفية التي تعرض أثناء شرحه للمادة اللغوية ، مثل ما أورد في مادة (أتي) حيث يقول: أتاني فلان إتيانا وأتيا وأتية وأتوة واحدة ، ولا يقال : إتيانه واحدة إلا في اضطرار شاعر وهو

(١) دراسات في المعجمات العربية : ١٣٦.

(٢) دراسات في المعاجم العربية : ١١٦ – ١١٧.

قبيح ، لأن المصادر كلها إذا جعلت واحدة ردت إلى بناء فعلها، وذلك إذا كان الفعل على (فَعَلَ) فإذا دخلت في الفعل زيادات فوق ذلك ، أدخلت فيها زيادتها في الواحدة كقولنا إقبالة واحدة[1] .

٤- يستشهد في شرح المواد اللغوية بآي من القرآن الكريم ، ويجعل الكلمة المفردة الواردة في القرآن الكريم أصلاً، على حين يضعها في غير القرآن بالشذوذ، مثال ذلك ما ورد في مادة (كدر) حيث يقول : الكاف والدال والراء ، أصل يدل على خلاف الصفو ، وآخر يدل علي حركة ؛ فالأول : الكدر خلاف الصفو ، يقال : كدر الماء وكدر ، ويقولون : خذ ما صفا ودع ما كدر .. وأما الأصل الآخر فيقال : انكد إذا أسرع قال الله تعالى : ﴿ وإذا النجوم انكدرت ﴾[2] .

ومن ذلك أيضا تعرضه للقراءات القرآنية الشاذة ليدخلها في الأصل مثال ما أورده في مادة (جفل) حيث يقول .. والجفال : ما نفاه السيل من غثائه ، وروي عن رؤبة الشاعر أنه كان يقرأ (فأما الزبد فيذهب جفالا)[3] .

٥- يستشهد كذلك بالأحاديث النبوية ، حيث يصدر بها كثيرا من المواد اللغوية عند شرحها ، ومثال ذلك ما ورد في مادة (أرز) حيث يقول : « الهمزة والراء والزاي أصل واحد لا يختلف قياسه بتة ، وهو التجمع التضام . قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » [4] .

٦- يهتم أيضا بالشواهد الشعرية ، وتأتي عنده في المرتبة الثالثة من حيث الاستشهاد ، حتى إنه ليعتبر أن ما جاء فيه شعر ، أصل صحيح في كثير من المواد ، حيث يقول في مادة (ضغز): « الضاد والغين والزاي ، ليس بأصل

(١) المصدر السابق: ١١٧.

(٢) سورة التكوير : الآية ٢.

(٣) سورة الرعد: الآية ١٧.

(٤) انظر في الحديث : الجامع الصغير للسيوطي .

صحيح إلا أن يأتي به شعر »؛ ويقول في مادة (طمش) : الطاء والميم والشين لا قياس له ، ولولا أنه في الشعر لكان من المشكوك فيه لأنه لايشبه كلام العرب ، على أنهم يقولون : ما أدرى أيُّ الطمش هو أي : أيُّ الناس والخلق.. ».

٧- لا يهمل ابن فارس جانب القراءات القرآنية وتوجيهها ، حيث يقول في مادة (وزف) : الواو والزاي والفاء أصل صحيح يقال : وزف الرجل : أسرع في المشي ، وقرئت﴿ فأقبلوا إليه يزفون ﴾[١] مخففة».

٨- لا يغفل الإشارة إلى اللهجات العربية المختلفة ، مع نسبتها إلى أصحابها ، كذلك الذي ورد في مادة (وثب) حيث يقول : الواو والثاء والباء يدل في لغة العرب على الطفر ، إلا في لغات حمير ، فإنه بخلاف ذلك ، ووثب من مكانه طفر ، وفي لغة حمير يقولون لمن قعد : قد وثب ، وإذا أمروا بالقعود قالوا: ثب ، ويقولون للملك إذا قعد ولم يغزُ : الموثبان ، ويقولون في وثبه وسادة : ألقاها له ليقعد عليها .

كما يقول في مادة (بقي) : « الباء والقاف والياء ، أصل واحد وهو الدوام ، قال الخليل : يقال: بقي الشيء ويبقى بقاء وهو ضد الفناء ، قال : ولغة طيء : بقي يبقي وكذلك لغتهم في كل مكسور ما قبلها يجعلونها ألفا نحو :بقي ورضا، وأنما فعلوا ذلك لأنهم يكرهون اجتماع الكسرة والياء ، فيفتحون ما قبل الياء فتنقلب الياء ألفا ، ويقولون في جارية : جاراة ، وفي بانية : باناة ، وفي ناصية : ناصاة»[٢] .

وكثيرا ما ينبه إلى بعض الصيغ والتراكيب العربية التي توقف استعمالها كما يشير إلي الكلام المولد[٣] .

---

(١) سورة الصافات : الآية ٩٤.

(٢) دراسات في المعاجم العربية : ١١٩.

(١) ابن فارس اللغوي للدكتور أمين فاخر: ٢٨٧ وما بعدها.

٩- بالرغم من القطع بأن ابن فارس كان يستعين في شرح المادة اللغوية على ماينقله مما تقدمه من معاجم - شأنه في ذلك شأن جميع مؤلفي المعاجم - إلا أن كان يعمد دائما ابراز شخصيته وإثبات ذاته ، إذ نجده يناقش الخليل ويخالفه في أحيان كثيرة ، مثال ما ورد في مادة (خنب) حيث يقول: « ومما لم يذكره الخليل ، وهو قياس صحيح قولهم : خنبت رجله ، أي : وهنت » .

كما ناقش ابن دريد . وصحح كلامه في بعض الأحيان ، ورجحه علي غيره أحيانا أخرى ونادراما رجحه علي الخليل ؛ ولكنه كان يقسو عليه كثيراً ويتهكم به ، ويرميه بالتدليس والتوليد .

ومن مظاهر إثبات ذاته ، وإبراز شخصيته . إيراد أقوال العلماء المتقدمين عليه من أمثال الخليل . وابن دريد ، وأبي عبيد وغيرهم ، ثم ينفرد برأي مخالف مثل ماورد في مادة (ثهل) حيث يقول : « الثاء والهاء واللام كلمة واحدة وهو جبل يقال له ثهلان ، هو مشهور ، وقد قالوا - وما أحسبه صحيحا - أن الثهل الانبساط على وجه الأرض»[١] .

١٠- يؤثر ابن فارس الإيجاز والاختصار حين شرح المواد اللغوية إذا كان قد سبق تناولها مفرقة في الكتاب : حيث يقول : في شرح مادة (بنو) : « .....وسائر ما تركنا ذكره من هذا الباب فهو مفرق في الكتاب ، فتركناه كراهة التطويل ؛ على حين قد يضطر إلى الإطناب والإسهاب أحيانا ليتمكن من أن يورد أقوال اللغويين ورواياتهم المختلفة ، أو شرح بعض الأمثال العربية والتعليق عليها حين الاستشهاد بها[٢] .

(١) دراسات في المعاجم العربية : ١١٩.
(٢) المصدر السابق.

نماذج تطبيقية

من "مقاييس اللغة"

نظراً لأن كلاً من معجم (المجمل في اللغة) ومعجم (مقاييس اللغة)، وكلاهما لأبي الحسين أحمد بن فارس القزويني، لا يكاد يختلف أحدهما عن الآخر، لا في المنهج الذي سلكه المؤلف في ترتيب المادة اللغوية، ولا في تناول المواد بالشرح والتفسير، فقد رأينا أن نكتفي بإيراد بعض النماذج التطبيقية مما ورد في معجم (مقاييس اللغة). نظراً لشهرته بين العلماء، وسعة انتشاره بين الباحثين والدارسين.

مادة (قطع):

وقد أورد ابن فارس هذه المادة تحت عنوان «باب القاف والطاء وما يثلثهما» حيث يقول :

«القاف والطاء والعين، أصل صحيح واحد، يدل على صرم، وإبانة شيء من شيء، يقال: قطعت الشيء أقطعه قطعاً، والقطيعة: الهجران. يقال: تقاطع الرجلان، إذا تصارما، وبعثت فلانة إلى فلانة بأقطوعة، وهي شيء تبعثه إليها علامة للصريمة. والقطع – بكسر القاف –: الطائفة من الليل، كأنه قطعة. ويقال: قطعت قطعاً، وقطعت الطير قطوعاً، إذا خرجت من بلاد البرد إلى بلاد الحر، أو من تلك إلى هذه. والقطيع: السوط. قال الأعشى :

* تُرَاقِبُ كَفِّي وَالْقَطِيعَ الْمُحَرَّمَا *

وأقطعت الرجل إقطاعاً، كأنه طائفة قد قُطعت من بلد. ويقولون لليائس من الشيء: قد قُطِعَ به، كأنه أمل أمّله فانقطع. وقطعتُ النهر قُطوعاً، إذا عبرته.

وأقطعت فلاناً قضباناً من الكرم، إذا أذنت له في قطعها. والقضيب: القطيع من الشجرة تبري منه السهام، والجمع: أقْطُع. قال الهذلي :

وَنَمِيمَةً مِنْ قَانِصٍ مُتَلَبِّبٍ * فِي كَفِّهِ جَشْءٌ أَجَشُّ وَأَقْطَعُ

وهذا الثوب يُقطعُك قميصاً. ويقال: إن مُقَطِّعَةَ النياط: الأرنب، فيقال: إنما سميت بذلك لأنها تقطع نياط ما يتبعها من الجوارح في طلبها. ويقال: النياط: :بُعْدُ المفازة. ومن الباب: قطَّع الفرس الخيل تقطيعاً: خلَّفها ومضى، وهو تفسير الذي ذكرناه في مقطعة النياط، إذا أريد نياط الجارح.

ويـزاد في بنـائه فيقـال: جاءت الخيل مقطوطعات ، أي سراعاً. ويقولون: جارية قطيع القيام، كأنها من سِمَنِهَا تنقطــع عنه. وفــلان منقطع القرين في سخاء أو غيره. وفي بعض التفسير في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ ﴾[1] . إنه الاختناق، والقياس فيه صحيح. ومنقطع الرمل ومقطعه: حيث ينقطع. والقطيع: القطعة من الغنم. والمقطَّعات: الثياب القصار. وفي الحديث: «إن رجلاً أتاه وعليه مقطعات له».

وكذلك مقطعات أبيات الشعر. والقُطع: البُهْر. ومقاطع الأودية: مآخيرها. وأصاب بئر فلان قُطع، إذا نقص ماؤها. والقِطع – بكسر القاف – الطنفسة تلقى على الرحل، وكأنها سميت بذلك لأن ناسجها يقطعها من غيرها عند الفراغ، كما يسمى الثوب (جديداً) كأنه ناسجه جدَّهُ الآن. والجمع قُطُوع . قال:

أَتَتْكَ الْعِيسُ تَنْفُخُ فِي بُرَاهَا * تَكشَّفُ عَنْ مَنَاكِبِهَا الْقُطُوعَ

والقِطع: النصل من السهام العريض، كأنه لما بُرِيَ قُطِع.

ومما شذ عن هذا الباب: القُطَيْعَاء: ضرب من التمر. قال:

باتَوا يُعَشُّونَ القُطَيْعَاءَ ضَيْفَهُم * وَعِنْدَهُم الْبَرْنِيُّ فِي جُلَلٍ تُجْلِ[2]

---

(١) سورة الحج: من الآية ١٥.

(٢) مقاييس اللغة: ٥/١٠١.

مادة (خلف):

وقد أوردها ابن فارس القزويني تحت عنوان «باب الخاء واللام وما يثلثهما» حيث يقول:

«الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني خلاف قُدَّام، والثالث التغيُّر.

فالأول الخَلَف. والخَلْف: ما جاء بعدُ. ويقولون: هو خَلَفُ صِدق من أبيه. وخلف سَوْء من أبيه، فإذا لم يذكروا صدقاً ولا سَوْءاً، قالوا للجيِّد خلف، وللرديءِّ خَلْفٌ. قال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾[1] . والخِلِّيفي: الخلافة، وإنما سميت خلافة، لأن الثاني يجيء بعد الأول قائماً مقامه. وتقول: قعدتُ خلاف فلان، أي بعده. والخوالف في قوله تعالى: ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ ﴾هُنَّ النساء، لأن الرجال يغيبون في حروبهم ومغاوراتهم في تجاراتهم، وهن يخلفنهم في البيوت والمنازل. ولذلك يقال: الحيُّ خُلُوفٌ إذا كان الرجال غُيَّبًا والنساء مقيمات. ويقولون في الدعاء: «خلف الله عليك» أي كان الله تعالى الخليفة عليك لمن فقدت من أب أو حميم. و«أخلف الله لك» أي عوّضك من الشيء الذاهب ما يكون يقوم بعده ويخلفه. والخِلْفَة: نبت ينبت بعد الهشيم. وخلفة الشجر: ثمر يخرج بعد الثمر. قال:

وَلَهَــا بِالْمَــاطِرُونَ إذا * أكَلَ النملُ الذي جَمَعَا

خِلْفَةٌ حَتَّى إذا ارْتَبَعَتْ * سَـكَنَتْ مِنْ جِلَّـقٍ بِيَعاً

وقال زهير فيما يصحح جميع ما ذكرناه :

بِهَا الْعِينُ والآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً * وَأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثِمِ

يقول: إذا مرت هذه خلفتها هذه.

ومن الباب الخَلْفُ، وهو الاستقاء. لأن المستَقِين يختلفان، هذا بعد ذا، وذاك بعد هذا، قال في الخلف:

(١) سورة مريم: من الآية ٥٩.

لِزُغْبٍ كَأَولادِ الْقَطَارَات خَلْفُهَا * عَلَى عَاجِزَاتِ النَّهْضِ حُمْرٍ حَوَاصِلُه

يقال: أخلف، إذا استقى.

والأصل الآخر خَلْفٌ، وهو غير قُدَّام. يقال: هذا خلفى، وهذا قدّامى، وهذا مشهور. وقال لبيد:

وَغَدَتْ كِلا الفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ * مَوْلَى الْمَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا

ومن الباب الخِلْفُ، الواحد من أخلاف الضرع، وسمي بذلك لأنه يكون خلف ما بعده.

وأما الثالث، فقولهم: خَلَفَ فوه، إذا تغير. وأخْلَفَ. وهو قوله – صلى الله عليه وسلم – : «لَخُلُوف فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ اللّهِ مِنْ رِيـحِ الْمِسْكِ». ومنه قول ابن أحمر:

بَانَ الشَّبَابُ وَأَخْلَفَ الْعُمْرُ * وَتَنَكَّرَ الإِخْوَانُ وَالدَّهْرُ

ومنه الخلاف في الوعد. وخلف الرجل عن خُلُق أبيه: تغير. ويقال: الخليف: الثوب يبلى وسطه فيخرج البالي منه ثم يلفق، فيقال: خَلَفتُ الثوب أخلفه. وهذا قياس في هذا. وفي الباب الأول.

ويقال: وعدني فأخلفتُه، أي: وجدته قد أخلفني. قال الأعشى:

أثْوَى وقصَّر ليلهُ لِيُزَوَّدَا * فَمَضَى وأخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا

فأما قوله:

* دَلْوَايَ خِلْفَانِ وَسَاقِيَاهُمَا *

فمن أن هذى تخلف هذى. وأما قولهم: اختلف الناس في كذا، والناس خلفة، أي: مختلفون، فمن الباب الأول، لأن كل واحد منهم يُنَحِّي قول صاحبه، ويقيم نفسه مقام الذي نحَّاهُ. وأما قولهم للناقة الحامل: خَلِفَة، فيجوز أن يكون شاذاً عن الأصل، ويجوز أن يلطف له فيقال: إنها تأتي بولد، والولد خَلَفٌ ، وهو بعيد، وجمع الخلِفة المخاض، وهن الحوامل.

ومن الشاذ عن الاصول الثلاثة: الخليف، وهو الطريق بين الجبلين، فأما الخالفة من عُمُد البيت، فلعله أن يكون في مؤخر البيت، فهو من باب الخلف والقُدّام، ولذلك يقولون: فلان خالفة أهل بيته، إذا كان غير مقدم فيهم.

ومن باب التغير والفساد البعير الأخلف، وهو الذي يمشي في شق، من داء يعتريه[1].

تعقيب:

من المادتين اللتين سقناهما آنفاً، واللتين نقلناهما من معجم «مقاييس اللغة» لابن فارس القزويني، نلاحظ أن ابن فارس يلتزم الخطوات التالية في معالجة المادة اللغوية:

١- يبدأ شرح المادة اللغوية وتفسيرها، بذكر عدد المعاني التي يمكن أن تفيدها، ويطلق على كل معنى اسم (أصل) ويعني بأن هذا المعنى أصل، أنه مقيس، ومن ثم يسمى معجمه (مقاييس اللغة)، إذ يقول في المادة الأولى" «القاف والطاء والعين أصل صحيح واحد، يدل على صَرْم، وإبانة شيء من شيء ..»[2]. بينما يقول في المادة الثانية (خلف): «الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدهما أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني خلاف قدام، والثالث التغير»[3].

٢- يختم كل أصل من هذه الأصول المقيسة بذكر ما يشذ عنها، في ختام المادة الأولى (قطع) بقوله: «ومما شذ عن هذا الباب القطيعاء: ضرب من التمر». ويقول في ختام المادة الثانية (خلف): « ومن الشاذ عن الأصول الثلاثة: الخليف، وهو الطريق بين الجبلين.

(١) مقاييس اللغة: ٢/٢١٣.

(٢) مقاييس اللغة: ٥/٢١١.

(٣) مقاييس اللغة: ٢/٢١٠.

٣- يستعين على شرح المادة اللغوية، وإيضاح معناها، بما ورد فيه من آي القرآن الكريم، حيث يقول في مادة (قطع): «وفي بعض التفسير في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ ﴾: إنه الاختناق، والقياس فيه صحيح».

ويقول في مادة (خلف): فالأول الخلف. والخلف: ما جاء بعد، ويقولون: هو، خلف صدق من أبيه، وخلْف سوء من أبيه، فإذا لم يذكروا صدقاً ولا سوءاً، قالوا للجيد خلَف، وللرديّ خلْف، قال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾ .

٤- يرى الاستعانة أيضاً على إيضاح معنى المادة اللغوية بما ورد فيه من الأحاديث النبوية حيث يقول في مادة (قطع): «والمقطعات: الثياب القصار. وفي الحديث: «إن رجلاً أتاه وعليه مقطعات له»».

ويقول في مادة (خلف) «وأما الثالث فقولهم: خلف فوه، إذا تغير، وأخلف. وهو قوله - صلى الله عليه وسلم - : «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

٥- يكثر من الاستشهاد بأشعار العرب، وهو في استشهاده بالشعر هذا، ينتقي أبياتاً من عيون الشعر العربي الموثوق به، وأحياناً يأتي بالبيت كاملاً، وقد يقتصر على شطر منه الذي هو موضع الشاهد، فمثال الأبيات التامة ما أورده في مادة (خلف) من قول زهير بن أبي سلمى:

بها العين والآرام يمشين خلفة * وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

أما مثال أنصاف الأبيات التي كان يقتصر فيها على موضع الاستشهاد فقوله في مادة (قطع): «والقطيع: السوط. قال الأعشى:

* تراقب كفي والقطيع المحرما *

٦- كثيراً ما ينسب الأشعار التي يستهد بها إلى قائليها، فنسب في مادة (قطع) أبياتاً إلى: الأعشى: والهذلي؛ ونسب في مادة (خلف) أبياتاً إلى: زهير بن أبي سلمى، ولبيد بن ربيعة، وابن احمر، والأعشى، وقل ما لم ينسبه من الشعر

المستشهد به. ومثال ذلك ما ورد في مادة (قطع) من قوله: «والقطع – بكسر القاف – الطنفسة تلقى على الرحل، وكأنها سميت بذلك لأن ناسجها يقطعها من غيرها عند الفراغ، كما يسمى الثوب جديداً، كأن ناسجه جدّه الآن. والجمع: قطوع. قال:

أتتك العيس تنفخ في براها * تكشّف عن مناكبها القطوع

وقوله في مادة (خلف): «ومن الباب الخَلْفُ، وهو الاستقاء، لأن المستقين يختلفان، هذا بعد ذا، وذاك بعد هذا، قال في الخلف:

لزغب كأولاد القطارات خلفها * على عاجزات النهض حمر حواصله

٧– قد يعزم ابن فارس على الانتهاء من شرح المادة وتفسيرها، ثم يَعِنُّ له فكرة طريفة، أو يعثر على لفظة تخدم المادة، أو يريد أن يحترز من شيء قد يؤدي إلى لبس، فيذكرها وإن لم تكن في بابها، فيعمد إلى النص والتنبيه عليه، إذ يقول في مادة (خلف): «وأما قولهم: اختلف الناس في كذا، والناس خلفة، أي: مختلفون، فمن الباب الأول، لأن كل واحد منهم ينحي قول صاحبه، ويقيم نفسه مقام الذي نحاه».

٨– لا يلجأ ابن فارس إلى ضبط الكلمة، إلا إذا كان المراد من ذلك إبراز وجه الاختلاف بينها وبين أخواتها، وأن تركها دون ضبط قد يؤدي إلى خلط ولبس، فيذكر نوع تشكيل الحرف. إذ يقول في مادة (قطع): «والقطع – بكسر القاف – : الطائفة من الليل، كأنه قطعة».

كما يقول في نفس المادة: «والقطع – بكسر القاف – الطنفسة تلقى على الرحل، وكأنها سميت بذلك لأن ناسجها يقطعها من غيرها عند الفراغ».

٩– يراعى ابن فارس أن يذكر تصاريف الفعل، حتى يتضح الباب الذي ينسب إليه، فمن ذلك قوله في مادة (قطع): «يقال: قطعت الشيء أقطعه قطعاً .. ويقال: قطعت قطعاً. وقطعت الطير قطوعاً، إذا خرجت من بلاد البرد إلى بلاد الحر» .. وأقطعت الرجل إقطاعاً، كأنه طائفة قد قطعت من بلد».

مآخذ وملاحظات

على (مقاييس اللغة)

على الرغم مما امتاز به معجم (مقاييس اللغة) من الدقة التامة في ترتيب المواد اللغوية، والعناية الفائقة في شرح هذه المواد، مما لم يتوفر لغيره من المعاجم الأخرى، فإنه لم يعدم أن يجد من يأخذ عليه بعض المآخذ، أو يصادف من يعد عليه بعض الملاحظات، شأنه في ذلك شأن أجلة المؤلفات وأمهات المصنفات، ويمكن حصر المآخذ والملاحظات عليه فيما يلي:

١- لم يسر ابن فارس على نظام ثابت في رسم حروف المادة في المعتل الآخر، وفي شرح هذه المواد، وترتيبها: فهو قد يرسم الحرف المعتل بالواو فقط، أو بالياء فقط، أو بهما معاً، أو بأحدهما مع الألف، أو مع الهمزة، وقد يرسمها بالألف فقط، ويعبر عن ذلك بالحرف المعتل.

ثم في شرحه للمادة المعتلة. نجد أن اللام مع ذلك قد تكون واواً وياء، أو واواً فقط، أو ياء فقط: ثم يذكر الهمزة في نفس المادة. أي: أنه خلط في المعتل بين الواوي اللام، واليائي اللام، والمهموز اللام، وجعلهم جميعاً تحت مادة، ويتضح ذلك من مراجعة هذه المواد في المعجم في مثل (حنوا) و(عصوى) و(رثى) و(زكى) و(رجى)وغيرها[1] .

٢- لم يسر ابن فارس على طريقة واحدة فيما اعتبره خارجاً عن الأصول، فقد أخرج مثلاً حكاية الأصوات في الكثير من المواد، رغم أنه جعلها في بعض المواد أصلاً؛ وقد يحدث ذلك في المادة الواحدة، حيث تراه يجمع بين إدخال حكاية الصوت في أصول المادة، وبين إخراجها من هذه الأصول، مما أوقعه في

---

(١) راجع: مقاييس اللغة: المواد حنو، عصوى، رثى، زكى، رجى.

الاضطراب، ومثال ذلك ما ورد في مادة (بل) التي جعل من أصولها الخمسة حكاية الأصوات التي لم يعتبرها في كثير من المواد ضمن الأصول[١] .

٣- وردت بعض المواد في (مقاييس اللغة) مخالفة للترتيب الذي سار عليه ابن فارس في ترتيب مواد المعجم، ولكن للإنصاف نقول: ربما يرجع السبب في هذا الخلط إلى ناسخ الكتاب، إذ أن كثيراً من هذه المواد قد ذكرها ابن فارس في مواضعها الصحيحة من كتابه (مجمل اللغة) الذي ألّفه قبل أن يؤلف (المقاييس).

٤- لجوء ابن فارس إلى الاختصار الشديد، أوقعه في بعض الأحيان إلى عدم إكمال الشواهد التي يسوقها حين شرح المادة اللغوية؛ فهو لا يكمل الحديث النبوي، بل يذكر الجزء موضع الشاهد، سواء كان في صدر الحديث أم في عجزه، حيث يقول في مادة (خنع): «الخاء والعين والنون أصل واحد يدل على ذل وخنوع .. وفي الحديث: «إن أخنع الأسماء، أي: أذلها» وتكملة الحديث كما في (لسان العرب): «إن أخنع الأسماء إلى الله بارك وتعالى من تسمى باسم ملك الأملاك»[٢] .

ويقول أيضاً في مادة (جعف)[٣] : «الجيم والعين والفاء أصل واحد. وهو قلع الشيء وصرعه، يقال: جعفت إذا صرعته بعد قلعك إياه من الأرض. والإنجعاف: الانقلاع، تقول: انجعفت الشجرة. وفي الحديث: «مثل المنافق مثل الأرزة المجذية على الأرض حتى يكون انجعافها مرة»، وصدر الحديث: «مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح مرة هناك ومرة هنا» .

والشواهد الشعرية كذلك لا يذكرها بتمامها، بل قد لا يذكر من البيت سوى كلمة واحدة؛ ففي مادة (لمع) يقول: «ويقال: ألمعت الناقة إذا رفعت ذنبها، فعلم أنها لاقح، قال الأعشى: ملمع . وتكملة البيت كما في (لسان العرب):

(١) دراسات في المعاجم العربية: ١٢١.
(٢) انظر: لسان العرب: مادة (خنع).
(٣) انظر لسان العرب : مادة (جعف).
وانظر في الحديث : الجامع الصغير للسيوطي .

مَلْمَعٌ لاعَةُ الفُؤَادِ إلَى جَحْـ * ـشٍ فَلاهُ عَنْهَا فَبِئسَ الحَالِي[1]

وفي مادة (زهر) يستشهد بعبارة (كما ازدهر)، وهي جزء من بيت شعري ذكر في (لسان العرب) وهو:

كَمَا ازْدَهَرَ قَيْنَهُ بالشّرا * ع لأسْوَارِهَا عَلَّ منها اصْطِبَاحَا[2]

بل بلغ به الأمر إلى حد أنه يشير أحياناً إلى قائل البيت فقط، دون أن يذكر البيت الشاهد، ومثال ذلك ما ورد في مادتي (سطع) و(شعر) وغيرهما[3] .

٥- ابن فارس مولع في أغلب الأحيان بالحكم في كثير من المواد بالإبدال أو القلب، حتى إنه ليجمع بينهما في كلمة واحدة، مما يؤدي إلى البعد بها عن أصلها، ومثال ذلك قوله في مادة (قاب): «القاف والألف والباء أصل واحد، القاب: القدر. وعندنا أن الكلمة فيها معنيان: إبدال وقلب. فأما الإبدال. فالياء مبدلة من دال، والألف منقلبة من ياء، والأصل: القيد، قال الله تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾[4] ويقال: القاب: ما بين المقبض والسيه، ولكل قوس قابان».

٦- تداخل بعض الكلمات في أكثر من مادة واحدة، فنجده يذكر كلمة (دكان) في مادة (دك)، ثم يذكرها مرة أخرى في مادة (دكن)، دون أن يشير إلى أن هناك خلافاً في ذلك؛ وكذلك كلمة (أنبوب) وهو ما بين كل عقدين من رمح وغيره، فقد ذكرها في مادة (نب)، ثم ذكرها مرة أخرى في مادة (أنب).

٧- الاضطراب والخلط في شرح بعض المواد اللغوية، كأن يفسر كلاً من الضدين بأنه خلاف الآخر دون أن يوضح معنى أي منهما، كما ورد في مادة (خبث) حيث يقول: «الخاء والباء والثاء أصل واحد يدل على خلاف الطيب: وفي

(١) انظر (لسان العرب): مادة (لمع).

(٢) المصدر السابق: مادة (زهر).

(٣) انظر: (مقاييس اللغة): مادتي (سطع) و(شعر).

(٤) سورة النجم: الآية: ٩.

مادة (طيب) يقول: «الطاء والياء والباء أصل يدل على خلاف الخبيث»، وقد حدث مثل ذلك في (حسن) و(قبح)، وفي (حمد) و(ذم). وكان الأفضل أن يذكر المعنى ثم يذكر الضد، أو يذكر الضد ثم يفسره.

وكذلك فعل في المقلوب في بعض المواد، فقد يذكر كلمتين، ويبين أن كلاً منهما مقلوبة عن الأخرى، دون أن يذكر معنى أي منهما، كما في مادتي (خزن) و(خنز)[1].

(١) دراسات في المعاجم العربية: ١٢٢.

مقاييس اللغة

بين التأثير والتأثر

لا ريب أن ابن فارس القزويني قد تأثر كثيراً في معجمه (مقاييس اللغة) بما أورده سابقوه من مؤلفي المعاجم في معاجمهم، فهو - شأنه شأن كل مؤلفي المعاجم - قد استقى مادة معجمه مما اشتملت عليه المعاجم التي تقدمت عليه، كالعين للخليل بن أحمد، وجمهرة اللغة لابن دريد، وإصلاح المنطق لابن السكيت، وغريب الحديث لأبي عبيد، والغريب المصنف لأبي عبيد أيضاً ؛ ولا يعد هذا قدحاً في شخصية ابن فارس، ولا انتقاصاً من مقدرته اللغوية، إذ كان هذا دأب كل مؤلفي المعاجم على مر العصور، أخذ كل عمن قبله، واعتماد اللاحق على السابق؛ حتى إن ابن فارس نفسه ليصرح - بعد ذكر هذه المعاجم الخمسة السابقة - بأخذه منها، واعتماده عليها اعتماداً كلياً حيث يقول: «فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيما استنبطناه من مقاييس اللغة، وما بعد هذه الكتب فمحمول عليها، وراجع إليها»[1] .

أما طريقته المبتكرة التي تقوم على استخلاص المعاني العامة المشتركة التي تدور حولها ألفاظ المادة، والتي أطلق عليها اسم (الأصول)، فهي بحق من ابتكاره واختراعه، غير مسبوق إليها، ولا متأثر فيها بغيره.

وأما تأثير (مقاييس اللغة) فيما ظهر بعده من معاجم فواضح أيما وضوح، بخاصة المعاجم الحديثة، حيث عمد مؤلفوها إلى التزام طريقة ابن فارس الجديدة المعروفة بطريقة (دوران المادة).

وأول من تأثر بمعجم (مقاييس اللغة) ، الصغاني في معجمه (العباب الزاخر)،

---

(١) مقدمة (مقاييس اللغة) : ٤ ، ٥.

إذ تأثر هذا العالم اللغوي الكبير في أكثر معجمه تأثراً واضحاً بالمقاييس في تطبيق هذه الطريقة، حتى إن عبارته لا تكاد تختلف عن عبارة ابن فارس. كما في مواد (بدأ) و(نبرأ) و(بسأ) و(بوأ) وغيرها من المواد الثلاثية؛ كما تأثر به فيما زاد من الكلمات على ثلاثة أحرف في مثل مواد (صملخ) و(عجرد) و(جلعد) و(جلمد) وغيرها[1] . وعنه يقول الدكتور حسين نصار: «وخلاصة القول في (العباب) أنه صدى في مواده لمعظم ما أتت به المعاجم التي قبله، وخاصة (الصحاح) و(التهذيب) و(المقاييس) و(المحيط)، ويعني ذلك (العين) و(الجمهرة) بل كل ما فيها عدا التافه»[2] .

وممن تأثر بابن فارس أيضاً، الفيروزابادي في معجمه (القاموس المحيط)، فقد استفاد كثيراً من (المقاييس)، ولكن عن طريق غير مباشر، إذ أخذ كثيراً من كتاب (العباب) للصغاني، الذي أخذ الكثير عن ابن فارس[3] .

وتأثر أيضاً الزبيدي بكتاب (المقاييس) في معجمه (تاج العروس) حيث أخذ أيضاً من (العباب)، كما أخذ عن ابن فارس مباشرة في شرح بعض المواد. وصرح بالأخذ عنه في كثير منها[4] .

ولعل من أهم المعاجم الحديثة التي تأثرت إلى حد كبير بمعجم (مقاييس اللغة) لابن فارس، (المعجم الكبير) الذي تضافرت على وصفه لجنة من كبار علماء اللغة المحدثين، والذي يعتبره بعض المحققين أقرب المعاجم العربية إلى الكمال في الجمع والترتيب والتفسير؛ فقد كان من منهج هذا المعجم أن يبدأ في كل مادة بذكر أصلها، أو أصولها، ومقارنة ذلك باللغات السامية إن كانت تمُت إليها بصلة؛ وقد استفاد كثيراً من كتاب (المقاييس)، حيث سار على نهجه في استخلاص

---

(١) دراسات في المعاجم العربية: ١٢٣.

(٢) المعجم العربي للدكتور حسين نصار: ٢/٢٤٩.

(٣) دراسات في المعاجم العربية: ١٢٣.

(٤) مقدمة (تاج العروس): ٣.

المعاني العامة المشتركة التي تدور حولها ألفاظ المادة الواحدة، والتي سماها ابن فارس (الأصول والمقاييس)، فقد ذكر المعجم الكبير هذه الأصول في صدر كل مادة مع ترقيمها، وأعطى كل قسم من معاني المادة الرقم الذي وضع تحته معناه في صدر المادة، وبعد أن يذكر ما في المادة من مسميات وأعلام، يذكر بعض كلام ابن فارس في ذلك.

المُعْجَم الوَسِيط

لما كانت رسالة مجمع اللغة العربية القاهري منذ إنشائه سنة ١٩٣٤م تتبلور في العمل على إثراء اللغة العربية، عن طريق إمدادها بالألفاظ الجديدة، والمصطلحات الحديثة، والأساليب الطريفة، بغية وفائها بمتطلبات العلوم والفنون في تقدمها المطرد، ومواكبتها لروح العصر في تطوره المستمر، وملاءمتها لما حققه العلم من قهره لعاملي الزمان والمكان في عصرنا الحاضر، فقد نظر المجمع إلى المعاجم اللغوية التقليدية التي تضرب إلى الماضي البعيد بسهم نافذ، فوقف على ما يكتنفها من الركود والجمود وعدم التطور، وأن البون شاسع بين ما تحويه من مادة لغوية وبين ما يحتاجه العلم الحديث من مصطلحات ومسميات، إذ لم تعد وافية بمتطلبات التطور السريع في العلوم والفنون، كما لم تعد قادرة على مواكبة حضارة العصر الحديث، وما جد فيه من مخترعات وآلات وأدوات، وما يتداول فيه من سلع؛ وذلك نظراً لما في شروحها من غموض، وما في بعض تعاريفها من قصور، وما في تبويبها من لبس وخلط[1] ، نتيجة لانحصار مؤلفيها ومصنفيها في حدود مكانية وزمانية ضيقة، حيث توقفوا – من حيث المكان – عند حدود الجزيرة العربية، ولم يشأ واحد منهم أن يتخطى هذه الحدود التي فرضت عليهم اعتباطاً وقسراً، ودون تدخل من أحد إلا هم أنفسهم؛ كما توقفوا – من حيث الزمان – عند عصر الاستشهاد باللغة، حيث لم يتعاملوا مع الشواهد الشعرية أو النثرية سوى ما قالته العرب حتى القرن الثاني الهجري، بالنسبة لمن يقيمون على أطراف الجزيرة، وحتى القرن الرابع لمن يقيمون في وسط الجزيرة، حيث البداوة والبعد عن مخالطة غير العرب.

ومن ثم فقد عزم مجمع اللغة العربية القاهري على اخراج معجم حديث، يفي

(١) دراسات في المعجمات العربية: ١٥٨.

بمتطلبات العصر، ويساير عامل التطور في العلوم والفنون، عن طريق تحرره من هذه القيود المكانية والزمانية، وذلك عن طريق مقارنة اللغة العربية بأخواتها الساميات، وغيرها من اللغات الأخرى، وباعتماده على نصوص شعرية ونثرية تليث بعد عصر الاستشهاد، بل تضرب إلى العصر الحديث بسهم نافذ.

وقد تحقق للمجمع ما عقد العزم عليه، حيث أصدر لأول مرة الجزء الأول من «المعجم الكبير» سنة ١٩٥٦م مشتملاً على قسم من حرف (الهمزة)، ثم طبع مرة ثانية في مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٧٠م مشتملاً على حرف (الهمزة) كاملاً؛ ويقع الجزء الأول هذا في سبعمائة صفحة من القطع الكبير.

ثم صدر الجزء الثاني عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٢م مشتملاً على حرف (الباء)، ويقع في ألف وثمان وستين صفحة من القطع الكبير.

وقد رُتبت هذه المواد اللغوية في «المعجم الكبير» على نظام الأبجدية العربية، حيث اعتبر الحرف الأول من المادة اللغوية باباً، ثم رتبت المواد داخل الأبواب باعتبار الحرف الثاني، ثم الثالث، ثم الرابع، بحسب عدد حروف المادة.

ورغم تقرير مجمع اللغة العربية صراحة في مقدمة «المعجم الكبير» بأنه يفي بحاجات أواسط المثقفين، إلا أن غزارة مادته، وغناه بمقارنة اللغة العربية بأخواتها الساميات وغيرها من اللغات الأخرى، واستشهاده بجمهرة غفيرة من كلام العرب - شعره ونثره - نظراً لتخطيه عصر الاستشهاد إلى العصر الحديث؛ قد جعله أكثر وفاء بحاجات المتخصصين منه بحاجات أواسط المثقفين الذين أخرجه المجمع خصيصاً لهم.

ومن ثم فقد اتجهت رغبة المجمع - من جديد - إلى إخراج معجم آخر، يفي بحاجات العصر الحديث، ويتلاءم ومعارف أنصاف المثقفين، على أن يكون محكم الترتيب، واضح الأسلوب، سهل التناول، مشتملاً على صور توضيحية لكل ما

يحتاج شرحه إلى تصوير، وعلى ما يمكن التوصل إليه من مصطلحات العلوم والفنون[1] .

وقد عُهِد بإخراج هذا المعجم الجديد إلى أربعة من خيرة أعضاء المجمع، المشهود لهم بالتبحر في اللغة العربية وعلومها، وهم: الأستاذ إبراهيم مصطفى، والأستاذ أحمد حسن الزيات، والأستاذ حامد عبد القادر، والأستاذ محمد علي النجار، كما عهد بالإشراف على طبعه إلى الأستاذ عبد السلام هارون؛ وقد أطلق المجمع على هذا المعجم اسم «المعجم الوسيط».

ويشتمل «المعجم الوسيط» على نحو ثلاثين ألف مادة لغوية، ومليون كلمة، وستمائة صورة توضيحية؛ وقد ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٦١م في جزأين كبيرين قوامها ألف ومائة صفحة من القطع الكبير، وكل صفحة مشتملة على ثلاثة أعمدة.

وقد جاء هذا المعجم مرتباً على نظام الأبجدية العربية، مشتملاً على الكثير من مصطلحات العلوم والفنون، متضمناً كمًّا غفيراً من ألفاظ الحياة العامة، محتوياً على العديد من الألفاظ المعربة والمولدة والمستحدثة[1] .

الهدف من إخراج «المعجم الوسيط»:

عرفنا - فيما تقدم - أن مجمع اللغة العربية القاهري، حين عقد العزم على إخراج (المعجم الوسيط)، كان يهدف إلى إيجاد معجم شامل، يجمع بين العراقة والحداثة، ويشتمل على كل مميزات المعاجم التقليدية القديمة، ويفي بكل متطلبات العصر الحديث واحتياجاته، ويتبلور ذلك الهدف في تضمنه السمات الآتية:

---

(١) المصدر السابق، وتصدير (المعجم الوسيط) للدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع.

١- اشتماله على كل ما حوته المعاجم التقليدية السابقة من مواد لغوية، وشروح علمية لهذه المواد.

٢- قرب المأخذ، وسهولة التناول، والبعد عن الاستطراد والتكرار.

٣- التخلص من الألفاظ الغريبة والحوشية والمبتذلة، والتزام الصحيح الموثوق بروايته عن العرب الخلص التي لم تفسد لغتهم.

٤- تحطيم الحدود المكانية التي فرضت على اللغة المستخدمة في المعاجم التقليدية، وحصرها داخل حدود الجزيرة العربية.

٥- تحطيم الحدود الزمانية التي قيد اللغويون القدامى أنفسهم بها، حينما وقفوا في استشهادهم وتمثيلهم عند المسموع من كلام العرب إبان عصر الاستشهاد، ولم يتعدوه إلى ما بعده.

٦- الوفاء بمتطلبات العصر الحديث واحتياجاته، بابتكار الألفاظ الجديدة، والأساليب الطريفة، والعبارات المستحدثة، التي تعبر عما ساد العصر الحديث من علوم وفنون، وما جد فيه من اختراعات، وأدوات، وآلات، وسلع.

٧- استحداث مصطلحات جديدة، ومسميات حديثة، تلائم التطور المطرد في العلوم والفنون.

٨- الاختصار والإيجاز في شرح المواد اللغوية، منعاً من ضياع وقت الباحث ومجهوده.

٩- استخدامه لما قد يحتاج إليه من ألفاظ الحياة العامة، والألفاظ المعربة، والمولدة، والمستحدثة.

١٠- الاستعانة بالصور والرسوم التوضيحية، زيادة في إيضاح المواد اللغوية كلما أمكن ذلك.

مَنْهَجُ الْمُعْجَمِ الْوَسِيطِ

ارتضى مجمع اللغة العربية أن يكون النظام الذي يتخذ أساساً لترتيب المواد اللغوية داخل (المعجم الوسيط) هو نظام الأبجدية العربية، الذي يقوم على جعل الحرف الأول من المادة اللغوية باباً، تندرج تحته كل المواد التي يكون الحرف الأول فيها من نوع واحد، ثم ترتب المواد داخل الباب الواحد باعتبار الحرف الثاني، أو الثالث، أو الرابع، بحسب عدد حروف المادة، ونتبين من الخطوات التالية سمات المنهج الذي رسمه المجمع للمعجم الوسيط:

١- تقسيم المعجم إلى ثمانية وعشرين باباً بعدد حروف الهجاء، ثم ترتب الأبواب بحسب ترتيب حروف الأبجدية العربية، فالباب الأول (باب الهمزة)، وتندرج تحته كل المواد اللغوية التي تبدأ بحرف الهمزة، ثم (باب الباء) وتندرج تحته كل المواد اللغوية التي تبدأ بحرف الباء، والثالث (باب التاء) وتندرج تحته كل المواد اللغوية التي تبدأ بحرف التاء .. وهكذا حتى (باب الياء) حين تندرج تحته كل المواد اللغوية التي تبدأ بحرف الياء، ثم ترتب المواد داخل الباب الواحد بحسب الحرف الأول، أو الثاني أو الثالث من حروف الحشو، بحسب عدد حروف المادة.

٢- تقديم الأفعال على الأسماء عند ترتيب تصاريف المادة وصيغها، وكذا المجرد على المزيد واللازم على المتعدي، مع مراعاة الترتيب الكمي، فالثلاثي المجرد، ثم الثلاثي المزيد بحرف، فالثلاثي المزيد بحرفين، فالثلاثي المزيد بثلاثة أحرف، ثم الرباعي، فالرباعي المزيد بحرف، ثم المزيد بحرفين، ثم ما ألحق بالرباعي، وأخيراً مضعف الرباعي. كما روعي تقديم المعنى الحسي على المعنى العقلي، والحقيقي على المجازي.

أما الأسماء، فقد رتبت ترتيباً هجائياً .

٣- الاكتفاء في ذكر أبواب الفعل، بباب واحد، إذا كانت الأبواب جميعاً متحدة المعنى، أو يذكر الأبواب كلها إذا اختلف المعنى باختلاف الباب.

وكذلك الحال بالنسبة للمصدر، حيث يختار من المصادر أشهرها وأكثرها استعمالاً، وإذا اختلف المعنى باختلاف المصدر، فتثبت الصيغ كلها كما في: إثبات، وثبوت، ودعوة، ودعاء، ودعاية.

٤- استخدام الفصيح، والصحيح، والشائع من الألفاظ، ومن ثم فقد جاء (المعجم الوسيط) خلوا من الغريب، والوحشي، والمهجور، والمبتذل، والمستنكر، لتحل محلها ألفاظ ومصطلحات العصر الحديث.

٥- عند رد المادة إلى أصلها اللغوي، وضعت الكلمات التي صدرت بالتاء المبدلة من الواو إبدالاً دائماً، كالتؤدة، واتقى، واتصل، والتراث، في باب (الواو).

٦- إهمال ما كان من المؤنثات بزيادة (تاء) على مذكره، لشيوعه، أما ما كان تأنيثه بغير (تاء) فيذكر ما خفي منه؛ وكذلك إهمال ما كان مطرداً شائعاً من أسماء الفاعلين والمفعولين، أما ما كان منها نادراً، أو يشوبه خفاء أو لبس، فقد رأى المجمع ضرورة النص عليه، لخفائه أو لتفريع المعنى عليه.

٧- استخدام الألفاظ الصحيحة، والعبارات الواضحة المألوفة في شرح المواد اللغوية، مع الاستعانة بالنصوص الموثقة التي تستمد من المعاجم السابقة، والإكثار من الاستشهاد بآي من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وحكم العرب وأمثالهم، فضلاً عن التراكيب البلاغية المأثورة عن فصحاء العرب من الكتاب والشعراء.

٧- استخدام الألفاظ الصحيحة، والعبارات الواضحة المألوفة في شرح المواد اللغوية، مع الاستعانة بالنصوص الموثقة التي تستمد من المعاجم السابقة، والإكثار من الاستشهاد بآي من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وحكم العرب وأمثالهم، فضلاً عن التراكيب البلاغية المأثورة عن فصحاء العرب من الكتاب والشعراء.

٨- تزويد المعجم بالصور والرسوم التوضيحية لكل ما يحتاج شرحه وتوضيحه إليها، من حيوانات، أو نباتات، أو آلات وغير ذلك؛ وهذه فكرة حديثة،

أخذ بها مؤلفو المعاجم الأوروبيون، ومسايرة لروح العصر والتطور، أخذ بها الأب (لويس المعلوف)، في معجمه (المنجد)؛ وقد جاء في تصدير (المعجم الوسيط) : «وما المعجم إلا أداة بحث، ومرجع سهل المأخذ، فينبغي أن يكون واضحاً دقيقاً، مصوراً ما أمكن، محكم التبويب .. ويشتمل (المعجم الوسيط) على ستمائة صورة[1] » .

٩- استخدام بعض الرموز للدلالة على المعاني الخاصة، بقصد الاختصار والإيجاز، إلا أن ذلك كان في حدود ضيقة، مثل: (ج) للدلالة على الجمع، للدلالة على حركة عين المضارع. و- للدلالة على تكرار اللفظ لمعنى جديد، (مو) للدلالة على أن اللفظ مولد، (مع) للدلالة على أن اللفظ المعرّب، (د) للدلالة على أن اللفظ دخيل على لغة العرب، (مج) للدلالة على أن اللفظ من الألفاظ التي أقرها المجمع، (محدثة) للدلالة على أن اللفظ مما استعمله المحدثون في العصر الحديث.

١٠- الاعتراف بالمواد اللغوية التي تستخدمها البيئات العربية في شتى الأمصار، وعلى مر العصور، حتى عصرنا الحاضر، متخطياً بذلك حدود الزمان والمكان التي الزم المعجميون التقليديون أنفسهم بها.

ومن ثم فقد سجل (المعجم الوسيط) مظاهر التطور الحضاري والعمراني، ووضع بين أيدي أرباب الحرف والصناعات الحديثة، ثمرة ما توصلت إليه جهود العلماء والمتخصصين من أعضاء لجنة المعجم، معبراً عنه بهذه الثروة اللغوية التي نراها ونشاهدها في هذا المعجم، ومن أمثلة ذلك:

(العتلة): عمود قصير من الحديد، له رأس عريض، يهدم به الحائط، ويقلع به الشجر والحجر (ج) عتل.

---

(١) راجع: تصدير (المعجم الوسيط) للدكتور إبراهيم بيومي مدكور : ١/٥.

(الكبس): سلك معدني قابل للانصهار، يكون على مجرى تيار كهربي يذوب إذا زاد التيار.

(التختة): السبورة (و –) مقعد خشبي يجلس عليه التلاميذ (مو).

(التراخوما): الرمد الحبيبي: مرض معدٍ يصيب الملتحمة والقرنية، يميزه التهاب واحمرار الجريبات والسبل[1] (مج).

١١– اعتماد كثير من الصيغ التي رأى المجلس قياسها، والتي لم تكن مسموعة ولا معتمدة لدى اللغوين القدامى مثل:

قياس المصدر الصناعي بزيادة (ياء) مشددة في آخر الاسم، نحو: الإنسانية، والمادية،والاشتراكية.

وقياس مطاوع (فَعَّل) على (تَفَعَّل) نحو: كسَّره فتكسَّر، وحطمه فتحطم.

وقياس مطاوع (فَعْلَل) وما ألحق به، بزيادة (تاء) في أوله نحو: دحرجته فتدحرج، وبعثرته فتبعثر.

وقياس صوغ اسم الآلة على (فَعَّالَة) نحو: سماعة، وغسالة، وثلاجة.

وقياس صوغ (مَفْعَلَة) من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول، للدلالة على المكان الذي تكثر فيه، سواء أكانت من الجماد نحو (مطبخة) للمكان الذي يكثر فيه الطبخ، أم كانت من الحيوان نحو: (مأسدة) للمكان الذي تكثر فيه الأسود، وكذا (مَسْبَعَة) و(مَذْأبة) و(مَضْبعة) .. وهكذا ..

---

(١) السبل: داء في العين، شبه غشاوة، كأنها نسج العنكبوت بعروق حمر. (المعاجم اللغوية للدكتور محمد أحمد أبو الفرج: ٥٥.

نماذج تطبيقية
من المعجم الوسيط

بعد أن تعرفنا على أهم الأسس التى انبنى عليها المنهج الذى التزمه مجمع اللغة العربية القاهرى فى إخراج (المعجم الوسيط) ، ذلك المعجم الذى حاز شهرة عظيمة ، وذاع صيته ، واتسع مجال نشره بين الأوساط العلمية فى العصر الحديث .

نرى من الأجدى أن نسوق مادتين لغويتين مما اشتمل عليه (المعجم الوسيط) لتكونا بمثابة التطبيق العملى لهذا المنهج الذى سار عليه المعجم فى ترتيبه ومعالجته للمواد اللغوية وشرحها .

١- مادة (أب ب):

* (أب) : للسير – وأبا ، وأبابا : تهيأ وتجهز . و – إليه : اشتاق ونزع . و – على أعدائه : حمل عليهم حملة صادقة . ويقال : أبّت أبابة الشىء : استقامت طريقته . و – الشىء أبًّا : قصد . ويقال : أب أبه : قصدَ قصده . و – يده إلى سيفه : ردّها ليستله .

(أئتب له) : أب .

(استأب) أبًّا : اتخذه ، وانتسب إليه .

(تأبب به) : فخر به .

(الأباب) : الماء الكثير .

(الأبابة) : داء يصيب الغريب ، وهو شدة حنينه إلى وطنه . (مج) .

(الأب) : العشب – رطبه ويابسه – قال تعالى : «وَفَاكِهَةً وَأَبًّا »[1] ونقول : فلان راع له الحب ، وطاع له الأب : زكا زرعه ومرعاه . و – لغة فى الأب .

(إبَّان) الشىء : أوانه ، لا يتسعمل إلا مضافا ، مثل : إبان الفاكهة .

(أبيب) : الشهر الحادى عشر من السنة القبطية[2] .

(١) سورة عبس : آية ٣١ .

(٢) انظر : دراسات فى المعجمات العربية : ١٦٤ .

٢- مادة (ع ر ب):

* (عرِب) – عربا : فَصُح بعد لكنة . و – المعدة : فسدت . وفى الحديث : «أن رجلا أتاه فقال : إن أخي عرب بطنه . فقال : اسقه عسلا . ويقال : عرِب فلان : اتخم . و – الجرح : تورّم وتقيح و – النهر ونحوه : كثر ماؤه ، فهو عارب.

(عرب) – عُروبا وعُرُوبَة وعَرَابة وعروبية : فصُح . ويقال : عرُبَ لسانه .

(أعَرب) فلان : كان فصيحا فى العربية ، وإن لم يكن من العرب . و – الكلام : بينه . و – أتى به وفق قواعد النحو . و – طبق عليه قواعد النحو . و – بمراده : أفصح له ولم يوارب . و – عن حاجته : أبان . و – الاسم الأعجمى : نطق به على منهاج العرب . و – فى البيع : أعطى العربون .

وفى حديث عمر : «أن عامله بمكة اشترى دارا للسجن بأربعة آلاف ، وأعربوا فيها أربع مائة » .

(عرّب) المشترى : أعطى العربون . و – عن صاحبه : تكلم عنه واحتج . ويقال : عرّب عنه لسانه : أبان وأفصح . و – الكلام : أوضحه . و – فلانا : علمه العربية . و – الاسم الأعجمي: أعربه. و – منطقه : هذبه من اللحن . و – فلانا : قبّح كلامه ورد عليه ، ويقال : عرّب عليه : قبّح عليه كلامه .

(تعرّب) : تشبه بالعرب . و – أقام بالبادية وصار أعرابيا . يقال : تعرّب فلان بعد الهجرة . و – المرأة لزوجها : تحببت إليه .

(استعرب) : صار دخيلا فى العرب ، وجعل نفسه منهم .

(الأعراب) من العرب : سكان البادية خاصة ، يتتبعون مساقط الغيث ومنابت الكلأ . الواحد أعرابى .

(الإعراب) : تغيير يلحق أواخر الكلمات العربية من رفع ونصب وجر وجزم ، على ما هو مبين فى قواعد النحو .

(العاربة) : عرب عاربة : صرحاء خُلّص . و – قبائل بادرت ودرست آثارها ، كعاد وثمود وطسم وجريس ، وهم البائدة .

(العِرَابُ) : خيل عراب : خلاف البراذين . وإبل عراب : خلاف النجاتى . الواحد : عربى .

(العرب) : جيل من الناس ، ساميّ الأصل ، كان منشؤه شبه جزيرة العرب (ج) أعراب ، والنسب إليه : عربى ، يقال : لسان عربى ، ولغة عربية .

(العُرْب) : العَرَب .

(العَرْباء) : عرب عرباء : صرحاء خُلَّص .

(العَرَبانى) : من يتكلم بالعربية وليس عربيا .

(العَرَبَة) : النهر الشديد الجرى . و – واحد العَرَبات ، وهى سفن رواكد كانت في دجلة . و – مركبة ذات عجلتين أو أربع ، يجرها حصان أو حمار ، تنقل عليها الأشياء (مو) .

العُربون: ما يجعله المشتري من الثمن على أن يحسب منه إذا مضى البيع، وإلا استحق للبائع. (مو) .

(العَـروب) : المرأة المتحببة إلى زوجها . (ج) عُرُب . وفى التنزيل العزيز : ﴿ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً ﴾ .

(العَروبة) : العروب . ويوم العروبة : يوم الجمعة فى الجاهلية .

(العُروبة) : اسم يراد به خصائص الجنس ومزاياه .

(العروبية) العروبة .

(العريب) : يقال : مابالدار عريب : أحد .

(المتعرِّبة) من العرب : بنو قحطان بن عابر ، الذين نطقوا بلسان العاربة ، وسكنوا ديارهم .

(المستعربة) : من العرب : أولاد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام .

تعقيب

بعد قراءتنا للمادتين السابقتين اللتين نقلناهما من (المعجم الوسيط) ، تتبين أن اللجنة التى عهد إليها المجمع بإخراجه ، فى سبيل معالجة مواده اللغوية وشرحها ، قد التزمت الخطوات التالية :

١- وضع المادة اللغوية المراد شرحها بين هلالين فى أول السطر ، مسبوقة بنجم كثيرة الأشعة ، ثم وضع كل فرع من فروع المادة ومكملاتها فى أول السطر بين هلالين أيضا ولكن دون نجمة ، ثم وضع نقطتين رأسيتين بعد الهلالين إيذانا ببداية الشرح والتفسير والتوضيح ، أما إذا كانت المادة بحاجة إلى ما يتصل بها نحو الفعل الذى يحتاج لتوضيحه أن يذكر المصدر ، فإنه يذكر قبل النقطتين الرأسيتين ، وذلك نحو قوله فى المادة الأولى : "(أب) : للسير – أبا" ، وقوله فى المادة الثانية : «(عَرَب) – عَرَبا : فصح بعد لكنه » .

٢- التحدث فى أول كل باب عن الحرف المعقود له الباب ، ولكن فى إيجاز ، ودون تفصيل أو تكرار أو استطراد ، على النحو الذى كان عليه «المعجم الكبير» ؛ ففى باب (الهمزة) يبدؤه بالكلام عن أحوال الهمزة ، إستخدامها فى النداء والاستفهام ، وأنها أول حروف الهجاء ، وفى باب (العين) تكلم عن حرف (العين) وما هيته ، واستخدامه وأحواله وقيمته فى حساب الجمل ، حيث قال : «والعين فى حساب الجمل عبارة عن سبعين فى العدد» (١) .

٣- ابتداء شرح المادة اللغوية بذكر الأفعال ، ومعها مصادرها ومشتقاتها من أسماء الفاعلين والمفعولين والصفات المشبهة ، وإن كان هذا قليلا بالنسبة للثلاثة الأخيرة ، ففى المادة الأولى ورد (أبٌ ، أبا ، أبابا ، أَبْتُ ، أبابة) وفى المادة

---

(١) حساب الجمل : عبارة عن وضع رقم مسلسل حروف الهجاء بحسب ترتيبها العربى ، فمثلا : الهمزة تعطى رقم (١) ، والباء =٢ ، والثاء = ٣ ... حتي ز= ١٠ ثم تعقد الأرقام فيكون س = ٢٠ ، ش- ٣٠ ... إلى ق = ١٠٠ ، ثم تميأ الأرقام فتكون ك = ٢٠٠ ، ل = ٣٠٠ إلى ي = ٩٠٠ . وعلى ذلك يكون حساب العين = ٧٠ .

الثانية ورد (عرَب عَربا ، وعرُب عرُوبا ، عروبة ، عرابة ، عروبية ، أعرب إعرابا) وتقديم الفعل المجرد على المزيد ، كما فى (أب ، ائتب ، استأب ، تأبب) وفى (عرَب ، عرُب ، ثم أعرب ، عرّب ، تَعرُّب ، استعرب) . وتقديم المزيد بحرف على المزيد بحرفين ، والمزيد بحرفين على المزيد بثلاثة أحرف ... وهكذا ؛ وكذا تقديم الأفعال اللازمة على الأفعال المتعدية ، ففى المادة الأولى ، تقدمت الأفعال اللازمة «(أب) للسير ، وأب إليه ، وأب على أعدائه ، وائتب له ، وتأبب به) على الأفعال المتعدية (أبت أبابة الشيء ، وأب الشيء أبا ، وأب أبة ، واستأب أباً .

وفى المادة الثانية قدمت الأفعال اللازمة (عرب عربا ، وعربت المعدة ، وعرب فلان ، وعربت المرأة ، وعرب لسانه) على الأفعال المتعدية (أعرب فلان ، وأعرب الكلام ، وأعرب الاسم) .

وبالنسبة للاسماء كذلك ، قدم المجرد على المزيد ، والمزيد بحرف على المزيد بحرفين .. وهكذا .

٤- حين شرح المادة اللغوية ، لا تذكر مفردة ، منفصلة عن سياقها ، وإنما توضع فى سياق لغوى معين لبيان أوجه استخدامها ، وتلون معانيا ؛ ففى المادة الأولى ورد (أب للسير : تهيأ وتجهز ، وأب على أعدائه : حمل عليهم حملة صادقة وأب يده إلى سيفه : ردها ليستله) ، وفى المادة الثانية ورد عربت المعدة : فسدت ، وعربت المرأة : تحببت إلى زوجها ، وأعرب الكلام : أتى به وفق قواعد النحو) ؛ كما يستشهد لها بالكثير من آيات القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، والشعر العربى ، وحكم العرب وأمثالهم ، كما ورد فى المادة الأولى : «(الأب) : العشب – رطبة ويابسه – قال تعالى : (وَفَاكِهَةً وأبًّا) ، وتقول : فلان راع له الحب ، وطاع له الأب : زكا زرعه ومرعاه» . وماورد فى المادة الثانية : «(العَروب) : المرأه المتحببة إلى زوجها (ج) عُرُب . وفى التنزيل العزيز : (فجعلناهن أبكارا . عربا أترابا)» وقوله (عرب فى البيع : أعطى العربون . وفى حديث عمر : «أن عامله بمكة اشترى دارا للسجن بأربعة آلاف ، وأعربوا فيها أربعمائة)» .

٥- الاختصار والإيجاز فى ذكر المشتقات وشرحها ، إذ قليل ما يرد ذكر سماء الفاعلين والمفعولين والصفات المشبهة ، مثال ذلك ما جاء فى مادة (ع ر ب) : «مستعربة ، ومتعرّبة (اسم فاعل) ، وعرُب الماء إذا صفا فهو عَرِبٌ ، وعريب وعرِب النهر فهو عارب » ، فالألفاظ : عرب ، عريب ، وعارب : صفات مشبهة .

٦- عملا بواجب الاختصار والايجاز ، لا يتم ضبط المادة اللغوية بالنص على نوع الضبط كالضم والفتح والكسر - مثل ما عليه الحال فى المعاجم الأخرى - وإنما عن طريق وضع رموز تنبي عن ضبط الحرف ؛ فللدلالة على ضبط حركة عين المضارع ، يرسم خط صغير توضع فوقه الفتحة أو الضمة ، وتوضع تحته لكسرة ، كما فى المادة الأولى : «(أب) للسير - َ أبا» للإشارة إلى أن المضارع منه بفتح عينه ، وكما في المادة الثانية : «عرب - عُروبا» ، إشارة إلى أن المضارع منه بضم العين .

٧- اشتمال المعجم الوسيط على كثير من الألفاظ الجديدة الحضارية التى تعلق بالعلوم الحديثة خاصة ، مما لم تشتمل عليه المعاجم التقليدية ، ومنها لألفاظ التى قرنت بالرمز (مج) الذى يشير إلى أن هذا اللفظ مما أقره المجمع ، ولا يوجد فى المعاجم السابقة ، وذلك نحو ماورد فى المادة الأولى : «(الأبابة) : داء يصيب الغريب ، وهو شدة حنينه إلى وطنه (مج)» ، وما ورد فى المادة الثانية (العربين) - فى مادة الأحياء - مادة تستخرج من الصمغ العربى (مج)» .

كما أن من الألفاظ الحضارية ما قُرِن بالرمز (مو) للدلالة على أنه من لألفاظ المولدة التى استعملها العرب بعد عصر الاستشهاد ، ولم ترد فى المعاجم لسابقة ، كالذى ورد فى المادة الثانية : «(العربة) : مركبه ذات عجلتين أو أربع يجرها حصان أو حمار، تنقل عليها الأشياء (مو)؛ و(العربون) الثمن ، على أن يحسب منه إن مضى البيع ، وإلا استحق للبائع (مو)» .

٨- الاستغناء عن تكرار المادة مع تلون معانيها بذكر الرمز (و -) ، مثل ماورد فى المادة الأولى : «(أب) للسير . و- إليه . و- على أعدائه» ، وما ورد فى

المادة الثانية : «(عرب) عربا . و – الجرح . و – بقي أثره بعد البرء ؛ وأعرب فلان . و – الكلام . و – أتى به وفق قواعد النحو ... » .

ما يؤخذ على المعجم الوسيط :

على الرغم من أن (المعجم الوسيط) قد حاز من الحسنات والميزات ما لم يتوفر لمعجم قبله ، كسهولة المأخذ ، وإحكام التبويب ، وشرح الألفاظ بعبارات واضحة مألوفة ، واشتماله على كثير من مصطلحات العلوم والفنون الحديثة ، وإستخدامه لكثير من ألفاظ الحياة العامة ، واحتوائه على العديد من الألفاظ المعربة والمولدة والمستحدثة . مما جعله وفيا بحاجات العصر الحديث ومتطلباته ؛ إلا أنه لم يعدم ناقدا أو مفندا ، ولم يسلم ممن يأخذ عليه بعض المآخذ ، ويوجه إليه بعض النقود ، التى يمكن حصرها فيما يلى :

١- اشتماله على بعض الألفاظ الغريبة التى أهملها العرب ، وهجرها الاستعمال ، ولم يعد ثمة فائدة من استخدامها ، حيث استعيض بها غيرها ، علما بأنه قد نص فى مقدمته على أنه قد برئ من هذا النوع من الألفاظ ، واطرحها جانبا ، وجاء خلوا منها ؛ ومن ذلك قوله : (الهصاهص) بمعنى القوى من الناس أو الأسود ؛ و(الهلوع) : الناقة السريعة الشديدة ، و (الناقة الورصاء) : التى تكسرت أسنانها . و (الدرفاص) بمعنى الضخم العظيم من الناس والحيوان .(١)

٢- شرحه المادة اللغوية أحيانا – بألفاظ أشد غموضا من المادة المشروحة ، مثلما ورد فى مادة (كثر) من باب الكاف : «الكثيراء: نوع نبات من جنس (الأسطرنمالس) من الفصيلة القرنية » ، ولم تذكر هذه المادة (الأسطرنمالس) فى المعجم ، وكان المتوقع ذكرها .(٢)

٣- الإحالة – أحيانا – على ماذكر فى موضع آخر من المعجم ، ثم يتضح خلاف ذلك ، كما فى قوله :

---

(١) المعجم العربى بين الماضي والحاضر : ٦٣ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ودراسات فى المعجمات العربية : ١٧١ .

(٢) المعاجم العربية للدكتور عبدالسميع محمد احمد : ٢١٨ ، ودراسات فيالمعجمات العربية : ١٧١ .

(الهيدكور) و(الهيدكورة) : انظر : مادة (هـ د ك ر) . وبالرجوع إلى المعجم تبين أن هذه المادة لم تسجل فى الموضع الذى حدد لها فى المعجم .

ولكن هذه كلها هنات هينات ، لا تغض من شأن (المعجم الوسيط) ولا تنقص من قدره ، بل يكفيه فخرا أن القائمين على إخراجه ، قد استطاعوا أن يقهروا عامل التقليد القديم فى تأليف المعاجم وأن يهدموا الحدود الزمانية والمكانية التى قيدت حركة اللغويين من مؤلفى المعاجم لفترة ليست بالقصيرة ، وأن يسجلوا الجديد من الثروة اللفظية والمصطلحات الحديثة للعلوم والفنون .

المعجم الوسيط
بين التأثير والتأثر

لا ريب أن (المعجم الوسيط) جاء متأثرا بكل ما تقدمه من معاجم لغوية ، بدءاً بكتاب (العين) للخليل بن احمد الفراهيدى فى القرن الثانى الهجرى ، إلى القاموس المحيط للفيروزابادى فى القرن التاسع الهجرى ، علاوة على معاجم العصر الحديث ؛ فقد سبق أن ذكرنا غير مرة أن كل لغوى يعتزم تصنيف معجم لغوى ، لامناص من أن يتأثر بما سبقه من معاجم ، إما من حيث نظام ترتيب المواد اللغوية ، وإما من حيث المنهج الذي يلتزمه فى شرح هذه المواد ؛ فثمت من رتب مواد معجمه على نظام التقليبات الصوتية متأثراً بالخليل بن احمد فى كتابه (العين) ، وهناك من رتبها على نظام التقليبات الهجائية متأثرا بابن دريد فى (جمهرة اللغة)، وهناك من رتبها على نظام الأبجدية العربية متأثراً بأبي عمرو الشيباني في كتاب (الجيم) أو بمحمد بن تميم البرمكى فى كتابه (المنتهى فى اللغة) على الرأى الراجح ، وهناك من تأثر باليمان بن اليمان البندنيجى فى كتابه (التقفية) فرتب مواد معجمه على نظام القافية فضلا على أن كل لغوى من مؤلفى المعاجم ، كان يروق له منهج معين سلكه أحد السابقين عليه فى شرح المواد اللغوية ، فيلتزمه ويسير عليه ؛ وغالبا ما كان يزيد عليه ، أو ينقص منه ، بهدف تبرئة معجمه مما وجه لهذا السابق من نقود . وما أخذ عليه من مآخذ ، وهذا طابع التأليف المعجمى على مر العصور .

وإذا نظرنا إلى (المعجم الوسيط) نجده قد تأثر فى ترتيب المواد اللغوية في معجمه بأبى عمر الشيبانى أو ابن تميم البرمكى فى التزامه نظام الأبجدية العربية ؛ كما تأثر بكل مؤلفى المعاجم السابقين عليه ، فى مجال شرح المادة اللغوية ، فقد تأثر بالجوهرى فى التزامه الصحيح من اللغة ، الفصيح من اللفظ ، دون الغريب والوحشى والمبتذل ؛ وتأثر كذلك بالزمخشرى فى إثبات المادة اللغوية فى سياق بلاغى ليتضح المعنى المراد . علاوة على اختيار العبارات البليغة ،

والأساليب الرصينة ، والألفاظ الجزلة الموحية بل زاد على كل هذا الكثير من الألفاظ والمعربة والمولدة ، والمصطلحات العلمية الحديثة .

أما تأثير (المعجم الوسيط) فى غيره ، فقد أعجب به اللغويون بعده أيما إعجاب ، وأخذوا ولعل ذلك كله واضح من سعة انتشاره وإقبال الباحثين والدارسين عليه .

رابعا : مدرسة الواقع

ثبت لنا مما تقدم أن النفس البشرية تنزع دائما إلى التسهيل والتيسير ، وتهدف دائما إلى البساطة والقرب فى المأخذ ؛ وانطلاقا من هذا المنزع ، وسيرا نحو تحقيق هذا الهدف ، توالى نشوء المدارس المعجمية فى اللغة العربية على مر العصور ، منذ القرن الثانى الهجرى حتى الآن .

فقد وقفنا على أن الهدف الذى كان ينشده الخليل بن أحمد الفراهيدى ، من وراء تأليف كتاب (العين) ، هو جمع الكلم العربية بطريقة حاصرة شاملة منضبطة ، والوقوع على الكلمة المرادة فى سهولة ويسر ، ومن أقرب طريق ؛ ثم لما رأى ابن دريد أن طريقة ترتيب (العين) لا تحقق السهولة واليسر المنشودين ، عمد إلى تأليف كتابه (جمهرة اللغة) مخالفا فى ترتيبه ترتيب (العين) ، حيث آثر الترتيب على نظام الأبجدية العربية على نظام الأبجدية الصوتية ، تحقيقا لهذه السهولة ، وتجسيدا لهذا اليسر على الباحثين والدارسين .

كما علمنا أن نشأة المدرسة المعجمية الثانية ، التى عرفت باسم (مدرسة القافية) ، كان استجابة لداعى التيسير والتسهيل فى الوقوع على اللفظة المرادة فى المعجم ، بعد أن ثبت ما فى مدرسة التقليبات الصوتية والهجائية من عنت ومشقة ، حيث ابتكر اليمان بن اليمان البندنيجى طريقة القافية فى تأليف معجمه (التقفية) ، ثم توالى بعده التأليف على هذه الطريقة .

ولم يقنع اللغويون بما تحقق على يد مدرسة القافية من بساطة ويسر ؛ إذ لم يكد القرن الرابع يؤذن بالانتهاء ، ليبدأ القرن الخامس الهجرى ، حتى عمد أبو المعالى محمد بن تميم البرمكى إلى تأليف معجم سماه (المنتهى فى اللغة) ، وذهب فى ترتيبه إلى أبعد مما ذهب أصحاب المدارس السابقة عليه ، إذ رتبه على نظام الأبجدية العربية ، حيث الاعتداد بالحرف الأول من اللفظة ، مرتبا على حروف الهجاء العادية .

ونظرا لسهولة استخدام المعاجم المرتبة على نظام الأبجدية العربية ، كثر استخدامها ، واعتماد الدارسين والباحثين عليها ، بل اعتمدها كل اللغويين الذين ألفوا فى المعاجم بعدها ، حتى إن المعجم (مختار الصحاح) الذى ألفه الرازى على نظام القافية ، قد عمد اللغوى محمود خاطر إلى إعادة ترتيبه على نظام الأبجدية العربية ، نظرا لبساطة هذا النظام ، وإمكان الوقوع على اللفظة المرادة فيما رتب على أساسه من معاجم فى سهولة ويسر . بل استمر داعى التيسير والتبسيط حتى توج بإخراج مجمع اللغة العربية القاهرى ، لمعجم حديث ، يكاد يفى بتلبية هذا الداعى ، وتحقيق الهدف المنشود ، واطلق على هذا المعجم اسم (المعجم الوسيط) حيث كان قد سبق بمعجم آخر أطلق عليه اسم (المعجم الكبير) وقد سبق أن عرضنا الخطوات التى خطاها المعجم الوسيط فى سبيل تطوير التأليف فى المعاجم اللغوية العربية .

ورغم ما تحقق على يد المعجميين المحدثين من مظاهر السهولة واليسر ، وعلامات البساطة والقرب ، التى توجت بإخراج (المعجم الوسيط) ، إلا أن هذه الدعاوى ، وتلك المطالب ظلت قائمة ، تطل برأسها ، وتطلب المزيد من التيسير والتبسيط والتسهيل ؛ مما دفع المعجميين فى هذا القرن إلى التفكير فى طريقة جديدة ، تكون أساسا لنظام جديد فى تأليف المعاجم ، يضمن الوفاء بتحقيق ما يتطلبه داعى التطور في التأليف المعجمي ؛ ولما أعجزهم التوصل إلى نظام جديد لترتيب الألفاظ داخل المعجم يفضل نظام الأبجدية العربية سهولة ويسراً ، بدءوا التفكير فى إدخال بعض التعديلات على نظام معالجة الألفاظ لغوياً داخل المعجم ، حيث أقروا ترتيب المواد اللغوية فى معاجمهم على نظام الترتيب الأبجدى العربى حيث لم يعد فى الإمكان أبدع مما كان ، ولكنهم رأوا أن يبقوا على المواد كما هى فى واقعها المنطوق ، دون تجريدها من الزوائد ، أو رد المحذوف منها ، بل إثباتها فى المعجم بحسب صورتها فى الواقع ، أي بحسب نطقها الفعلى ، دون النظر إلي الحروف الزائدة أو المحذوفة ؛ ومن ثم فقد أطلق المعجميون المحدثون على هذه الطريقة اسم «المدرسة الواقعية» .

رائد مدرسة الواقع :

لم نعثر من بين المعاجم اللغوية القديمة ، على أي معجم ، اتبع فى تأليفه نظام هذه المدرسة الواقعية ، اللهم إلا كتبا كانت تؤلف فى تخصصات معينة ، أو تؤلف للجمهور قبل المتخصصين فى البحث اللغوى ، ومن هذه الكتب :

١- كتاب «المقصور والممدود» لابن ولاد المصرى (ت ٢٣٢ هـ) . وهو ليس معجما لغويا ، موضوعا للتعرف على معنى اللفظة ، واشتقاقها ، ومرادفاتها ، ومضاداتها ، كما هو الغرض المنوط بالمعاجم اللغوية ؛ وإنما هو كتاب يجمع الألفاظ المقصورة والممدودة فى اللغة العربية بطريقة حاصرة .

٢- كتاب «المعرَّب من الكلام الأعجمى» للجواليقى ، وهو كتاب يعنى بجمع الألفاظ الأعجمية - غير العربية - التى انتحى فيها سمت كلام العرب ، فى تصرفها ، وإعرابها ، وبنائها - كمال ابن جنى - فعُرِّبت ، ودخلت فى اللغة العربية ، واعتبرت ألفاظا عربية .

٣- كتاب «غريب القرآن» لأبى بكر محمد بن عزيز السجستانى (ت.٣٣هـ).

٤- كتاب «المفردات في غريب القرآن» للعماد الأصفهاني.

٥- كتاب «النهاية فى غريب الحديث والأثر» لابن الأثير الجزرى (٥٤٤ -٦٠٦هـ) .

وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة أيضا ليست معاجم بالمعنى المفهوم للمعجم ، وإنما هى كتب تعنى كذلك بجمع الغريب فى القرآن الكريم أو الحديث النبوى الشريف بطريقة حاصرة أيضا ، كما أنها مؤلفة للجمهور المسلم قبل المتخصصين فى علوم اللغة .

ومن ثم فإن هذه الكتب جميعها ، وإن اتبعت الطريقة الواقعية ، من ترتيب الألفاظ فيها على نظام الأبجدية العربية ، مع اعتبار الواقع المنطوق للفظة ، وإغفال الحروف الثوانى والثوالث وما بعدها ؛ لا تعد معاجم بالمعنى المعروف للمعجم اللغوى ؛ ولذا فلا يجوز عدها ، ولا أى منها ، رائدا لهذه المدرسة الواقعية.

وأما مَنْ يعد رائدا للمدرسة الواقعية بحق ، فهو الأستاذ جبران مسعود ، أحد أساتذة علوم اللغة فى لبنان ، حيث ألف معجما لغويا ، اتبع فى تأليفه نظام المدرسة الواقعية ، من حيث ترتيب المواد اللغوية فيه على نظام الأبجدية العربية ، مع مراعاة الواقع الفعلى المنطوق للفظة ، ولذا يعد هو الرائد الأول لهذه المدرسة حيث جاء معجمه الذى أطلق عليه اسم (الرائد) تجسيدا حقيقيا ، وتطبيقا عمليا لهذه الطريقة الحديثة ، التى تعد خطوة جريئة على طريق التطور فى تأليف المعاجم العربية ؛ وإن كان قد سبق بترتيب جديد للقاموس المحيط على طريقة الواقع للأستاذ طاهر الزواوى[1] .

---

(١) راجع : المعاجم العربية للدكتور عبدالسميع محمد احمد : ١٩٧ .

الرائد
لجبران مسعود

يعد معجم (الرائد) للأستاذ جبران مسعود ، أحد أساتذة علوم اللغة في لبنان ، أول معجم يلتزم فيه مؤلفة نظام الواقعية ، من حيث ترتيب المواد اللغوية ، ومن حيث معالجتها لغويا ، إذ أغفل الاعتداد بالحروف الثواني والثوالث وما بعده عند ترتيب الألفاظ داخل المعجم ، وأنما كان الاعتداد بالحرف الأول فقط ؛ كما أغفل التفريق بين الحروف الأصلية والزائدة ؛ وإنما كان يتعامل مع المادة اللغوية تبعا لما هي عليه في الواقع المنطوق ، وقد أخرج مؤلفة سنة ١٩٦٥م.

الهدف من تأليف (الرائد)

ألف الاستاذ جبران مسعود معجمه (الرائد) ، ليخدم طلاب المراحل التعليمية الأولى ، وغيرهم ممن لم ينالوا حظا وافرا من الثقافة والمعرفة ؛ فهو أشبه بمعجم مدرسي منه بمصدر لغوي يمكن الاعتماد عليه ، واستقاء الأصول والمعارف منه ، كما لا يعد مرجعا يمكن التعويل عليه في البحوث والدراسات اللغوية[١]

منهج جبران مسعود
في معجم الرائد

يعد المنهج الذي اختطه جبران مسعود في معجمه (الرائد) . وألزم نفسه به في ترتيب المواد اللغوية فيه ، ثورة حقيقية في مجال التأليف المعجمي العربي ، ويمكن تحديد هذا المنهج المتطور في نقاط ثلاثة :

(١) انظر: البحث اللغوي عند العرب للدكتور أحمد مختار عمر: ١٩٦.

١- اتباع نظام الأبجدية العربية :

فقد قسم المؤلف معجمه إلى ثمانية وعشرين بابا بعدد حروف الهجاء العربية ؛ فهناك باب (الهمزة) ، ثم باب (الباء) ثم باب (التاء) ، وهكذا حتى باب الياء ، دون اكتراث بنوع الحرف الأول من المادة ، أصليا كان ، أو علة ، أو زائدا.

٢- مراعاة الحرف الأول

حيث كان المؤلف يضع في اعتباره – حين ترتيب المادة – الحرف الأول منها دون تفريق بين الأصلي منها والزائد ؛ كما لم يقيد بالرجوع بالمادة إلى أصلها اللغوي ومن ثم لم يلجأ إلى تجريدها من الزوائد ، ولا إلى رد المحذوف منها إليها ولا إلى رد حروف العلة المنقلبة عن أصل ، إلى الأصل الذي قلبت عنه ، ولا إلى رد الجمع إلى مفرد ، ولا رد المصغر إلى مكبره ، ولا رد المؤنث إلى مذكره ؛ وإنما كان يرتب المادة اللغوية في معجمه بحسب الصورة التي هي عليها في الواقع العملي المنطوق.

٣- عدم الاعتداد بغير الحرف الأول

لم يوجه المؤلف اهتمامه إلى الحرف الثاني أو الثالث أو ما بعدهما من المادة اللغوية ، وإنما كان اعتداده بالحرف الأول فقط ، حيث يضعها تحت الباب المخصص للحرف الأول منها ،إذ يبدأ بالمواد التي حرفها الأول همزة ، فيضعها تحت باب (الهمزة) ، والمواد التي حرفها الأول باء ، يرتبها تحت باب (الباء) ، وهكذا إلى أن ينتهي بالمواد التي حرفها الأول ياء ، فيرتبها تحت باب الياء ؛ فمثلا كلمة (درس) نجدها في باب «الدال» وكلمة (مدرس) نجدها في باب «الميم» وكلمة (تدراس) نجدها في باب (التاء) وكلمة (استغفر) نجدها في باب « الألف » وكلمة (غفر) نجدها في باب (الغين) ، وكلمة (مغفرة) نجدها في باب « الميم» .. وهكذا .

وعلي ذلك ، فقد كان المنهج الذي سلكه جبران مسعود في تأليف معجمه (الرائد) يعد كما سبق أن قلنا – ثورة في مجال التأليف المعجمي العربي[1] .

---

(١) انظر : المعجم العربي بين الماضي والحاضر للدكتور عند عدنان الخطيب : ٥٨ – ٥٩، دراسات في المعجمات العربية للدكتور وناجح عبدالحافظ ١٧٤.

من مميزات «الرائد»

من أهم ما يمتيز به معجم (الرائد). أنه يتسم بالواقعية في منهجه ،حيث ترتب فيه المواد اللغوية ، طبقا لترتيب الأبجدية العربية ، حسب واقعها المنطوق ، سواء أكانت مجردة أم مزيدة ، أصلية أم محذوف منها ، مفردة أم جمعا ، مذكرة أم مؤنثة ؛ ومن ثم فهو معجم يخدم الجميع ، حيث يفيد العامة والخاصة ، ومحدودي الثقافة والمثقفين ، بل الصغار والكبار ؛ إذ لا يشترط في القارئ أو الباحث الذي يريد أن يكشف عن معنى كلمة فيه ، أن يكون على دراية تامة بعـ التصريف والإشتقاق وغير ذلك ، حتى يتسني له التعرف على الحروف الأصلية والمزيدة ، والحروف التي جاءت على وجهها والمقلوبة عن أصل ، وحروف الزيادة وأماكن زيادتها والألفاظ المكبرة والمصغرة ، والمفردة والمجموعة ، والمذكرة والمؤنثة وما إلى ذلك .

نقد المدرسة الواقعية

لم يجد اللغويون ما يوجهونه إلى المدرسة الواقعية من نقود . أو يأخذونه علي منهجها من مأخذ سوي مأخذ واحد لا ثاني له وهو كفيل بهدم هذه المدرسة من أساسها وهو أن هذا المنهج الواقعي يؤدي إلى تمزق المادة الواحدة ، وتفرق مشتقاتها في مواطن متفرقة من المعجم ، لا رابط بينها ؛ فمثلا مادة (ك ت ب) ، نجد الكلمتين : كتب وكاتب في باب (الكاف) والكلمتان : مكتب ومكتوب.نجدها في باب (الميم) والكلمتان : تكتب وتكاتب ، نجدها في باب (التاء) وكلمة: اكتتاب نجدها في باب (الألف) ، وهكذا ؛ مما يؤدي إلى تمزيق مفردات المادة اللغوية ، وتناثرها على مستوى أبواب المعجم دون أن يكون بينها ثمة رابط أو صلة أو وشيجة ، مما يؤدي إلى تشتيب ذهن القارئ أو الباحث في مداومة البحث عن مفردات المادة بين أبواب المعجم ، وهذا ما أريد الهرب منه بطرح منهج مدرسة القافية . والتزام منهج مدرسة الأبجدية العربية[1] .

---

(١) راجع : دراسات في المعجمات العربية للدكتور ناحجح عبد الحافظ مبروك : ١٧٥.

تعقيب

لا تعد المدرسة الواقعية مدرسة بالمعنى المفهوم ؛ ولا يرقى في نظامها إلى أن يكون منهجا ينظر إليه بعين الاعتبار في التأليف المعجمي ، حيث لا تقوم على أي أساس من أسس تأليف المعاجم العربية ، سوى رص الألفاظ رصا تراكميا تحت الحرف الأول مما يسبب للقارئ والباحث العنت والمشقة في البحث عن المادة وسط آلاف المواد تحت الباب الواحد فضلا عن تشتت ذهنه جرياً وراء البحث عن فروعها على مدار أبواب المعجم.

ونحن لا نوافق الدكتور ناجح عبدالحافظ فيما يراه من إمكان الاستفادة من هذه الطريقة ، على ألا نذكر المعنى قرين المادة المطلوبة ، وإنما نحيل الباحث إليها في المعاجم التقليدية ، ويضرب مثالا بالكلمات (استقال ، استفهام ،استغفار) حيث يقول للباحث : انظر مادة (ق و ل) و (ف هـ م) ، و (غ ف ر) ؛ كما نجد كلمة (يوسف) في باب الياء مع الواو فيقول له : انظر مادة (أ س ف) ، وبذلك يحافظ على تراثنا وعلي معاجمنا التقليدية [1] ؛ حيث نرى أن هذا الرتق لا يسد الخرق ؛ وإنما نجد أن هذه المدرسة إنما تجئ لترد الباحثين والدارسين إلى ما قصدوا الهرب منه، فبعد أن يعني الباحث نفسه ، ويتحمل مشقة العثور علي المادة المرادة ، ويظن أنه وقع على طلبته ، إذا به يفاجأ بإحالته إلى المعاجم التقليدية التي وضع أصحاب هذه المدرسة الواقعية في روعه أنها صعبة المنال عسيرة الإدراك فكان بإمكانه أن يرجع إلى هذه المعاجمم التقليدية من أول الأمر اختصار للوقت والجهد.

---

(١) المصدر السابق: ١٧٦.

وإنما يمكن أن تكون هذه المعاجم الواقعية بمثابة دليل أو كشاف يمكن للباحث عن طريقها أن يتعرف على المعاجم التقليدية التي وردت بها المادة المرادة ، وتعرضت لشرحها وإيضاح معناها ، وبالله التوفيق.

تم - بحمد الله تعالى - الإنتهاء من تصنيف هذا الكتاب
في تمام الساعة الثانية عشرة من مساء يوم الجمعة المبارك
الرابع عشر من شهر رجب الفرد من سنة عشر
بعد المائة الرابعة عشرة للهجرة ، الموافق
التاسع من شهر فبراير من سنة
تسعين بعد المائة
التاسعة عشرة
ميلادية.

مصادر البحث ومراجعه

الكتاب	المؤلف	النشر
١- القرآن الكريم	كتاب العربية الأول	
٢- أخبار النحويين البصريين	أبو سعيد السيرافي تحقيق د. محمد إبراهيم البنا	دار الاعتصام بالقاهرة
٣- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب	ياقوت الحموي نشرة المستشرق مرجيليوث	دار الفكر ببيروت
٤- أساس البلاغة	جار الله الزمخشري	دار الشعب بالقاهرة
٥- إنباه الرواة بأنباء النحاة	القفطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم	الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة سنة ٨١.
٦- البحث اللغوي عند العرب	د. أحمد مختار عمر	طبع القاهرة
٧- بغية الوعاة في أخبار اللغويين والنحاة	جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم	مطبعة الحلبي بالقاهرة ٦٤
٨- تاج اللغة وصحاح العربية	الجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار	طبعة بيروت ١٩٨٢
٩- تاريخ آداب اللغة العربية	جورجي زيدان تنقيح د. شوقي ضيف	دار الهلال بالقاهرة
١٠- تاريخ الأدب العربي	كارل بروكلمان ترجمة محمد علي النجار	مطبعة المدني بالقاهرة
١١- تهذيب الصحاح	الزنجاني تحقيق عبد السلام هارون وآخر	دار المعارف بالقاهرة

الكتاب	المؤلف	الناشر
١٢- تهذيب اللغة	أبو منصور الأزهري	مطبعة الحلبي بالقاهرة
١٣- جمهرة اللغة	ابن دريد	مطبعة الحلبي بالقاهرة
١٤- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب	عبد القادر البغدادي تحقيق عبد السلام هارون	دار القلم بالقاهرة
١٦- الخصائص	أبو الفتح ابن جني تحقيق محمد علي النجار	عالم الكتب ببيروت ٨٣
١٧- دراسات في المعاجم العربية	د. أمين فاخر	طبعة القاهرة
١٨- دراسات في المعجمات العربية	د. ناجح عبد الحافظ مبروك	طبعة القاهرة
١٩- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة	ابن حجر العسقلاني	دار الجيل ببيروت
٢٠- دمية القصر وعصرة أهل العصر	الباخزري تحقيق عبد الفتاح الحلو	مطبعة المدني بالقاهرة
٢١- ديوان الأدب	أبو نصر الفارابي تحقيق د. أحمد مختار عمر	مطبعة الأمانة بالقاهرة ٧٦
٢٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب	ابن العماد الحنبلي	مطبعة الحلبي بالقاهرة
٢٣- ضحى الإسلام	أحمد أمين	دار المعارف بالقاهرة
٢٤- طبقات النحويين واللغويين	الزبيدي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم	دار المعارف بالقاهرة ٧٣
٢٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده	ابن رشيق القيرواني تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد	دار الجيل ببيروت ٧٢
٢٦- الفهرست	ابن النديم	المطبعة الأميرية بالقاهرة

٢٧- في علم اللغة العام	د. عبد الصبور شاهين	طبعة القاهرة
٢٨- القاموس المحيط	الفيروزابادي	الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة
٢٩- كتاب الجيم	أبو عمر الشيباني	مطبعة الحلبي بالقاهرة
٣٠- كتاب العين	الخليل بن أحمد تحقيق د. عبد الله درويش	مطبعة العافي ببغداد ٦٧
٣١- كتاب العين	الخليل بن أحمد تحقيق د. إبراهيم السامرائي وآخر	دار الحرية للطباعة ببغداد ٨٤
٣٢- كلام العرب	د. حسن ظاظا	مطبعة الحلبي بالقاهرة
٣٣- المجمل في اللغة	ابن فارس القزويني	مطبعة الحلبي بالقاهرة
٣٤- مداخل المؤلفين والأعلام العرب	ناصر محمد سويدان وآخر	مطبعة جامعة الرياض سنة ٨٠.
٣٥- مدخل إلى علم اللغة	د. محمود فهمي حجازي	طبعة القاهرة
٣٦- مرآة الجنان	اليافعي	مطبعة المدني بالقاهرة
٣٧- مراتب النحويين	أبو الطيب اللغوي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم	مطبعة نهضة مصر بالقاهرة
٣٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها	جلال الدين السيوطي تحقيق محمد جاد المولى وآخرين	مطبعة الحلبي بالقاهرة
٣٩- المعاجم	الدكتور العزازي	طبعة القاهرة
٤٠- المعاجم اللغوية	د. إبراهيم نجا الإبياري	مطبعة الرسالة بالقاهرة
٤١- المعاجم العربية	د. عبد السميع محمد أحمد	مطبعة الرسالة بالقاهرة
٤٢- المعاجم العربية	د. عبد الله درويش	مطبعة التقدم بالقاهرة
٤٣- معجم الأدباء	ياقوت الحموي	دار المأمون بالقاهرة سنة ١٣٥٧هـ

٤٤- معجم ألفاظ القرآن الكريم	مجمع اللغة العربية القاهري	المطبعة الأميرية بالقاهرة
٤٥- المعجم العربي - نشأته وتطوره	د. حسين نصار	مطبعة نهضة مصر بالقاهرة
٤٦- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي	د. أ.ي. فنسنك تعريب محمد فؤاد عبد الباقي	دار إحياء التراث ببيروت
٤٧- معجم لسان العرب	ابن منظور	دار المعارف بمصر
٤٨- معجم مقاييس اللغة	ابن فارس القزويني تحقيق عبد السلام هارون	مطبعة الحلبي بالقاهرة
٤٩- المعجم الوسيط	المجمع اللغوي القاهري	طبعة القاهرة
٥٠- المنجد	الأب إلياس المعلوف	دار الفكر ببيروت
٥١- النجوم الزاهرة في أخبار مصر القاهرة	ابن تغري بردي	المطبعة الأميرية بالقاهرة
٥٢- نزهة الألباء في طبقات الأدباء	كمال الدين ابن الأنباري	دار نهضة مصر للطباعة بالقاهرة
٥٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان	ابن خلكان تحقيق د. إحسان عباس	دار صادر ببيروت
٥٤- يتيمة الدهر	أبو منصور الثعالبي	مطبعة الحلبي بالقاهرة

الداوريات:

مجلة المجمع العلمي بدمشق جـ٢ م٤٠ ص ١٩٤ .
بحث للدكتور عدنان الخطيب
بعنوان : المعجم العربي بين الماضي والحاضر

فهـــرس الموضوعـــات

الفصل الرابع : مدرسة الواقع

(٢٦١ - ٢٦٩)

رقـــم الايـــــداع بــــــدار الكتـــــب

٩٧٤٠ / ١٩٩٠م

I.S.B.N. 222 - 005 - 9

مطبعه العمرانية للأوفست
٤٨ ش زهران . العمرانية الغربية . جيزة
ت : ٥٣٧٥٥٠